بسم الله الرحمن الرحيم

اصول وقواعد

التفسير الموضوعي للقرآن

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ـ وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠١٤ - ٥١٠

التميمي، مازن

أصول وقواعد التفسير الموضوعي للقرآن / للمازن شاكر التميمي؛ [مقدمة اللجنة العلمية. محمد علي الحلو]. - الطبعة الأولى . - كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية . شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية ١٤٣٦ق. = ٢٠١٥م.

ص٤٦٤. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ ١٤٨).

المصادر: ص ٤٢٨ - ٤٤٩ ؛ وكذلك في الحاشية.

١ . التفسير الموضوعي - دراسة وتحقيق. ٢. القرآن - تفاسير موضوعية . ٣ . القرآن - تفاسير - المنهجية . ٤ . التفسير - فن . ٥ . التأويل - المنهجية . ٦ . التفسير الموضوعي - قواعد . ٧ . القرآن - اعجاز . الف . الحلو، محمد علي، ١٩٥٧ - ، مقدم. ب . السلسلة. ج . العنوان.

BP 91.5 .T36 2014

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

أصول وقواعد

التفسير الموضوعي للقرآن

مازن شاكر التميمي

إصدار
شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
في قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة
للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩

www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com

الإهداء

إلى المرأة التي غذتني بلبنها حب الخير واتباع الحق
إلى الرجل الّذي لم يدخر جهداً لتربيتي وتعليمي وتهذيبي
إلى الحنونين الّذين لم يعلما بدعوة إلّا وأطلقاها من أجلي
إلى والدَي أُهدي هذا الجهد المتواضع عرفاناً لجميلهما ودفعاً لعقوقهما.

ولدكم مازن

مقدمة اللجنة العلمية

بات التفسير احدى ضرورات المعرفة التي لا يستغني عنها أيُّ مجتمع متحضر، ويستطيع أيُّ مجتمع بغض النظر عن انتمائه الديني أن يؤسس لحضارته من خلال المعطيات المعرفية القرآنية، فهي انسانية التعاطي مع كل مفردات الحياة، ومعنى هذا أن يكون المجتمع الإسلامي الأكثر ارتباطاً بالقرآن الكريم متحملاً لمسؤليته حيال الحركة التفسيرية التي دأب عليها النبي وأهل بيته عليهم السلام وقدّموا القواعد الأساس للتفسير القرآني بشكلها المنطقي وبما ينسجم والحاجة الإنسانية بكل توجهاتها، الا ان التراث التفسيري حينما غادرنا بسبب مستجدات السياسة الطائشة التي ارتكبتها دوائر أموية – عباسية أطاحت بالرؤية التفسيرية التي تبناها أئمة أهل البيت وألغت السياسة الكثير من التراث التفسيري الذي نحتاجه اليوم للكشف عن المجاهيل التفسيرية التي لا يمكن مغادرتها دون البحث في اسرارها أو الوقوف على قواعدها، وهذا لم يمنع من البحث الجدي في أسس التفسير وقواعده علماً أن الآخر من أول الأمر أسس لنفسه رؤيته التفسيرية الخاصة البعيدة عن أهل البيت عليهم السلام وجعل توجهاته التفسيرية تنسجم مع دواعي الحاكم وتوجهات

السلطة وتمادى أحياناً للاتكاء على اسرائيليات بثها بعضهم في مطاوي المدونات التفسيرية واستسهل نقلها وجعلها من ضمن تراثه التفسيري وأسس عليها رؤيته الدينية وهو أمر مقلق حقاً في المجال التفسيري، اذ يدعو ذلك الى تغيير المنهج المعرفي القرآني ليجرده عن عطائه الالهي واناقته العلمية التي شهدت بها كل التوجهات الفكرية، من هنا فلابد من التصدي لايقاف هذه الخروقات التفسيرية والتقاطعات المعرفية وذلك من خلال الوقوف على التفسيرات الجلية التي قدمها أئمة أهل البيت عليهم السلام كونهم القيمون على القرآن لأنهم عدله وهم الثقل الآخر لكتاب الله الذي أودعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الأمة فمنهم تأخذ واليهم ترجع، الا أن ذلك لا يستقيم الا من خلال جهدٍ تفسيري مبذول يقف على قواعد تفسيرية ومنهجية معرفية تأخذ بالمفسر الى مديات المعرفة التفسيرية.

من هنا تصدى سماحة الشيخ مازن شاكر التميمي الى بحث موسوم (أصول وقواعد التفسير الموضوعي للقرآن)، حيث فرّق بين التفسير والتأويل وقدّم بحثاً في الطريق المعرفية في القرآن الكريم وأشار الى اسس التفسير الموضوعي وشروطه ونماذجه فكان بحثاً موفقاً وقف على الكثير من مهام التفسير التي يحتاجها المفسّر والباحث بل وكل قارئ يطمح للوصول الى معالم المنهجية التفسيرية الموضوعية.

عن اللجنة العلمية

السيد محمدعلي الحلو

مُقَدِمَةُ البَحْثِ

وتشتمل على التالي:

١- بيان موضوع البحث

التفسير الموضوعي أُسلوب من أساليب تفسير القرآن الكريم تطور في العقود الأخيرة تطوراً ملحوظاً حتى برز بثوبه الجديد على الساحة التفسيريّة مكتسباً مكانةً مميزة لدى الكثير من المفسِّرين لاسيّما في العصر الحديث، وقد اكتسب هذه المكانة المرموقة بسبب نتائجه الرائعة التي أثبتت أنّ القرآن الكريم كتاب مقدّس مواكب للحياة البشريّة وتطورها، وعلى الرغم من هذه المنزلة نرى أنّ هناك من يُشكك في اعتباره وحُجيّة نتائجه مدعياً أنّه ليس من التفسير بشيء، فتارة قال عنه: أنّه تفسير محرّم؛ لأنّه من الهرمونيطيقيا المحرمة، وأُخرى قال هو من الاستنباطات القرآنيّة، وغيرها من المدعيات التي تدلل على عدم وضوح هذا الأُسلوب التفسيري لدى المستشكل الّذي بنى إشكاله على اعتبار التفسير وحُجيته إنَّما يترتب على الفهم الصحيح للقرآن الكريم، وهو أمر لا يتأتى إلّا إذا اشتمل التفسير القرآني على الأُصول والقواعد المشروعة والمعتبرة في الحُجيّة للوصول إلى كشف المراد الإلهي، والتفسير الموضوعي ليس له

أُصول ولا قواعد يستند إليها، لذا فهو في أحسن حالاته استنبطات قرآنية، وفي أسوأها تفسيراً محرّماً.

٢- سبب اختيار البحث

لقد كان السبب في اختيار هذا الموضوع للبحث إدراك أهمية هذا النوع من التفسير القرآني، وقد راودتني فكرة إثبات مشروعيّة التفسير الموضوعي وحُجيّة نتائجه منذ بداية دراستنا التخصصية في التفسير وعلوم القرآن، حيث وجدنا أنّ أهمية ذلك في:

أوّلاً: إنّ هذا البحث سيسهم في تثبيت التفسير الموضوعي كنوع من أنواع التفسير المشروع والمعتبر، ويدفع عنه شبهة التفسير بالرأي والتفسير الهرمونيطيقي وبالتالي اعتماد نتائجه التي تسهم في حل المشكلات الإنسانية.

ثانياً: إنّ هذا البحث في واقعه يُشكِّل إثارة للباحثين والدارسين في التفسير وعلوم القرآن لتعميق البحث في المبادئ النظريّة لهذا الأُسلوب من التفسير، وبالتالي تطوير البحث العلمي فيه، إذ وجدنا أن البحوث السابقة فيه تكاد تكون معدومة، وما وُجد منها فهو قليل وضيق الدائرة وسطحي.

٣- أهمية البحث

إنّ التفسير الموضوعي ظاهرة متجددة في منهجية كشف المراد الإلهي (التفسير) لم تكن تُعرف سابقاً في علم التفسير بثوبها الجديد في العقود المتأخرة، له معطيات عظيمة تفتح آفاقاً جديدة تسهم في حل المشاكل البشريّة المُتجددة والمتكثِّرة وترد الشبهات الناتجة عن النظرة الجزئية للآيات القرآنية، وقد أشكل

على بعض الباحثين والمتخصصين في التفسير القرآني تصوره أن يكون من التفسير المشروع والمعتبر لعدم إبراز مبادئه النظريّة من قبل المهتمِّين به بشكل بيّن وواضح، وإثبات أنّ لهذا النوع من التفسير أُصول وقواعد تجري وفقها عمليّة كشف المراد الإلهي يحل هذا الإشكال، ومن هنا كانت أهميته.

٤- بيان أهداف البحث

وهي:

أوّلاً: الحصول على شهادة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن الكريم.

ثانياً: إثبات أنّ التفسير الموضوعي تفسير معتبر لاشتماله على أُصول وقواعد.

ثالثاً: إثبات أنّ التفسير الموضوعي من نوع التفسير الجائز وليس المحرّم.

رابعاً: توسيع البحث لدى المفسِّرين عن المبادئ النظريّة لهذا النوع من التفسير.

خامساً: رفد المكتبة العلميّة التفسيريّة بالبحوث التأصيليّة النظريّة للتفسير الموضوعي.

٥- فرضيّة البحث

إنّ فرضيّة البحث في هذا الكتاب ذات شقين متعلّقين بالمبادئ النظريّة للتفسير الموضوعي للقرآن الكريم، وهما:

الأوّل: إنّ للتفسير الموضوعي أُصولاً يستند إليها في ضبط عمليّة التفسير.

الثاني: إنّ للتفسير الموضوعي قواعداً يستند إليها في استكشاف المقاصد القرآنيّة.

٦- الدراسات السابقة في البحث

إن ما كُتب عن التفسير الموضوعي بالاصطلاح الحديث، لم يتناول دراسة المبادئ النظريّة بشكل مختص، بل ذُكرت فيه على نحو مختصرات أو إشارات متفرقة في بطون الكتب، ولم نعثر في طول الفترة الزمنية منذ بدايته وحتى الآن على دراسة واحدة اشتملت على أُصوله وقواعده مجتمعة في مؤلَّف واحد، سوى رسالة مقدمة لنيل الماجستير إلى مؤسسة الإمام الخميني للتعليم والبحث في الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران، حملت عنوان: «مباني تفسير موضوعي قرآن»، وترجمتها: (مباني التفسير الموضوعي للقرآن) للباحث محمّد رضا أمين، وهي لم تُناقش بعد.

وأمّا بالنسبة إلى قواعد التفسير الموضوعي فلم نعثر على من كتب فيها بعنوان صريح وواضح مستقل، ولكنّها ذُكرت كمباحث ضمنية في بعض المؤلَّفات وهي:

أوّلاً: «المدخل إلى التفسير الموضوعي» لعبد الستار فتح الله سعيد المطبوع من قبل دار التوزيع والنشر الإسلاميّة في جمهوريّة مصر العربيّة سنة(١٤١١ق)، حيث أسس فيه للتفسير الموضوعي خمسة قواعد تناولها بشكل مختصر وغير واضح بما يتناسب وأهمية الموضوع.

ثانياً: «التفسير الموضوعي بين النظريّة والتطبيق» لصلاح عبد الفتاح الخالدي، المطبوع من قبل دار النفائس للنشر والتوزيع في المملكة الأُردنيّة

الهاشميّة سنة(١٤١٨ق)، حيث تبنّى القواعد التي طرحها عبد الستار فتح الله سعيد في كتابه: «المدخل إلى التفسير الموضوعي» مع بعض التوسعة في التوضيح فقط.

وقد كُتبت في الآونة الأخيرة دراسة لمحمّد فاكر الميبُدي تحت عنوان: «قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة» طُبعت من قبل المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة في الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران سنة(١٤٢٨ق)، تناول فيها الباحث قواعد التفسير الموضوعي كمُلحق بقواعد التفسير العام، حيث ذكر اثنتي عشرة قاعدة، كان خمسة منها ممّا ذكره عبد الستار فتح الله سعيد، وسار عليه صلاح عبد الفتاح الخالدي، ولم يتجاوز ذكره لها الاختصار والاقتضاب.

٧- حدود البحث

إنّ حدود هذا البحث هي: علم التفسير؛ علم أُصول الفقه؛ علم الفقه؛ علم الحديث؛ علم الفلك، علم الأديان(المقارن).

٨- الجديد في هذا البحث

لابُدّ أن ننظر إلى هذا البحث على أنّه خطوة أوّليّة على الطريق لندرته، ولاشك أنّ الدراسات الآتية سوف تكون أكثر نُضجاً وإحكاماً، ومع هذا يمكن القول أنّ جديد هذا البحث يتلخص بالتالي:

أوَّلاً: إنّ البحث في أُصول التفسير الموضوعي بحث غير مسبوق.

ثانياً: توسيع البحث في قواعد التفسير الموضوعي.

ثالثاً: تقديم دراسة نظريّة ميزت التفسير الموضوعي عن التفسير المحرّم،

بعد اعتقاد بعض المفسِّرين والباحثين المختصين في التفسير وعلوم القرآن بأنّه: نوع (تفسير بالرأي) أو (تفسير هرمونيطيقي).

٩- منهجية البحث

قُسِّم البحث إلى خمسة فصول اشتمل كُل منها على مدخل للفصل وأربعة مباحث وهي كالآتي:

أوّلاً: مباحث الفصل الأوَّل:

المبحث الأوَّل: تعريف مفردات البحث.

المبحث الثاني: تاريخ التفسير الموضوعي.

المبحث الثالث: أهمية التفسير الموضوعي.

المبحث الرابع: الاختلاف بين التفسير الموضوعي والتفسير الترتيبي.

ثانياً: مباحث الفصل الثاني:

المبحث الأوَّل: طرق البحث القرآنيّة.

المبحث الثاني: طرق البحث في التفسير الموضوعي.

المبحث الثالث: خطوات البحث في التفسير الموضوعي.

المبحث الرابع: أضرار طريقة التفسير الموضوعي.

ثالثاً: مباحث الفصل الثالث:

المبحث الأوَّل: ماهية العمل في التفسير الموضوعي وتميّزه عن الهرمونيطيقيا.

المبحث الثاني: مفهوم أُصول التفسير الموضوعي.

المبحث الثالث: أُصول التفسير الموضوعي الصدوريّة.

المبحث الرابع : أُصول التفسير الموضوعي الدلاليّة.

رابعاً: مباحث الفصل الرابع :

المبحث الأوَّل: بحوث تمهيديّة في قواعد التفسير الموضوعي.

المبحث الثاني: أقسام قواعد التفسير.

المبحث الثالث: القواعد العامّة المُتعلِّقة بالتفسيرغالباً.

المبحث الرابع : القواعد الخاصة بالتفسير الموضوعي.

خامساً: مباحث الفصل الخامس :

المبحث الأوَّل: هدف القرآن الكريم من إرسال الرسل عليهم السلام.

المبحث الثاني: عناصر المجتمع في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: مصداق من عنده علم الكتاب في تفسيري الطوسي والفخر الرازي، وقصة صلب النَّبيّ عيسى عليه السلام بين الأناجيل الأربعة والقرآن الكريم.

المبحث الرابع : جريان الشمس في القرآن والعلم الحديث.

وخاتمة تضمنّت النتائج التي توصل إليها الباحث.

ومجموعة من التوصيات.

والمصادر والمراجع.

الفَصْلُ الأَوَّلِ

كُلِّيَاتُ البَحْثِ

مدخل الفصل

إنّ من المتعارف عند أهل العلم أنّهم يبدؤون دراساتهم العلميّة بالتعرف على مباديء البحث قبل الدخول في مسائله، ونريد بالمبادئ هنا: ما كان ثابتاً بدهاً ولايحتاج إلى الاستدلال والبرهان، وقد اتضح في العلوم «أنّ المبادئ هي التي تتوقف عليها مسائل العلم»[1]، لذا فإنّ مقصودنا بمبادئ البحث في أُصول وقواعد التفسير الموضوعي هو: التعريفات والتقسيمات والعلاقات والفروق وغيرها ممَّا يُبحث عنه في كُلِّيات المباحث.

وقد قسّمنا الفصل بناءاً على ذلك إلى أربعة مباحث هي:

(١) الشريف الجرجاني، علي بن محمد بن علي، كتاب التعريفات، ص: ١٣٨، رقم: ١٢٥٠.

المبحث الأوَّل: تعريف مفردات البحث

أوّلاً: التفسير

ذكرت كتب اللُغة للفظة التفسير أقوالاً عديدة تناولت مادة الكلمة، والأصل الاشتقاقي لها، وتفعيلها وما يدل عليه هذا التفعيل، وما تدل عليه من معنى، وخلاصة هذه الأقوال، هي:

إنّ كلمة التفسير مصدر فَسَّرَ بتشديد السين، وهي تفعيل يدل على الكثرة والمبالغة، فيه أصل واحد مستعمل في البيان والكشف والإظهار لكُل شيء مادي أو معنوي بتوضيحه وتفصيله وشرحه، اختُلف في مصدر اشتقاقه، هل هو اشتقاق كبير من سَفَرَ أو اشتقاق صغير من فَسَرَ، إلاّ أنّ هذا الاختلاف لم يؤثر في معناه(1).

---

(1) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج7، ص: 247-248؛ ابن فارس، أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللُغة، ص: 818، تحقيق: محمّد عوض مرعب وفاطمة محمّد أصلان؛ الجوهري، اسماعيل بن حمّاد، الصحاح تاج اللُغة وصحاح العربيّة، ج2، ص: 781، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار؛ الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمّد، المفردات في غريب القرآن، ←

وقد ذكرت كلمة التفسير في القرآن الكريم مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[١]، بمعنى الكشف والبيان بتفصيل[٢].

أما أهل الفن، فقد تناولوا كلمة التفسير كاسم لعلم خاص يسمّى: (علم التفسير) من جهة[٣]، وكلمة دالّة على (فعل معيّن) من جهة أخرى[٤]، والذي يعنينا في هذا البحث هي الجهة الثانية، وعليه، ومن خلال

ص: ٤١٢ و٦٣٦، تحقيق: صفوان عدنان الداودي؛ الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، ج٣، ص: ٤٠١، تحقيق: سيّد أحمد الحسيني.

(١) سورة الفرقان: ٣٣.

(٢) انظر: البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج٤، ص: ١٢٤، تحقيق: محمّد عبد الرحمن المرعشلي؛ السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور في تفسير المأثور، ج٥، ص: ٧٠؛ الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص: ٤.

(٣) الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، ج٢، ص: ٢٨٤، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي وجمال حمدي الذهبي وإبراهيم عبد الله الكُردي؛ أبو حيان الأندلسي، محمّد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، ج١، ص: ٢٣، تحقيق: صدقي محمّد جميل؛ الثعالبي، عبد الرحمن بن محمّد، جواهر الحسان في تفسير القرآن، ج١، ص: ٤١، تحقيق: محمّد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود؛ الزرقاني، محمّد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج٢، ص: ٧، تحقيق: محمّد علي قطب ويوسف الشيخ محمّد.

(٤) الطوسي، محمّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج١، ص: ٢، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي؛ الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج١، ص: ١٣، تحقيق: محمّد جواد البلاغي؛ الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، ص: ٤٢٢ و٢٨٦؛ الحكيم، محمّد باقر، علوم القرآن، ص: ٦٦؛ معرفة، محمّد هادي، التفسير والمفسِّرون في ثوبه القشيب، ج١، ص: ١٤.

تتبع كلماهم، فقد وجدنا أن كلمة التفسير كفعل تعني في كلماهم: الكشف والإظهار لمعاني الكلمات القرآنيّة مفردة أو بمجموعها التركيبي، مع الالتفات للقرائن والمصادر المعتبرة، وأصول المحاورات العقلانيّة وقواعد اللُغة العربيّة[١].

وهذا هو ذات تعريف محمّد حسين الطباطبائي القائل أن التفسير، هو: «بيان معاني الآيات القرآنيّة والكشف عن مقاصدها ومداليلها»[٢]؛ لأنّ المراد بالبيان هنا هو الكشف والتفصيل والدلالة[٣]، والمعاني جمع معنى: مفهوم الكلام ومراده ومقاصده[٤].

وأمّا المداليل: جمع مدلول، فهي المعنى والمراد والهدف الّذي ينبغي الوصول إليه من خلال اللفظ أو التركيب، والمراد الجدّي الاستعمالي، الّذي يُكشف عادة من خلال القرائن المعتبرة وخصوصيات ظرف النزول و...، وتمثل جميعها مراحل الفعل التفسيري[٥].

---

(١) رضائي أصفهاني، محمّد علي، منطق تفسير قرآن: (فارسي)، وترجمته: (منطق تفسير القرآن)، ج١، ص: ٢٨.

(٢) الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص: ٤.

(٣) انظر: الفيض الكاشاني، ملّا محسن، الأصفى في تفسير القرآن، ج٢، ص: ٨٦٧، تحقيق: محمّد حسين درايتي ومحمّد رضا نعمتي؛ الطبري، محمّد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، ج١٩، ص: ٩؛ الأبياري، إبراهيم، الموسوعة القرآنيّة، ج١٠، ص: ٤١٦، رقم: ٣٣، إشراف: إبراهيم عبده.

(٤) انظر: رجبي، محمود، بحوث في منهج تفسير القرآن الكريم، ص: ١٨، ترجمة: حسين صافي فرجي.

(٥) انظر: المصدر نفسه.

ثانياً: التأويل

تنويهان

قبل البدء بتعريف التأويل لابُدّ من ذكر تنويهين:

التنويه الأوّل: إنّ الغرض من طرح هذا المبحث هو: معرفة أنّ معنى التأويل مرادف لمعنى التفسير أو لا، كذا أثر ذلك؛ إذ لو كان مرادفاً، فسوف تكون أصوله ومبانيه وقواعده واحدة، فيترتب عليه شموله بالبحث، وإلّا فالعكس صحيح.

التنويه الثاني: إنّ المعاجم اللُغوية المتقدمة هي التي ذكرت المعنى اللُغوي للتأويل، وأمّا المتأخرة فهي وإن كانت قد ذكرت معنى التأويل على أنّه لُغوي، إلّا أنّه لا يعدو كونه من تعاريف العلماء المشتغلين بالعلوم الدينية، ممَّا يعني أنّ المعنى المذكور للتأويل في هذه المعاجم معنى اصطلاحي وليس لُغوي.

«فالتأويل وإن كان ظاهرة لغوية ترتبط باللّفظ والدلالة أساساً، إلّا أنّه لم يستعمل كمصطلح في البيئة اللُغوية بقدر ما استعمل في الدراسات الدينيّة، وعليه نرى أنّ هذه اللفظة قد وردت في المعاجم اللُغوية القديمة والحديثة تحمل أكثر من معنى، ومعانيها: المرجع والمصير، التغيير، الوضوح والظهور، التفسير والتدبّر، ويمكن لنا ملاحظة أنّ المعنيين الأوَّليين متقاربان في الدلالة، كذلك الآخرين، إذ يمكن القول بناءاً على ذلك أنّ لكلمة التأويل في المعاجم لكلا الجيلين معنيين هما: المرجع والمصير، التفسير والتدبّر»[1].

---

(١) عبد الغفار، أحمد، النص القرآني بين التفسير والتأويل، ص: ٦٦-٦٨، (ملخص).

معنى التأويل

إنّ ما ذكرته الكتب اللغوية في بيان معنى كلمة: التأويل، لا يختلف كثيراً عمّا تناولته من وجهات نظر خاصة بخصوص كلمة التفسير، ومن خلال مراجعتنا لها يمكن القول:

إنّ كلمة (التأويل) مصدر (أوْل)، وتعني في الأصل: (ابتداء الأمر وانتهاؤه)، وهو خارج عن محل كلامنا، و(العود إلى كذا)، ومنه: (المآل)، أي: مايؤول إليه الشئ، و(الموئل)، أي: المرجع، و(الآل)، أي: من يؤول إليهم الشخص، وهم: (الأهل).

و(الأوَّل) بالرجوع والمبتدأ خلاف العائد، لأنه يُبنى على ما بعده، لذلك سمّي المتقدم: (أوَّل).

ومعنى التأويل بناءاً على ماتقدم، يرجع إلى: (ما يؤول إليه الكلام، أو ما أوِّل به، أو ما تأوَّل به)، والإرجاع هذا إنما يكون إلى هدف معيّن، سواء كان علماً كما في قوله تعالى: ﴿ ...وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ... ﴾[1]، أو فعلاً، مثل قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ... ﴾[2] [3].

وبعبارة أُخرى، وبناءاً على ما سبق من القول:

---

(١) سورة آل عمران: ٧.

(٢) سورة الأعراف: ٥٣.

(٣) ابن فارس، أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللُغة، ص: ٨١-٨٢؛ الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمّد، المفردات في غريب القرآن، ص: ٩٩؛ ابن منظور، جمال الدين محمّد بن مكرم، لسان العرب، ج١١، ص: ٣٢؛ الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، ج٥، ص: ٣١٢؛ انظر: مركز الثقافة والمعارف الإسلاميّة، علوم القرآن عند المفسِّرين، ج٣، ص: ١٩٠.

فإنّ التأويل تفعيل مأخوذ من الأوَّل معناه الرجوع أو الإرجاع ورد الشيء إلى حقيقته، وهي إمّا عِلماً أو فعلاً.

وأما في القرآن الكريم، فقد ذكرت كلمة: التأويل في سبعة عشر موضعاً، توزعت على سبع سور قرآنيّة[١]، وكانت لها عدة معاني، هي[٢]:

بيان العلل الغائيّة والأسرار والأعمال المشفّرة وفلسفة الأحكام، بعبارة أُخرى توجيه العمل المتشابه كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عليّهِ صَبْرًا﴾[٣].

وحقيقة الأمر، أو وقوع الأمر المخبر عنه مسبقاً كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ...﴾[٤].

ومآل الأمر وعاقبته كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[٥].

وتفسير وتعيين المراد كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الّذِي أَنزَلَ عليّكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الّذِينَ فِي

---

(١) وهي سورة: آل عمران: ٧؛ النساء: ٥٩؛ الأعراف: ٥٣؛ يونس: ٣٩؛ يوسف: ٢١ و٢٣ و٣٧ و٤٤ و٤٦ و١٠٠ و١٠٢، الإسراء: ٤٦؛ الكهف: ٧٨ و٨٤.

(٢) انظر: الدّامغاني، الحسين بن محمّد، الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، ج١، ص: ١٩٧ـ ١٩٨، تحقيق: محمّد حسن أبو العزم الزّفيتي.

(٣) سورة الكهف: ٧٨.

(٤) سورة الأعراف: ٥٣.

(٥) سورة النساء: ٥٩.

قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ ﴾(١).

وتعبير الرؤيا كما في قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا... ﴾(٢).

ومن خلال التدقيق في المعاني القرآنيّة نجدها منحصرة بين التأويل البياني بالمعنى المصدري: وهو بيان المرجع والموئل، كما في قصة صاحب موسى عليه السلام، إذ أخبر عمّا سيقع، لا عن أُمور لم تتحقق بعد، وإلى هذا المعنى يرجع تأويل المتشابه قولاً.

والتأويل الموئلي، أي: نفس ما يؤول إليه الشيء، وهي الحقيقة الخارجية، فإنّ إتيان التأويل هنا لا يكون من مقولة القول، بل هو نفس الأمر الخارجي.

وأمّا تأويل الرؤيا، فيدخل تحت هاتين الحيثيتين(٣).

وأما في الأحاديث فلها معاني مختلفة أهمها: (البطن)، وهو مقصود مراد المتكلِّم، ومصداق الآيات القرآنيّة(٤).

وقد ذكر أهل الفن والاختصاص، أنّ (التأويل) دائر بين معاني عديدة، هي: (التفسير، وإرجاع ظاهر اللفظ من المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح

---

(١) سورة آل عمران: ٧.

(٢) سورة يوسف: ١٠٠.

(٣) فاكر الميبُدي، محمّد، قواعد التفسير لدى الشيعة والسُنّة، ص: ٢٤، (بتصرف).

(٤) راجع: رضائي أصفهاني، محمّد علي، منطق تفسير قرآن، ج١، ص: ١٨٠-١٨١.

بسبب وجود دليل يدل عليه، وبطن القرآن، وتفسير الرؤيا، وعاقبة المر ونهاية الشئ، والحقيقة العينية، والإشارات والرموز الباطنية)[1]، ومن خلال التدقيق فيها، يظهر أنها تصب في اتجاهين:

ألأوّل: ما جاء في اصطلاح القدماء من المفسِّرين في حدود القرن الرابع والخامس الهجري من دون خلاف، بأنّ التفسير مرادف للتأويل.

والثاني: في اصطلاح المتأخرين بأنّه: (المعنى المخالف لظاهر اللّفظ)، وهو بهذا يتحد أحياناً مع التفسير الصحيح المعتبر إذا كانت قرائنه النقليّة والعقليّة قطعيّة، وأُخرى يتباين معه إذا كانت قرائنه بخلاف ذلك، كذا إذا كان بمعنى: (الحقيقة العينيّة الخارجيّة والواقعيّة).

وقد تفاوت المفسِّرون والمحققون في تحديد النسبة بينهما، فبعضهم لم يتطرّق إليها أصلاً، وبعضهم أكثر من القول: إنّ التفسير أعمّ من التأويل، وآخرون حددوا النسبة بالتباين استناداً للمعنى والاستعمال، وبالتدقيق في اتجاهات الآراء في تحديد النسبة يظهر أنّ الرأي الأصوب هو الأخير لوجود اتحاد وافتراق بينهما، فبعض معاني التأويل تتحد مع التفسير، وبعضها تتباين

---

(١) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج١، ص: ٣٩؛ البغوي، حسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج١، ص: ٣٥، تحقيق: عبد الرزاق المهدي؛ الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، ج٢، ص: ٢٨٥؛ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، التفسير الكبير، ج٢، ص: ١٠٨-١٠٩، تحقيق وتعليق: عبد الرحمن عميرة؛ السيوطي، جلال الدين، التحبير في علم التفسير، ص: ٤٢٣-٤٢٤، تحقيق: زهير عثمان علي نور؛ السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج٢، ص: ٤٦٠، رقم: ٦٢٥٦، تحقيق: سعيد المندوب؛ الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٧؛ المصدر نفسه: ج١٣، ص: ٣٠.

معه مثل: الحقيقة العينيّة الخارجيّة، وبعضها الآخر يكون جزءاً منه كبيان ظاهر الألفاظ[١]، وعليه فإنّ النسبة بين التفسير والتأويل هي: (العموم والخصوص من وجه).

وخلاصة القول: أننا إذا ما أردنا أن نختار التعريف المناسب للتأويل، لابُدّ من الالتفات إلى وظيفة المؤول وماهيّتها، إذ أنّ المؤول كالمفسِّر يبحث عن المراد في كلام الله تعالى، والمراد تارة يكون أمراً معرفياً وأُخرى وجوداً خارجياً، وهما أمران لا يتحصلان من ظاهر اللّفظ، بل من باطنه، وإظهارهما يُعدّ كشفاً معرفياً، ومنه تبيّن أنّ التأويل من مقولة المفهوم لا الحقيقة الخارجيّة، وهو المتعيّن في الاتجاه الثاني.

الفرق بين التفسير والتأويل

إنّ الفرق بين التفسير والتأويل يقع في اللُغة والاصطلاح.

فأمّا اللُغة، فقد فُرِّق فيها بينهما من جهات ثلاث هي:

أوّلاً: إنّ اشتقاق التفسير مأخوذ من الفَسَر أو السَفَر، وهو نوع إظهار وكشف وبيان، بينما التأويل مأخوذ من الأوْل، ومعناه الرجوع.

ثانياً: ذُكِرت للتفسير عدة معاني كُلُّها ترجع لمعنى واحد هو: الإظهار والكشف والبيان، بينما التأويل له ثلاث معانٍ هي: التفسير، الإرجاع، ما يؤول إليه الشيء.

ثالثاً: لم يأت التفسير في اللُغة على أنّه صفة، إلّا عند من قال بترادفه مع التأويل، وهو الرأي السائد عند المتقدمين، بينما استُعمل التأويل كثيراً في

---

(١) انظر: رضائي أصفهاني، محمّد علي، منطق تفسير قرآن، ج١، ص: ١٩٠.

اللُغة والقرآن على أنّه وصف.

وأمّا الاصطلاح فهو ناشئ من اختلاف المفسِّرين والباحثين في علوم القرآن الكريم، إذ وجدت فيه مذاهب كثيرة حُصرت في اثني عشر مذهباً[1]، تلخّصت في اتجاهين: أحدهما قائل بالترادف واتحاد المعنى، والآخر بالاختلاف بنسبة العموم والخصوص المطلق، أي: أنّ التفسير أعمّ من التأويل، وهو أكثر ما عليه المتأخرين من المفسِّرين والمختصين في علوم القرآن الكريم.

ثالثاً: الأصل

(الأصل) كلمة ذات ثلاثة «...أصول متباعدة بعضها عن بعض، معناها: أساس الشيء، والحيّة، وما كان من النهار بعد العشي،...»[2]، والأول هو المعنى بالكلام، وقد ذكرت كتب اللغة معاني أخرى لم تفترق كثيراً إلا في بعض الجهات عن هذا المعنى، مثل: «أصل الشيء ما كان عليه معتمد، و... ما بُديء منه...»[3]، و«... قاعدته ...»[4]، و«أسفل كُل شيء»[5]، و«... أساسه الّذي يقوم عليه ومنشؤه الّذي يبدأ منه، والأُصول أُصول

(١) انظر: الصغير، محمّد حسين علي، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم بين النظريّة والتطبيق، ص: ٢٠ـ٢٢.

(٢) ابن فارس، أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللُغة، ص: ٦٢.

(٣) العسكري، أبو هلال، معجم الفروق اللُغوية، ص٢٨٦، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي.

(٤) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمّد، المفردات في غريب القرآن، ص: ٧٩.

(٥) ابن منظور، جمال الدين محمّد بن مكرم، لسان العرب، ج١١، ص: ١٦؛ الفيومي، أحمد بن محمّد بن علي، المصباح المنير، ج١، ص: ١٦؛ الفيروز آبادي، مجد الدين محمّد بن يعقوب، القاموس المحيط، ج٣، ص: ٣٢٨.

العلوم التي تُبنى عليها قواعدها»[1]، حيث نلحظ في هذه الكلمات أنها اتفقت على أن الأصل يعني: (أسفل الشئ والمُستند الذي يعتمد عليه وقاعدته)، ولكنها ميزت بين ماكان في الاستناد (مبدأ الشئ ومنشاؤه) وبين ما لم يكن كذلك، فسمّت الأوّل: (بالأساس)، والثاني: (بالأصل)، ومن هنا كان الأساس لا يستعمل بمعنى الأصل بخلاف القاعدة التي تستعمل بمعناه في بعض الموارد.

وقد استعمل القرآن الكريم كلمة: (الأصل) بنفس المعنى اللغوي، وذلك في قوله تعالى: ﴿... أَصْلُهَا ثَابِتٌ...﴾[2]، والتصريح بالاثبات فيه مفهوم في الأقوال اللغوية، وميّز[3] بين ماكان (أساساً) كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾[4]، وبين ما كان (أصلاً) كما في قوله تعالى: ﴿...قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا...﴾[5].

وأما في الاصطلاح فقد كانت كلمات المختصين تصب في صياغة المفهوم التالي للأصل:

إنّ الأصل هو: (الأساس والمستند الملحوظ فيه النسبة لما يُبنى فوقه؛ والأصل بهذا موافق للمبنى، ومفهوم سيّال في جميع العلوم، لذا احتاج إلى

---

(١) مجموعة من المؤلِّفين، المعجم الوسيط، ج١، ص: ٢٠.

(٢) سورة إبراهيم: ٢٤.

(٣) انظر: العسكري، أبو هلال، معجم الفروق اللُغوية، ص: ٥١؛ قسم القرآن لمجمع البحوث الإسلاميّة، المعجم في فقه لغة القرآن وسر البلاغة، ج٢، ص: ٤١٩-٤٢١.

(٤) سورة الصافات: ٦٤.

(٥) سورة الحشر: ٥.

التخصيص بإضافته إلى العلم المبحوث فيه لتشخيصه)[١].

وفي أي علم كان الأصل لابُدّ وأن تتوفّر فيه شروط أساسية ليصُح الاستناد إليه، وهي:

الشرط الأوّل: أن يكون مفتقَراً إليه.

الشرط الثاني: أن يكون قائماً بذاته.

الشرط الثالث: أن يكون ثابتاً لا يتغيّر.

وهذه الثلاثة تجتمع في المبادئ التصوريّة والتصديقيّة لأي بحث؛ لأنّها ممَّا يجب الإطلاع عليه ومعرفته واختياره قبل الدخول في أي بحث علمي، والأُصول بهذا المعنى عامّة تُخصّص بحسب البحث.

وتجدر الإشارة إلى وجود مصطلحات تشبه في معناها الأُصول، منها مصطلح (المبادئ) و(المباني)، لا يمكن معرفة الفرق بينها مالم تُعرف معانيها.

فأمّا **(المبنى)**، فقد ذُكر معناه آنفاً، وأمّا **(المبادئ)**، فتُطلق على: «ما كان ثابتاً بدهاً، ولا يحتاج إلى الاستدلال والبرهان»[٢]، ومعروفة في العلوم بأنّها: «التي تتوقف عليها مسائل العلم، كتحرير المباحث وتقرير المذاهب...»[٣]،

(١) الشريف الجرجاني، علي بن محمّد بن علي، كتاب التعريفات، ص: ٢٤، رقم: ١٥٧، الكُبيسي، خليل، علم التفسير أصوله وقواعده، ص: ٨٢؛ السمعاني، أبو مظفر، قواطع الأدلّة في الأصول، ص: ٢٢١؛ علي، محمّد صنقور، المعجم الأصولي، ج١، ص: ٢٥٨، رقم: ٩٦؛ فاكر الميبُدي، محمّد، قواعد التفسير لدى الشيعة والسُنّة، ص: ٣٤.

(٢) فاكر الميبُدي، محمّد، قواعد التفسير لدى الشيعة والسُنّة، ص: ٣٦.

(٣) الشريف الجرجاني، علي بن محمّد بن علي، كتاب التعريفات، ص: ١٣٨، رقم: ١٢٥٠.

وهي على قسمين: (تصوريّة وتصديقيّة).

وممَّا تقدم تبيّن أنّ:

(المبادئ) ما يجب معرفته قبل الدخول في مسائل العلم، وهي في بحثنا التعريفات، والتقسيمات، والعلاقات، والفروق، وغيرها ممَّا يُبحث عنه في كُلِّيات البحث، وهي بهذا شبيهة **(بالمباني)** إلّا أنّ الفرق بينها وبين المباني هو: **(أنّها تختلف باختلاف الأفكار والنظريات، بخلاف المبادئ التي تكون ثابتة كونها تحتل موقع الأساس في البحث)**، ونموذج ذلك هو: إنّ الباحث حينما يذهب إلى أنّ القرآن موحى من الله تعالى إلى نبيّه الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم يلتزم بقدسية نصه وخلوه من الخطأ والاشتباه ويصح عنده جعله ميزاناً يَلجأ إليه في المتشابهات وما شاكل.

وعليه، فإنّه يمكن إجمال ما تقدم بالقول: إنّ المبادئ هي: **(المسائل التي يجب معرفتها قبل الدخول في البحث)**.

وأمّا المباني فهي: **(ما اتخذها الباحث أساساً لبحثه؛ لذا فهي تختلف باختلاف الفكر والرأي، وهي مُرادفة لمعنى الأصل)**.

رابعاً: القاعدة

القاعدة لغة: «... أساس البيت، ... وقعائد الرمل وقواعده: ما ارتكن بعضه فوق بعض»[1]، تدل مادتها على «... أصل مطّرد منقاس لا يُخلِف، وهو يضاهي الجلوس، وإن كان يُتكلّم في مواضع لا يُتكلّم فيها

---

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج١، ص: ١٤٢.

بالجلوس، يقال: قعد الرجل يقعد قعوداً... وقواعد البيت أساسه...»[١]، وتطلق المادة في غير مورد الإنسان أيضاً كقولنا: «... قَوَاعِدُ البِنَاءِ: أساسه»[٢]، و«... وفي التنزيل: ﴿وإِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وإِسْماعِيلُ...﴾/ [سورة البقرة: ١٢٧]، وفيه: ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ...﴾/ [سورة النحل: ٢٦]، قال الزجّاج: القَواعِدُ أَساطِينُ البناء التي تَعْمِدُه. وقَواعِدُ الهَوْدَج: خشبات أَربع معترضة في أَسفله تُركَّبُ عِيدانُ الهَوْدَج فيها. قال أَبو عُبيد: قواعد السحاب أُصولها المعترضة في آفاق السماء شُبّهت بقواعد البناء ...»[٣].

و: «... قوله: ﴿وإِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ الْقَواعِدَ...﴾/ [سورة البقرة: ١٢٧] القواعد جمع القاعدة، وهي الأساس لما فوقه رفع القواعد البناء عليها لأنّها إذا بني عليها ارتفعت...»[٤].

وخلاصة التمعن في هذه الأقوال تظهر لنا:

أنّ المادّة متشكلة من القاف والعين والدال، وهي أصل واحد «... يقابل القيام، وهو جلوس عن قيام أو في موقعيّة قيام، مادياً أو معنوياً أو في جماد»[٥]، اشتُقت مادتها بالاشتقاق الصغير من الجذر الثلاثي (قعد)، ومعناها

---

(١) ابن فارس، أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللُغة، ص: ٨٦٤-٨٦٥.

(٢) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمّد، المفردات في غريب القرآن، ص: ٦٧٩؛ الفيومي، أحمد بن محمّد بن علي، المصباح المنير، ج٢، ص: ٥١٠.

(٣) ابن منظور، جمال الدين محمّد بن مكرم، لسان العرب، ج٣، ص: ٣٥٧.

(٤) الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، ج٣، ص: ١٢٨.

(٥) المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج٩، ص: ٢٩٧.

الأساس الّذي يَعْمِدُ ما يستند إليه.

وفي القرآن الكريم استُعملت المادة في معنيين[1]:

الأوَّل: في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ...﴾[2].

الثاني: في قوله تعالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا...﴾[3].

وقد أجمعت كلمة أغلب المفسِّرين على أنّ المراد بالقواعد في (الأوَّل) هو: الأُسس والأُصول التي لوحظ فيها النسبة لما يُبنى فوقها، وذلك لأنّ البناء لم يكن تأسيسياً، بل كان عمليّة إحياء للمعالم التي دُرست مسبقاً، أي: مستنداً على جذور (الأسس) كانت موجودة[*].

وفي (الثاني) هو: العجائز(المرأة الكبيرة التي لا تحيض) من النساء[4].

وعليه يتعيّن أنّ معنى القاعدة قرآنياً: **(الأصل المُستَند عليه).**

وفي الاصطلاح فإن القاعدة عند أهل الفن، ما هي إلا: (المفاهيم

---

(١) انظر: الحيري النيسابوري، اسماعيل بن أحمد، وجوه القرآن، ص: ٤٦٦، تحقيق: نجف عرشي؛ القمي، عباس، الدر النظيم في لغات القرآن العظيم، ص: ١٧٩-١٨٠، تحقيق: رضا أُستادي.

(٢) سورة البقرة: ١٢٧.

(٣) سورة النور: ٦٠.

(*) نظراً لوجود الإجماع عند المفسِّرين نعزف عن ذكر المصادر تجنباً للإطناب في الكلام.

(٤) انظر: الطبري، محمّد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، ج١٨، ص: ١٢٧؛ الطوسي، محمّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج٧، ص: ٤٦١؛ القرطبي، محمّد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج١٣، ص: ٣٠٨؛ الفيض الكاشاني، ملّا محسن، الأصفى في تفسير القرآن، ج٢، ص: ٨٥٦.

التصوريّة الكُلِّية التي يتوصل بها إلى استخراج حكم معيّن)، وهي تشمل الضابطة أيضاً، إلا أن الفرق بينهما يكمن في أنّ: «القاعدة تجمع فروعاً في أبواب شتى، والضابطة تجمعها في باب واحد»(١)، وعليه، يمكن تعريفها بأنّها: الحُكم الكُلِّي الّذي يُتَعَرَّف به إلى أحكام جزئياته؛ لأنّهما يقعان كبرى القياس فيه(٢).

الفرق بين الأصل والقاعدة

إنّ الأصل والقاعدة يشتركان في كون كُل واحد منهما أصلاً يُستنَد إليه في البحث العلمي، إلّا أنّهما يختلفان في كون كُل منهما له وظيفته الخاصة التي يؤديها.

فالأصل أو المبنى هو ما بُنيت عليه مسائل العلم، حيث لا يقوم بحث دون وجوده؛ وقد قال بعض المختصين: «يمكن أن نعبر عنها-الأصول أو المباني- بالوجودات التي يعتقد بها الباحث»(٣)، بمعنى أن لا وجود لأي بحث بدونها.

---

(١) السبت، خالد بن عثمان، قواعد التفسير جمعاً ودراسة، ج١، ص: ٣٣.

(٢) الفيومي، أحمد بن محمّد بن علي، المصباح المنير، ج٢، ص: ٥١٠؛ الشريف الجرجاني، علي بن محمّد بن علي، كتاب التعريفات، ص: ١٢١، رقم: ١١١٤؛ مكارم الشيرازي، ناصر، القواعد الفقهيّة، ج١، ص: ٢٣؛ المصطفوي، السيّد محمّد كاظم، مئة قاعدة فقهيّة، ص٩؛ السبت، خالد بن عثمان، قواعد التفسير جمعاً ودراسة، ج١، ص: ٢٣ و٣٠؛ انظر: فاكر الميبُدي، محمّد، قواعد التفسير لدى الشيعة والسُنّة، ص: ٣١-٣٢؛ الحربي، حسين بن علي بن الحسين، قواعد الترجيح عند المفسِّرين، ص: ٣٦.

(٣) قواعد التفسير جمعاً ودراسة، مصدر سابق، ص: ٣٨.

أمّا القواعد فالأمر فيها مختلف تماماً؛ لأنّ ما يُبنى على القواعد هي النتائج التطبيقيّة وليس البحث؛ لذا قيل عنها أنّها بمنزلة التكاليف التي يجب أن تراعى في البحث العلمي[1]، ومن خلال هذا الفرق الرئيسي يظهر لنا فرق آخر هو: إنّ مجال تأثير الأصل أو المبنى مختلف تماماً عن مجال تأثير القاعدة، ولا يكاد يخلو بحث علمي منهما لضرورتهما؛ لأنّهما يقعان كبرى القياس فيه.

خامساً: مناهج التفسيروأسباب تعددها

إن من أهم السمات في قانون ممارسة تفسير القرآن الكريم، أن يكون وفق منهج معيّن: ﴿...لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً ومِنْهاجاً...﴾[2]، حيث ذكر المفسّرون فيها أقوالاً عديدة[3]، استندوا في بعضها إلى اللُغة القائلة بأن

---

(١) انظر: المصدر نفسه.

(٢) سورة المائدة: ٤٨.

(٣) انظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير جوامع الجامع، ج١، ص: ٣٣٤؛ البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج٢، ص: ١٣٠؛ المحلي، جلال الدين، السيوطي، جلال الدين، تفسير الجلالين، ص: ١١٩؛ الفيض الكاشاني، ملّا محسن، الأصفى في تفسير القرآن، ج١، ص: ٢٧٨؛ القرطبي، محمّد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج٦، ص: ٢١١؛ الطوسي، محمّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج٣، ص: ٥٤٥؛ ابن هائم، أحمد بن محمّد، التبيان في تفسير غريب القرآن، ص: ١٥٢، رقم: ٥٠؛ درويش، محي الدين، إعراب القرآن وبيانه، ج٢، ص: ٤٩٢؛ انظر: البلخي، مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، ج١، ص: ٤٨٢، تحقيق: عبد الله محمود شحاته؛ شُبّر، عبد الله، الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين، ج٢، ص: ٨٢؛ انظر: العروسي الحويزي، عبد علي بن جمعة، تفسير نور الثقلين، ج١، ص: ٦٣٩، ح٢٣٦، تحقيق: سيّد هاشم الرسولي المحلّاتي؛ شُبّر، عبد الله، الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين، ج٢، ص: ٨٢.

المنهج هو: (الطريق الواضح المستبين المستقيم، الذي ينهجه (يسلكه) الإنسان للوصول إلى غايته) [١]، وفي الآخر إلى الرواية، ولم يختلف أهل الفن مع هذا المعنى، إلا أنهم شخّصوا[٢] أنّ المنهج عبارة عن: (كيفية كشف واستخراج تستفيد من الوسائل والمصادرالخاصة، لأنها تختلف من منهج إلى منهج)، ومنه أصبحت المناهج متعددة[٣]: كمنهج تفسير القرآن بالقرآن، ومنهج التفسير الروائي(التفسير على أساس السُنَّة)، ومنهج التفسير العلمي(باستخدام العلوم التجريبيّة في فهم القرآن)، ومنهج التفسير الإشاري(العرفاني، الصوفي، الباطني، الرمزي، الشهودي)، ومنهج التفسير العقلي والاجتهادي، ومنهج التفسير بالرأي (المنهج الممنوع في تفسير القرآن الكريم)، و...الخ، وهو يختلف عن الطريقة، لأنها «تطبيق المفسِّر للقواعد والأُسس المنهجيّة التي كانت منهجه في فهم القرآن...»[٤]، وهي على هذا

---

(١) ابن فارس، أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللُغة، ص: ٩٦٤؛ الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمّد، المفردات في غريب القرآن، ص: ٨٢٥؛ ابن منظور، جمال الدين محمّد بن مكرم، لسان العرب، ج ٢، ص: ٣٨٣؛ الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، ج٢، ص: ٥٠٠؛ المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج١٢، ص: ٢٥٧.

(٢) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، التفسير الموضوعي بين النظريّة والتطبيق، ص: ١٧ و٦٠؛ السبحاني، جعفر، المناهج التفسيريّة في علوم القرآن، ص: ٧٣؛ أيازي، محمّد علي، المفسِّرون حياتهم ومنهجهم، ص: ٣٢؛ رضائي الأصفهاني، محمّد علي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيريّة للقرآن، ص: ١٨، تعريب: قاسم البيضاني؛ أبو طبرة، هدى جاسم، المنهج الأثري في تفسير القرآن الكريم، ص: ٢٣.

(٣) انظر: رضائي الأصفهاني، محمّد علي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيريّة، ص: ٢٥.

(٤) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، تعريف الدارسين بمناهج المفسِّرين، ص: ١٨.

أُسلوب خاص.

وأما أسباب هذا التعدد، فلم يكن ذوقياً أو اعتباطياً، بل كان من مقتضيات الضرورة، حيث ذكر المختصون نوعين من الأسباب لنشوءها، هي: **(أسباب ذاتيّة)** وأُخرى **(معرفيّة)**.

فأمّا الأسباب الذاتيّة، فقد حصرها رضائي الأصفهاني في:

١ـ طبيعة القرآن الكريم القاضية بالاعتماد عليه في تفسير آياته.

٢ـ الأمر القرآني[1] القاضي بجعل أقوال وأفعال النَّبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم حُجّة يُرجَع إليها في تفسير كتاب الله تعالى.

٣ـ اختلاف الأُمّة الإسلاميّة بعد النَّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وتفرّقها إلى فرق ومذاهب فقهيّة وكلاميّة.

٤ـ اعتماد الآراء والعقائد الشخصيّة والأهواء النفسيّة.

٥ـ نُمُو العلوم العقليّة والتجريبيّة في القرن الثاني الهجري.

٦ـ تنوع أدوات التفسير ومصادره.

٧ـ الرغبة والحاجة والضرورة الزمانيّة للمفسِّر.

٨ـ ميل المفسِّر نحو التخصّص في جهة تفسيريّة كالأدب أو الكلام أو..

٩ـ الاختلاف في أُسلوب الكتابة.[2]

وأمّا الأسباب المعرفيّة لنشوء المناهج والأَساليب التفسيريّة، فيتطلّب

---

(١) وهو قوله تعالى: ﴿... وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ...﴾، سورة النحل: ٤٤.

(٢) انظر: رضائي الأصفهاني، محمّد علي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيريّة، ص٢٦٣٠.

معرفتها جملة أُمور هي:

١ـ طبيعة البحث التفسيري، وطبيعته المتقومة بالبيان والكشف عن كُل ما هو غير ظاهر من القوالب اللفظيّة، ومن هنا فإنّ المبيّن والكاشف لما خفي حتى ينجح في عمله، يحتاج إلى تحديد طريق يسلكه يتحدد به في البحث، وأدات مناسبة يستخدمها في عمليّة الكشف والبيان، ومن هنا كان لزاماً على كُل مفسِّر أن يُشخِّص طريقه أو منهجه مسبقاً ويشخّص الأداة المناسبة، قبل البدء بأي عمل تفسيري.

٢ـ طبيعة المفسِّر، وهو في بحثنا القوالب اللفظيّة، التي ينتج عن كشفها نوعان من النتائج: الأوَّل عبارة عن مفاهيم مستفادة منها، والثاني معاني مدلول عليها، وهذا الأمر سببه طبيعة اللّفظ الّذي يدل بظاهره على معناه المطابقي أحياناً، والتضمني أحياناً أُخرى، ممَّا يستلزم الغوص في باطنه لبلوغ كُنه مدلوله.

٣ـ الهدف من وجود القرآن الكريم، فمعرفة هذه الأُمور تُعطينا صورة واضحة عن ماهية العمل التفسيري واستلزاماته واحتياجاته، فهو عمل كما يبدو ممَّا سبق متدافع ومتطوّر بطبيعته وواسع الأفق والمجالات.

ومنه يتبيّن أنّ الأسباب هي:

أـ احتياج العمل التفسيري بما هو.

بـ نوعيّة الكشف في العمل التفسيري.

جـ طبيعة المجال المفسَّر.

المنهج المتكامل في التفسير

إنّ من المسلّم لدى أهل الفن والاختصاص: إنّ المناهج التفسيريّة تختلف فيما بينها اختلاف تباين من جهات عديدة هي: المصادر التي تعتمد عليها في التفسير، والأدوات التي يستخدمها المفسِّر في عمليّة الكشف، وطريقة الاستخدام؛ الأمر الّذي يعني أنّ لكُل منهج منها مجاله الخاص ونتائجه التي تترتب عليه، فالمنهج الأثري لا يثمر في الآيات التي تحتاج العقل في منهج تفسيرها، وهكذا؛ إذ لابُدّ من وجود التناسب والتناسق فيما بين نوع المنهج وأدواة الكشف والمجال المكتشف (سواء كان كلمة قرآنيّة أو آية أو مجموعة منها)، ومن هذا الوجه عُدّت بعض المناهج ناقصة وبعضها كاملة، ومن هنا نسأل السؤال التالي: ماهو المنهج التفسيري الكامل؟

الجواب: إنّنا في بداية الأمر نحتاج إلى تحديد المراد والمقصود بـ: (الكامل)، وقد مرَّ معناه في السطور السابقة أعلاه، ومفاده أنّ المنهج الكامل هو: المنهج الّذي ينفع استخدامه في عمليّة الكشف والبيان (التفسير) لجميع الحالات، وهو لا يكون إلاّ إذا كان هذا المنهج يستفيد من جميع الأدوات والمصادر والكيفيات والطرق الصحيحة المعتبرة المقرّة شرعاً وعقلاً ومنطقاً[(١)]، والحديث هنا عن أصل الإمكانية في جمع جميع المناهج فضلاً عن استعمالها، إلّا أنّ الأمر في الاستعمال يختلف لتقييده بالاحتياج.

---

(١) انظر: رضائي الأصفهاني، محمّد علي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيريّة للقرآن، ص: ٢٥.

سادساً: الأُسلوب

ذكر اللغويون أنّ الأُسلوب: «يقال للسَّطْر من النخيل: أُسْلوبٌ. وكُلُّ طريقٍ ممتدٍّ، فهو أُسلوبٌ. قال: والأُسْلوبُ الطريق، والوجهُ، والمَذْهَبُ، يقال: أَنتم في أُسْلُوبِ سُوءٍ، ويُجمَعُ أَسالِيبَ. والأُسْلُوبُ: الطريقُ تأْخذ فيه. والأُسْلوبُ، بالضم: الفَنُّ يقال: أَخَذ فلانٌ في أَسالِيبَ من القول أَي أَفانِينَ منه وإِنَّ أَنْفَه لفي أُسْلُوبٍ إِذا كان مُتكبِّراً...»[1]، وهو: «... الوجه والمذهب، يقال هم في أُسلوب سوء، ويجمع على أَساليب،...وقد سلك أُسلوبه: طريقته وكلامه على أَساليب حسنة،...، والأُسلوب (عنق الأسد)؛ لأنّها لا تتثنى ومن المجاز الأُسلوب»[2].

ومن الأقوال أعلاه يتبيّن:

أنّ لفظ الأُسلوب لفظ مشترك المعنى، ومعانيه هي: (الطريق، الوجه، المذهب، الفن، السَّطر من النخيل، عنق الأسد، طريقة الكلام)، وهي على ضربين: أحدهما مجازي كـ(عنق الأسد)، والآخر حقيقي كبقيّة المعاني، وهي إمّا عامّة بينها نسبة العموم والخصوص المطلق أو خاصة بينها نسبة العموم والخصوص من وجه.

والملاحظ في هذه المعاني على الرغم من اختلافها، أنّ بعضها (الطريق الممتد، الطريق تأخذ فيه) يَصب في معنى واحد، هو: الطريق الخاص، وهو منسجم ومعنى المذهب أكثر من غيره؛ لأنّه مشخص ومعيّن المصداق، وأمّا

---

(١) ابن منظور، جمال الدين محمّد بن مكرم، لسان العرب، ج١، ص: ٤٧٤؛ الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، ج٢، ص: ٨٣.

(٢) الزبيدي، محمّد مرتضى، تاج العروس، ج١، ص: ٣٠٢.

الفن: فالمراد منه الحال أو النوع منه، وهو أخص[١].

أمّا في الاصطلاح: فالأُسلوب مفهوم سيّال في أبواب العلم المختلفة، منها علم التفسير؛ وقد عرِّف بأنّه: «الطريقة الكلاميّة التي يسلكها المتكلِّم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه، أو هو المذهب الكلامي الّذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه، أو هو طابعٍ الكلام أو فنّه الّذي انفرد به المُتكلِّم كذلك»[٢]، وأشار إليه أيازي ضمنياً عند تطرقه إلى ترتيب التفسير، وهو في نظره: (الطريقة)، وعبّر عنها (باللون)[٣].

وقد بيّنه محمّد علي رضائي بأنّه: طريقة كتابة التفسير[٤]، وقيل: «هو كيفيّة تفسير القرآن»[٥].

وبالتدقيق في الأقوال يتبيّن أنّ الأُسلوب ما هو إلا: (الطريقة الخاصة)، وهي شاملة لثلاثة أنواع من الفنون: (الكلام والكتابة والتفسير)، وعليه، فإنّ الأُسلوب فيما نحن فيه من موضوع، يكون عبارة عن: (طريقة بحث لا غير)، ويمكن تعريفه بالتالي:

---

(١) انظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج٥، ص: ٩٧؛ الجوهري، اسماعيل بن حمّاد، الصحاح تاج اللُغة وصحاح العربيّة، ج١، ص: ١٤٩؛ الرازي، محمّد عبد القادر، مختار الصحاح، ص: ١٦٥، تحقيق: أحمد شمس الدين.

(٢) الزرقاني، محمّد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج٢، ص: ٢٧٧.

(٣) انظر: أيازي، محمّد علي، المفسِّرون حياتهم ومنهجهم، ص: ٣٣-٣٧.

(٤) انظر: رضائي الأصفهاني، محمّد علي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيريّة للقرآن، ص: ٣٠ و٣٥.

(٥) الأزرقي، أحمد، منهج السيّد محمّد باقر الصدر في فهم القرآن، ص: ٣١٤.

(الطريقة الخاصة التي يسلكها المفسِّر في بيان المعاني القرآنيّة وكشف المقاصد والدلالات فيها).

أنواع الأساليب التفسيريّة

تُقسّم الأَساليب التفسيريّة إلى أنواع بناءاً على:

أوّلاً: طريقة البحث التفسيري وهي:

١ـ البحث الترتيبي: وهو أُسلوب يتناول فيه المفسِّر آيات القرآن الكريم بالبحث آية آية بحسب ترتيب المصحف أو ترتيب النزول، ويُعدّ من أقدم أَساليب التفسير وطرقه(١)، ويسمى أيضاً: بالتفسير الترتيبي، أو التفسير التجزيئي، أو التفسير الموضعي، ولا تختلف هذه التسميات من حيث المحتوى والمضمون، ولكن الاختلاف وقع في تصنيف هذا النوع من التفسير، هل هو منهج، أم أُسلوب ونمط، أم اتجاه؟

وقد عَدّه بعض الباحثين منهجاً، ومنهم صلاح عبد الفتاح الخالدي الّذي أطلق عليه تسمية (التفسير الموضعي) وقال فيه: «هو الّذي يرجع فيه المفسِّر إلى موضع واحد من القرآن الكريم متتبعاً ترتيب الآيات في سورها، وهذا اللون قد يكون بالمأثور، أو بالرأي المحمود، وقد يكون تحليلاً عند التفصيل، أو إجمالياً عند الاختصار، وقد يكون مقارناً إذا اتبع المفسِّر منهج الموازنة»(٢).

أمّا ناصر مكارم الشيرازي فقد عَدّه من أنماط التفسير وأَساليبه، وأطلق

---

(١) انظر: مكارم الشيرازي، ناصر، نفحات القرآن، ج١، ص: ٥.

(٢) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، التفسير الموضوعي بين النظريّة والتطبيق، ص: ٤٠.

عليه اسم (التفسير الترتيبي) وقال فيه:

«عندما يجري الحديث عن تفسير القرآن تنشدُّ الأنظار نحو التفسير المتعارف -التفسير الترتيبي- حيث يجري بحث آيات القرآن الكريم بالترتيب ويتم توضيح مضمونها وماهيّتها، وهو الأُسلوب المتبع منذ صدر الإسلام وإلى يومنا هذا، وقد قام علماء الإسلام بتأليف مئات أو آلاف الكتب تحت عنوان: (تفسير القرآن الكريم) في هذا المجال»[1].

وأمّا محمّد باقر الصدر، فقد عَدّه اتجاهاً من اتجاهات التفسير، وفسَّره بالمنهج، وأطلق عليه اسم: (التفسير التجزيئي) وعنى به: «المنهج الّذي يتناول المفسِّر ضمن إطاره القرآن الكريم آية فآية، وفقاً لتسلسل تدوين الآيات في المصحف الشريف»[2].

وما من ريب في أنّ كُل أحد له الحق في أن يصطلح كما يشاء، ولكنّنا نرى أنّ عدّ التفسير التجزيئي من الأَساليب هو الأنسب؛ لأنّ المفسِّر إذا اختار منهجاً معيّناً وكان ذا اتجاه فكري معيّن، فإنّه يدوِّن تفسيره بأُسلوبه الخاص، الّذي قد يكون بنحو ترتيبي، أي: يتناول فيه المفسِّر آيات القرآن الكريم بالبحث آية آية بحسب ترتيب المصحف الشريف أو ترتيب نزول آياته وسوره، ويُعدّ هذا الأُسلوب من أقدم أَساليب التفسير وطرقه[3].

٢- البحث الموضوعي: وهو الأُسلوب الّذي يتناول فيه المفسِّر الآيات القرآنيّة ذات العلاقة بموضوع معيّن للخروج بنظريّة قرآنيّة حول

(١) مكارم الشيرازي، ناصر، نفحات القرآن، ج١، ص: ٥.

(٢) الصدر، محمّد باقر، المدرسة القرآنيّة، ص: ٢٠.

(٣) انظر: مكارم الشيرازي، ناصر، نفحات القرآن، ج١، ص: ٥.

ذلك الموضوع، وهو أُسلوب يدور البحث فيه حول محور خاص كُلِّي مثل: (الاقتصاد) و(السياسة) و(الفقه) و...، أو جزئي مثل: محور (الإنسان في القرآن) أو (التقوى في القرآن) أو...، وقد راج هذا الأُسلوب في العقود الأخيرة ودُوّنت فيه مؤلَّفات كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ـ «المدرسة القرآنيّة» لمحمّد باقر الصدر، حيث تناول فيه موضوع السُنن التاريخيّة في القرآن الكريم.

٢ـ «مفاهيم القرآن» لجعفر السبحاني، وهو كتاب في اثني عشر مجلداً بُحثت فيه موضوعات قرآنيّة مختلفة بتفصيل وإحكام، وأصله باللُغة الفارسيّة تحت عنوان: «منشور جاويد».

٣ـ «نفحات القرآن» لمكارم الشيرازي، طُبع في أكثر من عشرة مجلدات، وأصلُهُ باللُغة الفارسيّة تحت عنوان: «پيام قرآن».

٤ـ «التفسير الموضوعي للقرآن الكريم» لسميح عاطف الزين في اثني عشر مجلداً.

٥ـ «من هدى القرآن» لمحمّد شلتوت شيخ الجامع الأزهر وصاحب تفسير: «تفسير القرآن الكريم».

ثانياً: الشمول وعدمه، إذ ينقسم البحث التفسيري على أساسه إلى:

أوّلاً: التحليلي: وهو الأُسلوب الّذي يتولى فيه المفسِّر بيان معاني الألفاظ والبلاغة وأسباب النزول، والحكم واختلاف المفسِّرين والروابط بين

الآيات والمناسبات بين السور ونحو ذلك[١].

ثانياً: الإجمالي: وهو الأُسلوب الّذي يتولى فيه المفسِّر بيان معاني الآيات القرآنيّة وغريب ألفاظها بالتعرض لها بشكل مختصر وواضح[٢].

ثالثاً: نمط الكتابة من حيث الحجم والكميّة[٣]، وهو:

١ـ النمط المفصّل؛ مثل: «تفسير الصافي» للفيض الكاشاني، و(الكاف الشاف) للطبرسي.

٢ـ النمط المتوسط؛ مثل: (تفسير المصفّى) للفيض الكاشاني، و(مجمع البيان في تفسير القرآن) للطبرسي.

٣ـ النمط المختصر؛ مثل: مختصر تفسير الميزان للعلّامة الطباطبائي و(الصافي) للفيض لكاشاني و(جوامع الجامع) للطبرسي، وغيرها.

رابعاً: تناولها لجميع آيات القرآن الكريم وعدمه، فهناك:

١ـ التناول الجامع: وهو الّذي يتناول فيه الباحث جميع الآيات القرآنيّة بالتفسير، كتفسير (مجمع البيان في تفسير القرآن) للطبرسي.

٢ـ التناول الناقص أو غير الجامع: وهو الّذي يتناول فيه الباحث بعض الآيات القرآنيّة، كتفسير القطب الراوندي (أحكام القرآن)، وتفسير البلاغي (آلاء الرحمن).

---

(١) انظر: معرفة، محمّد هادي، التفسير والمفسِّرون في ثوبه القشيب، ج٢، ص: ٨٤٩.

(٢) انظر: معرفة، محمّد هادي، التفسير والمفسِّرون في ثوبه القشيب، ج٢، ص: ٩٣٣.

(٣) انظر: رضائي الأصفهاني، محمّد علي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيريّة للقرآن، ص: ٣٦ـ٣٧.

وممَّا تقدم يلاحظ أنّ للأَساليب التفسيريّة نوعين حقيقيين هما: (الأُسلوب الترتيبي) و(الأُسلوب الموضوعي)، وأمّا بقيّة الأقسام فهي غير مُتعلِّقة بكيفيّة البحث التفسيري، بل بفنون الكتابة، لذا فهي من قبيل الأصناف لا الأنواع.

سابعاً: الموضوع

ذكر الفراهيدي في بيان معنى الموضوع، أنه مأخوذ من: «الوضع: مصدر قولك: وضع يضع، والدابّة تضع السير وضعاً [وهو سير دون]، وتقول: هي حسنة الموضوع...»(١)، وأمّا ابن فارس فذكر أنّه: «أصل واحد يدل على الخفض [للشيء] وحطّه، ووضعته بالأرض وضعاً، ووضعت المرأة ولدها، ...»(٢)، وذُكر أنّ: «المَوْضِعُ: المكان. والمَوْضعُ أيضاً: مصدر قولك وضعت الشيء من يدي وضعاً وموضوعاً، وهو مثل المَعْقُولِ، ومَوْضَعاً»(٣)، و«الوَضْعُ أعمّ من الحطّ، ومنه: المَوْضِعُ.... ويقال: وَضَعَتِ الحملَ فهو مَوْضُوعٌ»(٤)، وهو: «ضدّ الرفع، وضَعَه يَضَعُه وَضْعاً ومَوْضُوعاً،.... والمواضِعُ: معروفة، واحدها مَوْضِعٌ، واسم المكان المَوْضِعُ والمَوضَعُ،.... والوَضْعُ أَيضاً: الموضوعُ، سُمّي بالمصدر وله نَظائِرُ، والجمعُ أَوضاعٌ.... ووَضَعَ الشيءَ في المكانِ: أَثْبَتَه فيه. وَضَّعَ الخائِطُ القُطْنَ على الثوب والباني

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج٢، ص: ١٩٥.

(٢) ابن فارس، أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللُغة، ص: ١٠٥٥.

(٣) الجوهري، اسماعيل بن حمّاد، الصحاح تاج اللُغة وصحاح العربيّة، ج٣، ص: ١٢٩٩.

(٤) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمّد، المفردات في غريب القرآن، ص: ٨٧٤.

الحجرَ توْضِيعاً: نَضَّدَ بعضَه على بعض»[(١)].

ويبدو أنّ: «الأصل الواحد في المادّة: هو جعل شيء في محلّ، وهذا المعنى تختلف خصوصياته باختلاف الموارد، ومن مصاديقه: جعل الجنين في محلّ بالتولّد، وجعل شيء وديعة عند شخص أمين، وجعل النفس في محل منخفض معنوياً، وجعل شيء ثابتاً ومستقراً في مكان، وجعل السير والحركة معتدلاً وفي نظم، وجعل السّلاحِ في مستقرٍّ وتركه، ونزول التجارة واستقرارها عن الترفّع»[(٢)].

أمّا خلاصة ما تقدم فهو: أنّ كلمة: (الموضوع) لُغة مأخوذة من الوضع، وهي: اسم مصدر للمصدر(وَضْعْ)، واشتقاقها مأخوذ من جذر ثلاثي هو: الفعل (وَضَعَ)، والمعنى فيها: الخفض والحطّ والإلقاء والتثبيت.

وعليه، فالموضوع لُغة، هو: **(جعل الشيء في مكان ما سواء بإنزاله وتنزيله أو إلقاءه وتثبيته)**.

وقد جاءت في القرآن الكريم بمعاني عديدة، هي: (الحطّ والخفض للشيء والإلقاء والتثبيت)، والملاحظ كثرة استعماله فيه، كما في قوله تعالى: ﴿ ...وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ.. ﴾[(٣)]، وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾[(٤)]، وغيرها من

---

(١) ابن منظور، جمال الدين محمّد بن مكرم، لسان العرب، ج٨، ص: ٣٩٦.

(٢) المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج١٣، ص: ١٣٠.

(٣) سورة الأعراف: ١٥٧.

(٤) سورة آل عمران: ٣٦.

الآيات التي جاءت بنفس الوجه في المعنى[١].

وأيضاً استُعملت بمعنى: (الإسراع في السير) كما في قوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ...﴾[٢]، و(الإحداث والبناء) كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾[٣]، و(الإيجاد والخلق) كما في قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾[٤]، و(إبراز أعمال العباد) كما في قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[٥].

ونلاحظ أن المعنى الأول فقط، هو المعنى المطابق للمعنى اللغوي، لأنّه استعمال بالمعنى الأعم، بخلاف الاستعمالات الأُخرى، حيث جاءت بالمعنى الأخص. ولم يتطرّق الباحثون إلى تعريف الموضوع بمعزل عن الإنتساب، إلّا بعضهم، لذا لم نجد الكثير في هذا الشأن في ما وقع بأيدينا من كتب معجميّة ومصدريّة ومؤلَّفات، وبما أنّه «تقرر لكُل علم موضوعاً»[٦]، فالموضوع مفهوم

---

(١) انظر: الطبري، محمّد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، ج٣٠، ص: ١٠٤؛ الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج١٠، ص: ٧٢٧.

(٢) سورة التوبة: ٤٧.

(٣) سورة آل عمران: ٩٦.

(٤) سورة الرحمن: ١٠.

(٥) سورة الكهف: ٤٩.

(٦) مركز الثقافة والمعارف القرآنيّة، علوم القرآن عند المفسِّرين، ج٣، ص: ١٧٤.

سيّال في جميع العلوم لا يتمايز إلّا بالنسبة للفاعل والمحل[١]، وبالرغم من تعدد العلوم وكثرها، يدور مفهوم الموضوع بين معانٍ أربع[٢] هي:

١- الموضوع مقابل المحمول في القضايا منطقياً.

٢- الموضوع مقابل العَرَض عند الحكماء، حيث ذكروا في بيان العرض والجوهر: إنّ العرض ماهية لو وجدت كان وجودها في نفسها عين وجودها لموضوعها، والجوهر ماهية لو وجدت وجدت لا في موضوع.

٣- الموضوع بمعنى الأصل(المبادئ التصديقيّة).

٤- الموضوع بمعنى محور البحث والحديث في كُل علم وكلام.

وبالتحقيق في هذه المعاني يظهر أنَّ: المعنى الأوَّل غير شامل للقضايا الشرطيّة، كما أنَّ الموضوع فيها لا يبقى موضوعاً دائماً، بل يتحوَّل إلى محمول كما في قضايا عكس المستوي وعكس النقيض[٣]، وأمّا المعنى الثاني فهو غير مطرد في سائر العلوم؛ لأنَّ موضوع بعضها خارجٌ عن العرضيّة والجوهريّة كالإلهيات بالمعنى الأعم[٤]، وفي المعنى الثالث يكون الموضوع جزء منه وقسماً من أقسامه، وهي: (الموضوع، التعريف، المبادئ التصديقيّة)[٥]، وعلى المعنى الرابع فإنّ الموضوع هو محور البحث والحديث ويعطي معنى

---

(١) انظر: اليزدي، محمّد كاظم، حاشية المكاسب، ج١، ص: ٦٤.

(٢) انظر: القطيفي، منير عدنان، الرافد في علم الأُصول، (تقريرات بحث السيّد علي السيستاني)، ص: ٩٥.

(٣) راجع: المظفر، محمّد رضا، المنطق، ج٢، ص: ١٥١.

(٤) الطباطبائي، محمّد حسين، نهاية الحكمة، ص: ٩-١٠، (بتصرف).

(٥) راجع: التفتازاني، سعد الدين، مختصر المعاني، ص: ١٣.

الثبات والتعيين ومحدوديّة المبحوث أو المُتكلَّم فيه، وهو مستفاد من وصفه بالمحور الّذي من خصائصه: التشخّص والثبات والتعيّن، والموضوع بهذا موافق للمعنى اللُغوي والاستعمال القرآني.

وبناءاً على ما تقدم يتبيّن أنّ المعنى المعيّن في الموضوع هو: **(كُل ما كان محوراً للبحث العلمي مطلقاً)**، وهو معنى نوعي خالي من الإنتساب[١]، سيّال في جميع العلوم.

وأمّا إذا نسبناه فسوف يكون معناه شخصياً، وهو السرّ في إلحاقه لغوياً بياء النسبة.

وقد أطلق الباحثون على البحث من هذا النوع اسم: **(البحث الموضوعي)**، بإضافة ياء النسبة إلى (الموضوع)، ومنه قالوا: **(إنّ الموضوعي نسبة إلى الموضوع)**[٢].

النسبة بين الموضوع والموضوعيّة

الموضوعيّة لفظة صيغت على وزن المصدر الصناعي من اسم المصدر (موضوع)، تدلّ على معنى مجرد لم يدل عليه قبل الزيادة، وهذا المعنى المجرد هو مجموعة الخصائص والصفات الخاصة بلفظه، فهو يدل على عدة معاني لا تتصل بالحدث الواقع كما يدل عليه المصدر، بل تتصل بالكينونة الناشئة عن ذلك أو ما يتصل بها[٣]؛ وأمّا اسم مصدره، فهو بمنزلة النوع إلى مصاديقه،

(١) الكاظمي، محمّد علي، فوائد الأُصول، (تقريرات بحث الميرزا النائيني)، ج١، ص: ٩٨، تحقيق: رحمة الله رحمتي الأراكي.

(٢) العمري، أحمد جمال، دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، ص: ٤٤.

(٣) انظر: يعقوب، اميل بديع، موسوعة النحو والصرف والإعراب، ص: ٦٢٦.

فالموضوعيّة في البحث جزء الموضوع.

وعليه يتبيّن أن نسبة الموضوعيّة للموضوع هي: (نسبة العموم والخصوص المطلق)، كون الموضوع أعم مطلقاً باعتباره كُلِّي منطبق على مصاديقه، وهي موضوعاته مجردة عن الخصائص، بينما الموضوعيّة أخص مطلقاً باعتبارها الخاص الّذي لا ينطبق إلّا على مصاديقه[1].

ثامناً: التفسيرالموضوعي

عُرِّف التفسير الموضوعي بتعاريف عديدة منها:

إنّه: «الدراسة الموضوعيّة التي تطرح موضوعاً من موضوعات الحياة العقائديّة أو الاجتماعيّة أو الكونيّة، وتتجه إلى دراسته وتقييمه من زاوية قرآنيّة للخروج بنظريّة قرآنيّة بصدده»[2].

وإنّه: «البحث وراء الحصول على نظريات قرآنيّة ذات محوريّة خاصة بموضوع تمس جوانب الحياة الفكريّة والثقافيّة والاجتماعيّة.. بحثاً من زاوية قرآنيّة للخروج بنظريّة قرآنيّة بشأن تلك المواضيع، فهي مسائل ودلائل ذات صبغة قرآنيّة بحتة.. واستنباطات مستحصلة من ذات القرآن من داخله بالذات»[3].

وإنّه: «جمع الآيات المختلفة حول الموضوع الواحد أو المسألة، والتي جاءت في عموم القرآن المجيد في أحداث ومناسبات مختلفة، وترتيبها بشكل

---

(١) انظر: المظفر، محمّد رضا، المنطق، ج١، ص: ٧٧.

(٢) الصدر، محمّد باقر، المدرسة القرآنيّة، ص: ٢٧.

(٣) معرفة، محمّد هادي، التفسير والمفسِّرون في ثوبه القشيب، ج٢، ص: ١٠٣٧.

يتضح به نظر القرآن حول ذلك الموضوع وأبعاده»[١].

وإنّه: «تفسير القرآن حسب الموضوعات الواردة، بمعنى جمع الآيات الواردة في سور مختلفة حول موضوع واحد ثم تفسيرها جميعاً والخروج بنتيجة»[٢].

وإنّه: التفسير الّذي يقوم المفسِّر فيه «بجمع كُل ما يتعلَّق بالموضوع من آيات ثم يستفيد من طريقة تفسير القرآن بالقرآن، بأن يجعل كُل آية قرينة على فهم الآية الأُخرى ثم الخروج برأي نهائي حول هذا الموضوع القرآني،..»[٣].

وإنّه: «جمع الآيات القرآنيّة المختلفة النازلة في خصوص موضوع واحد في كُل القرآن الكريم لينضج من خلالها نظر القرآن الكريم في هذا الموضوع»[٤].

وإنّه: «بيان ما يتعلَّق بموضوع من موضوعات الحياة الفكريّة أو الاجتماعيّة أو الكونيّة من زاوية قرآنيّة للخروج بنظريّة قرآنيّة بصدده»[٥].

وإنّه: «منهج مستحدث في دراسات القرآن يستهدف سبر أنواع الموضوعات المختلفة من اجتماعيّة وأخلاقيّة وكونيّة وغيرها إمّا من خلال تفسير سورة القرآن باعتبارها كلاً موحداً يُعبّر عن موضوع واحد، أو من

---

(١) مكارم الشيرازي، ناصر، پيام قرآن: (فارسي)، وترجمته: (وحي القرآن)، ج١، ص: ٢١.

(٢) السبحاني، جعفر، مفاهيم القرآن، ج١، ص: ٨.

(٣) رضائي الأصفهاني، محمّد علي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيريّة للقرآن، ص: ٣١١.

(٤) إيزدي مباركة، كامران، شروط وآداب تفسير ومفسِّر: (فارسي)، وترجمته: (شروط وآداب التفسير والمفسِّر)، ص: ٣٦٨.

(٥) مسلم، مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي، ص: ١٦.

خلال تفسير آيات جمعت لبناء موضع تُشَكِّل الآيات عناصره الأساسيّة، والغرض فيهما هو الخروج بتصور سليم حول الموضوع أو نظريّة علميّة فنيّة»[1].

وبالتحقيق في هذه التعاريف يتضح التالي:

أوّلاً: إنّ التعاريف أعلاه اشتركت في أساسياتها العامّة من قبيل كون الدراسة دراسة قرآنيّة شاملة ونفي ما عداها، وأنّها تدور حول موضوع معيّن، وتعتمد آليّة جمع الآيات، وتهدف إلى الخروج بنظرة قرآنيّة حول الموضوع المبحوث.

ثانياً: إنّ بعض التعاريف كتعريف محمّد باقر الصدر ومحمّد هادي معرفة ومصطفى مسلم، أشارت إلى أنّ الموضوع المبحوث في التفسير الموضوعي موضوع حياتي من خارج القرآن الكريم، وفيه نوع تخصيص للموضوع إذ يشترط فيه الارتباط بالحياة بمختلف جوانبها، والالتزام به يُخرج العديد من الموضوعات الشاملة في موضوعها كالمفردات القرآنيّة أو ما شاكل.

ثالثاً: إن تعريف كامران إيزدي مباركة قيّد الآيات المجموعة بخصوص الموضوع المبحوث فيه بالآيات النازلة فيه، وهي أخص من الآيات المُتعلِّقة بالموضوع كالتي ذكرها تعريف مصطفى مسلم وناصر مكارم الشيرازي وأحمد الرحماني، والأُولى لا تفي بغرض التفسير الموضوعي.

رابعاً: إنّ تعريف محمّد باقر الصدر ومحمّد هادي معرفة أقرب إلى الدراسة الموضوعيّة القرآنيّة من التفسير الموضوعي وهي أعم، إذ تعتمد الدراسة الموضوعيّة في نتائجها على نتائج التفسير القرآني، وهو لا يناسب

---

(١) الرحماني، أحمد، مصادر التفسير الموضوعي، ص: ٢٦.

التفسير الموضوعي المقارن أو بين القرآن والعلوم الأُخرى، بل يناسب التفسير الموضوعي خارج القرآن الكريم.

خامساً: ورد في تعريف محمّد هادي معرفة لفظ (استنباطات) الّذي قد يصرف الذهن إلى المراد الفقهي من هذه اللّفظة، والصحيح أنّ المراد منها استنطاق القرآن الكريم، الّذي يشبه عمله عمل الاستنباط الفقهي.

سادساً: انفرد محمّد علي رضائي الأصفهاني بذكر المنهج المتبع في الكشف الموضوعي، وهو منهج تفسير القرآن بالقران، وعلى الرغم من جودته إلّا أنّه لا يُعدّ المنهج الأكمل في التفسير كما مرَّ ذكره سابقاً[(١)].

وممّا سبق يتبيّن أنّ التعريف الأنسب للتفسير الموضوعي، هو التعريف الّذي يشير إلى حقيقة التفسير الموضوعي وماهيّته، ولم يُشَر إلى ذلك إلّا في قول السبحاني ومحمّد علي رضائي الأصفهاني، لذا يمكن اعتماد قوليهما كتعريف للتفسير الموضوعي.

الفرق بين التفسير الموضوعي والتوحيدي والتقطيعي والموضعي

إنّ التعابير التي في العنوان أعلاه لا تدل على فرق جوهري بينها، وذلك لأنّها مجرد تسميات لجوهر واحد بلحاظ معيّن بحسب اعتقاد المفسِّر[(٢)]، فهي من جهة بدأها من موضوع واحد وبحثها عن نظريّة قرآنيّة تفسير موضوعي، ومن جهة جمعها بين التجربة البشريّة والقرآن لتعرض نظريّة واحدة في الموضوع فهي تفسير توحيدي، ومن جهة تجزئتها وفصلها للآيات عن سورها

(١) انظر: الفصل الأوَّل من الكتاب تحت عنوان: (المنهج المتكامل في التفسير).

(٢) انظر: الأزرقي، أحمد، منهج السيّد محمّد باقر الصدر في فهم القرآن، ص: ٣٥٤-٣٥٥.

تفسير تقطيعي[١].

وبناءاً على ماسبق فإنّ الفرق بين هذه المصطلحات ليس في الجوهر، فكُلُّها تفسير موضوعي، بل الفرق في بعض اللحاظات الخارجيّة التي أشرنا إليها أعلاه، والنسبة بينها على هذا الحساب العموم والخصوص من وجه.

(١) رضائي أصفهاني، محمّد علي، منطق تفسير قرآن، ج٢، ص: ٣٨٢.

المبحث الثاني: تاريخ التفسير الموضوعي

إنّ حركة التفسير في التاريخ شهدت تطوّراً ملحوظا منذ رحيل النَّبيّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وإلى يومنا الحاضر، والّذي نشهده اليوم من تعدد وتنوع التفاسير لدليل دامغ على ذلك، وقد أكسب هذا التطوّر التفسير تنوعاً وتلوناً إيجابياً استوعب جميع مفرداته، فنرى هناك التفسير الّذي يهتم بالجانب اللفظي والأدبي والبلاغي من النص القرآني، وهناك التفسير الّذي يهتم بجانب المحتوى والمعنى والمضمون، وهناك التفسير الّذي يركّز على الحديث ويفسّر النص القرآني بالمأثور عن الرسول وأهل بيته عليهم السلام، وهناك التفسير الّذي يعتمد العقل أيضاً كأساس من أُسس التفسير وفهم كتاب الله سبحانه وتعالى، وهناك التفسير المتحيّز الّذي يتخذ مواقف مذهبيّة مسبقة ويحاول أن يُطبّق النصّ القرآني على أساسها؛ وهناك التفسير غير المتحيّز الّذي يحاول أن يستنطق النص القرآني ويُطبّق الرأي على القرآن لا القرآن على الرأي، وإلى غير ذلك من الاتجاهات المختلفة في التفسير الإسلامي.

وقد كان هذا الاستيعاب والشمول يسير على طول التاريخ من النشوء وحتى العصر الحاضر باتجاهين حكم أحدهما قروناً طويلة قبل أن يكسر حكومته الآخر، وهما الاتجاه التجزيئي في التفسير، والاتجاه الموضوعي، حيث

اختلف الباحثون والمختصون في التفسير وعلوم القرآن في بداية نشوءه وظهوره أكان مع ظهور التفسير في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أم في زمن متأخر عن ذلك، إذ ساد في هذا الخلاف رأيان رئيسيان هما:

الأوَّل: إنّ التفسير الموضوعي كان في زمن الرسول الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وقد ذكروا لذلك صوراً عديدة [١]:

الصورة الأُولى: وجود نماذج من التفسير الّذي مارسه النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في زمانه مبنيّة على وحدة الموضوع، وهي ما عُرفت فيما بعد بتفسير القرآن بالقرآن، ومثالها:

١- ما ورد عن النَّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في تفسير (الظلم) في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[٢] بـ (الشرك)، إذ شقّ على المسلمين ذلك عند سماعهم الآية المباركة، وشكوا إلى النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ما شقّ عليهم، فقرأ قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[٣]، وفسَّر (الظلم) (بالشرك) استناداً إلى هذه الآية[٤].

٢- أيضاً ما ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم في تفسير (مفاتح

---

(١) انظر: السبحاني، جعفر، مفاهيم القرآن، ج١٠، ص: ٣٥٨-٣٨٠.

(٢) سورة الأنعام: ٨٢.

(٣) سورة لقمان: ١٣.

(٤) انظر: البروجردي، سيّد حسين، تفسير الصراط المستقيم، ج١، ص: ٩، تحقيق: غلام رضا مولانا بروجردي؛ ابن عاشور، محمّد بن طاهر، التحرير والتنوير، ج١، ص: ٤٨؛ الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج٧، ص: ٢١١.

الغيب) في قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ...﴾(١) أنّه قال: مفاتح الغيب خمسة، ثم تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(٢)، فالآية الثانية ذكرت خمسة موارد غيبيّة شملت كُل محاور الغيب، وهي: (علم الساعة؛ إنزال الغيث؛ ما في الأرحام؛ مَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا؛ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ(٣).

٣- الأخبار المنقولة عن السلف لاسيّما أئمة أهل بيت النَّبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، منها ماجاء في تفسير وجوه الكفر مروياً عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في كتاب بحار الأنوار للعلّامة محمّد باقر المجلسي: «وأمّا الكفر المذكور في كتاب الله تعالى فخمسة وجوه: منها كفر الجحود، ومنها كفر فقط، والجحود ينقسم على وجهين: كفر الترك لما أمر الله تعالى به، وكفر البراءة، ومنها كفر النعم، فأمّا كفر الجحود فأحد الوجهين: جحود الوحدانيّة، وهو قول من يقول: لا ربّ ولا جنّة ولا نار ولا بعث ولا نشور وهؤلاء صنف من الزنادقة، وصنف من الدهريّة الّذين يقولون: ﴿... وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ...﴾/ [سورة الجاثية: ٢٤]، وذلك رأي

---

(١) سورة الأنعام: ٥٩.

(٢) سورة لقمان: ٣٤.

(٣) انظر: الثعلبي، أحمد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج٤، ص: ١٥٤؛ الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٤، ص: ٤٨٠؛ السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور في تفسير المأثور، ج٣، ص: ١٥؛ اللّاري، عبد الحسين، مجموع الرسائل(المحكم والمتشابه)، ص: ٤٨٠.

وضعوه لأنفسهم استحسنوه بغير حُجّة فقال الله تعالى: ﴿... وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾ / [سورة البقرة: ٧٨]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ / [سورة البقرة: ٦]، أي: لا يؤمنون بتوحيد الله.

والوجه الآخر من الجحود هو: الجحود مع المعرفة بحقيقته، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا...﴾ / [سورة النّمل: ١٤]، وقال سبحانه: ﴿...وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ / [سورة البقرة: ٨٩]، أي: جحدوه بعد أن عرفوه. وأمّا الوجه الثالث من الكفر فهو: كفر الترك لما أمر الله به وهو من المعاصي، قال الله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ إلى قوله: ﴿... أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ...﴾ / [سورة البقرة ٨٤-٨٥]، فكانوا كفّاراً لتركهم ما أمر الله تعالى به، فنسبهم إلى الإيمان بإقرارهم بألسنتهم على الظاهر دون الباطن، فلم ينفعهم ذلك لقوله تعالى: ﴿... فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ إلى آخر الآية.

وأمّا الوجه الرابع من الكفر فهو: ما حكاه تعالى عن قول إبراهيم عليه السلام: ﴿... كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ...﴾ / [سورة الممتحنة: ٤]، فقوله: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾: أي تبرّأنا منكم، وقال سبحانه في قصة إبليس وتبرّيه من أوليائه من الانس إلى يوم القيامة: ﴿... إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ...﴾ / [سورة إبراهيم

٢٢]، أي: تبرّأت منكم، و... .

وأمّا الوجه الخامس من الكفر فهو: كفر النّعم قال الله تعالى عن قول سليمان عليه السلام: ﴿... هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ... ﴾ / [سورة النّمل: ٤٠]، وقوله عزّ وجلّ: ﴿... لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ / [سورة إبراهيم: ٧]، وقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾ / [سورة البقرة: ١٥٢]»[1]، ثم يجمع الآيات الواردة في الشرك وأقسامه الأربعة، أي: شرك القول والوصف، وشرك الأعمال، وشرك الزنا، وشرك الرياء.

وقد رُويت على غرار هذا أحاديث كثيرة نجتنب ذكرها تحاشياً للإطناب ذُكرت في كتاب نهج البلاغة وغيره من كتب الحديث، ككتاب أُصول الكافي لمحمّد بن يعقوب الكُليني، وكتاب وسائل الشيعة للحر العاملي و...

٤ـ الكتب المؤلّفة والمصنّفة في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، كذلك كتب المفردات القرآنيّة، مثل: كتاب: «الأشباه والنظائر في القران الكريم» لمقاتل بن سليمان البلخى (ت١٥٠هـ)؛ كتاب: «التصاريف» وهو فيما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه ليحيى بن سلام (ت٢٠٠هـ)؛ كتاب: «المفردات في غريب القران» للراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)؛ كتاب: «نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر» لابن الجوزي(ت٥٩٧ هـ)؛ كتاب: «إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم» للدامغاني(ت٤٧٨هـ)؛ كتاب: «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز» للفيروز آبادي(ت٨١٧هـ)؛

---

(١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٦٩، ص: ١٠٠-١٠١، ح٣٠.

كتاب: «كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر» لابن العماد (ت٨٨٧ هـ).

٥- الكتب المؤلَّفة والمصنَّفة في موضوع قرآني أو موضوع في علوم القرآن، مثل: كتاب: قتادة بن دعامة الدوسي (ت١١٨هـ) في موضوع الناسخ والمنسوخ وهو أوّل من ألَّف فيه؛ كتاب: «مجاز القرآن» لأبي عُبيدة معمّر بن المثنى (ت٢١٠هـ)؛ كتاب: «أسباب النزول» لأبي علي المديني (ت٢٣٤هـ) وهو أوّل من ألَّف فيه؛ كتاب: «الناسخ والمنسوخ» لأبي عُبيد القاسم بن سلام(ت٢٤٤هـ)؛ كتاب: «النار في القرآن» لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)؛ كتاب: «الناسخ والمنسوخ» لأبي داود السجستاني (ت٢٧٥هـ)؛ كتاب: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة(ت٢٧٦هـ)؛ كتاب: «الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم» لأبي جعفر النحّاس أحمد بن محمّد(ت٣٣٨هـ)؛ كتاب: «أمثال القرآن» للماوردي (ت٤٥٠هـ)؛ كتاب: «أسباب النزول» للواحدي (ت٤٦٨هـ)؛ كتاب: «مجاز القرآن» للعزّ بن سلام (ت٦٦٠هـ)؛ كتاب: «أسباب نزول القرآن» لأبي الفرج ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)؛ كتاب: «البيان في أقسام القرآن» لابن القيّم الجوزية (ت٧٥١هـ).

٦- الكتب المؤلَّفة والمصنَّفة في آيات الأحكام والتي عمدت إلى جمع الآيات المُتعلِّقة بهذا الموضوع مثل: كتاب: «أحكام القرآن» لابن العربي المالكي(ت٥٤٣هـ)، كذلك للإمام الطحاوي(ت٣٢١هـ) الّذي جمع الآيات في أبواب تخصّها، كذلك للفقيه الحنفي الجصّاص(ت٣٧٠هـ)، كذلك للكيَّا الهرَّاس الشافعي(ت٥٠٤هـ)، كذلك لإسماعيل بن اسحاق القاضي (ت٢٨٥هـ).

٧- الكتب المؤلَّفة والمصنَّفة في الفقه والحديث، حيث قسمت أبوابها وفق موضوعات موحدة، ففي كتب الفقه مثلاً نجد أنَّها مقسّمة إلى كتب: ككتاب الطهارة أو النكاح أو المباراة أو...، وفي كتب الحديث إلى أبواب مثل: باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، و... الخ، وأمّا في بعض كتب الحديث كموسوعة **«بحار الأنوار»** للعلّامة محمّد باقر المجلسي(ت١١١١ هـ)، فهو بالإضافة إلى تقسيمه إلى أبواب بحسب الموضوع، تصدَّر كُل باب مجموعة من الآيات القرآنيّة ذات العلاقة بموضوع الباب، يتبعها توضيحات تفسيريّة وأبواب الموضوع الّذي كُل واحد منها جانباً من جوانب الموضوع، وهو ما يعتبر محاولة للتفسير الموضوعي بحسب الاصطلاح الحديث.

٨- الكتب المؤلَّفة والمصنَّفة في التفسير ككتاب: «حقائق التأويل في متشابه التنزيل» للسيد الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ)، والّذي تناول فيه تفسير الآيات المتشابهة في عشرة أجزاء لم يصلنا منها إلّا جزء واحد، وأيضاً كتاب: «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» لأبي الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ)، والّذي اعتنى فيه بمسألة التناسب بين السور، مركّزاً في بعض صفحاته على ترتيب أجزاء السورة، مستهدفاً الوقوف على معرفة مقصود السورة القرآنيّة.

الصورة الثانية: إنّ التفسير الموضوعي ظهر متأخراً، وقد عُبِّر عن هذا التأخر بألفاظ عديدة منها: (العصر الحديث)(١)؛ (العصر الأخير)(٢)؛ (العقود

---

(١) انظر: السبحاني، جعفر، مفاهيم القرآن، ج١، ص: ١٣-١٦؛ البيومي، محمود رجب، إسلاميات، ج٣٧، ص: ٩٢-٩٤.

(٢) معرفة، محمّد هادي، التفسير والمفسِّرون في ثوبه القشيب، ج٢، ص: ١٠٣٥.

الأخيرة)[١]، كما أنّ الباحثين اختلفوا في تحديد زمان بداية الظهور، فبعضهم لم يحدد وبعضهم حدد بأن بداية ظهوره كانت في القرن الرابع عشر الهجري[٢] وتحديداً في عام (١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م)، حيث كتب (أحمد الكومي) في هذا العام مذكرات تدريسيّة في التفسير الموضوعي درّسها في كُلِّيّة أُصول الدين في الأزهر، ثم أعقب ذلك رسالة دكتوراه مقدمة إلى الأزهر أيضاً في عام (١٩٦٧م) تحت عنوان: «الوحدة الموضوعيّة في القرآن»، ثم شهد التفسير الموضوعي تحوُّلاً في عام (١٩٧٩م) عندما ألَّف محمّد باقر الصدر كتاباً في التفسير الموضوعي أسماه بـ: «المدرسة القرآنيّة»، وقد كان سبب التحوِّل أنّ الدراسة خرجت عن إطار الدراسة الموضوعيّة داخل القرآن، وهكذا استمر التطوّر في هذا النوع من التفسير إلى يومنا الحاضر.

إنّ هذا التحديد للتأريخ يبدأ من يوم جعل التفسير الموضوعي مادة درسية بشكل رسمي، وهو صحيح في ذاته، وليس كذلك إذا ما أردنا أن نؤرخ لحقبة زمنية، إذ توجد دراسات وبحوث منشورة قبل ذلك الوقت في التفسير الموضوعي، وبالتحديد في عام (١٩٥٣م-١٣٧٢هـ)، حيث نشر أحمد الترباص بحوثاً قرآنيّة موضوعيّة في مجلّة الأزهر في الأعداد: أربعة وعشرون وخمسة وعشرون وستة وعشرون وسبعة وعشرون على التوالي، وكانت تلك البحوث تحمل عناوين قرآنيّة مختلفة من جملتها: «العزّة في القرآن» و«الرجولة في القرآن» و«الزلزال في القرآن» وغيرها من

(١) رضائي الأصفهاني، محمّد علي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيريّة للقرآن، ص: ٣١٢.

(٢) الرومي، فهد بن عبد الرحمن، بحوث في أُصول التفسير ومناهجه، ص: ٦٢؛ مسلم، مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي، ص: ١٧.

البحوث[١].

أمّا في العقد الأخير فقد ظهرت دراسات ومؤلَّفات كثيرة في التفسير الموضوعي أشرنا إلى بعض منها في هذا الفصل مسبقاً تحت عنوان: (أنواع الأَساليب التفسيريّة- بحسب طريقة البحث- الأُسلوب الموضوعي)، ونُشير إلى بعضها الآخر هنا، وهي:

١- كتاب: «التفسير الموضوعي للقرآن المجيد» لعبد الله جوادي الآملي، وهو من الفقهاء والفلاسفة والمفسِّرين المعاصرين، وقد طُبع في أكثر من خمسة عشر مجلداً.

٢- كتاب: «المعارف القرآنيّة» لمحمّد تقي مصباح اليزدي، وهو من الفلاسفة والمفسِّرين المعاصرين، وقد طُبع في سبعة مجلدات.

٣- كتاب: «منطق تفسير القرآن» الجزء الّذي يحمل رقم ثلاثة لمحمّد علي رضائي الأصفهاني الأُستاذ المشارك في جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم العالميّة بمدينة قم المقدسة، وهو كتاب درسي تضمّنت فصوله أَساليب التحقيق في التفسير وعلوم القرآن، ومنها أَساليب التحقيق في التفسير الموضوعي أو طرق التفسير الموضوعي.

ومن خلال ما سبق يظهر أنّ البحث في تاريخ التفسير الموضوعي تارة يقع عن مفهوم عام، وآخر عن مصطلح خاص، فإذا كان الأوَّل: فإن التفسير الموضوعي ليس بجديد على بساط الدراسات القرآنيّة، لكنّه لم يكن مستقلاً بذاته كما هو اليوم[٢]، بل قديم بقدم التفسير، وتطوّر معه منذ زمن

(١) انظر: الشرباصي، أحمد، قصة التفسير، ص: ١١٣-١١٤.

(٢) راجع: الذهبي، محمّد حسين، التفسير والمفسِّرون، ج١، ص: ١٤٨-١٤٩.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحتى يومنا الحاضر.

أمّا إن كان البحث في تاريخ المصطلح، فالمصطلح حديث ظهر في القرن الرابع عشر الهجري، وأخذ بالتطوّر منذ ذلك الحين وإلى ساعتنا هذه، فهو في تقدم وازدهار.

أقسام التفسير الموضوعي

قُسّم التفسير الموضوعي من قبل الباحثين والمتخصصين إلى نوعين من التقسيم:

الأوَّل: جرت القسمة فيه على أساس وجود الموضوع ومنشأه[1]، وهو إمّا تفسير موضوعي باطني يتحدد بحدود القرآن الكريم، أو تفسير موضوعي خارجي لا يتحدد بحدوده.

والثاني: جرت القسمة فيه على أساس عدد الموضوعات التي تناولها البحث الموضوعي[2]، وهو إمّا اتحادي يتناول موضوعاً قرآنياً واحداً في بحثه، أو ارتباطي يجمع بين موضوعين كالإيمان والعمل مثلاً.

وقد قسّم فتح الله سعيد تقسيماً ثالثاً على أساس وحدة الغاية فقط أو الغاية والمعنى، وكان تقسيمه كالتالي:

١ـ التفسير الموضوعي العام، وهو ما كان بين أطراف موضوعه وحدة في الغاية فقط.

---

(١) معرفة، محمد هادي، التفسير والمفسِّرون في ثوبه القشيب، ج٢، ص: ١٠٤٢ـ١٠٤٣.

(٢) علوي مهر، حسين، روش ها وگرايش هاى تفسيري: (فارسي)، وترجمته: (مناهج واتجاهات التفسير)، ص: ٦٢.

٢- التفسير الموضوعي الخاص، وهو الّذي يقوم على وحدة الغاية والمعنى بين أطرافه وأفراده، فتكون الرابطة بينهما خاصة وقريبة[1].

وسيأتي توضيح هذه الأقسام بشكل أكثر تفصيلاً في الفصل الثاني من هذا المؤلّف.

أشكال التفسير الموضوعي

من خلال ما تقدم في تاريخ التفسير الموضوعي، يظهر أنّه لم يكن على شكل واحد، بل أشكال متعددة عبّروا عنها بالألوان، أي: ألوان التفسير الموضوعي، وقد أجمع أغلب الباحثين على ثلاثة منها[2] على اختلاف طفيف بينهم، وأضاف لها محمّد باقر الصدر لوناً رابعاً انفرد به، والألوان هي:

أوّلاً: تتبع لفظ أو مصطلح في القرآن الكريم، وهو ما اعتنت به كتب الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، وكذلك المفردات القرآنيّة.

ثانياً: تتبع موضوع في القرآن الكريم، وهو ما اعتنت به كتب آيات الأحكام وأمثالها.

ثالثاً: تتبع سورة في القرآن الكريم على اعتبار أنّ فيها وحدة موضوعيّة وترابط بين آياتها يرمي إلى هدف معيّن هو موضوع البحث في هذه السورة القرآنيّة أو تلك، ولعلّ من الدراسات الجيّدة التي قُدمت في هذا المجال هي:

---

(١) سعيد، عبد الستار فتح الله، المدخل إلى التفسير الموضوعي، ص: ٢٤-٢٥.

(٢) انظر: الخالدي، صلاح عبد الفتاح، التفسير الموضوعي لمصطلحات القرآن، (التفسير والتأويل في القرآن)، ص: ١٤-١٦؛ الرومي، فهد بن عبد الرحمن، بحوث في أُصول التفسير ومناهجه، ص: ٦٢؛ مسلم، مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي، ص: ٣٧.

دراسة محمود البستاني الّتي حملت عنوان: «عمارة السورة القرآنيّة».

رابعاً: طرح موضوع من موضوعات الحياة -على القرآن الكريم-، ودراسته دراسة موضوعيّة، وتقييمه من أجل الخروج بنظريّة قرآنيّة حول هذا الموضوع[1]، وهو ما طرحه الصدر، حيث ألقى محاضرات بهذا الصدد طُبعت فيما بعد تحت عنوان: «المدرسة القرآنيّة».

(١) انظر: الصدر، محمّد باقر، المدرسة القرآنيّة، ص: ٢٧.

المبحث الثالث: أهمية التفسير الموضوعي

إنّ أهمية التفسير الموضوعي تكمن في مقدار ما يلبي من احتياجات ضرورية وغيرها، وقد ذكر الباحثون المختصون: إنّ التفسير الموضوعي تفسير لبى الحاجة في معرفة موقف الإسلام في كثير من القضايا المطروحة[1] التي لها تأثير في تكييف الحياة الدينيّة في ظل الإسلام والقرآن[2]، وهذا الأمر لم يكن بالإمكان تحصيله في المناهج أو الأَساليب التفسيريّة الأُخرى، وهو لا يعنى الاستغناء به عن غيره؛ لذا فقد عبّر عنه بعض الباحثين بأنّه: **«الثورة التفسيريّة الكُبرى»**[3].

قال مكارم الشيرازي: «للتفسير الموضوعي فوائد: منها: إزالة الإشكالات التي تبرز في بعض الآيات للوهلة الأُولى، وحلّ المتشابه في القرآن، ومنها: الإطلاع على ظروف وأسباب ونتائج المواضيع، والأُمور المختلفة المطروحة في القرآن، ومنها: الحصول على تفسير جامع بشأن المواضيع، مثل: التوحيد، ومعرفة الله، والمعاد، والعبادات، والجهاد، ومواضيع مهمة أُخرى،

(١) الأزرقي، أحمد، منهج السيّد محمّد باقر الصدر في فهم القرآن، ص: ٣٥٩.

(٢) معرفة، محمّد هادي، التفسير والمفسِّرون في ثوبه القشيب، ج٢، ص: ١٠٤٠.

(٣) السبحاني، جعفر، منشور جاويد: (فارسي)، وترجمته: (الميثاق الخالد)، ج١، ص: ١١.

ومنها: الحصول على أسرار وإيحاءات جديدة من القرآن من خلال إلحاق الآيات بعضها ببعض»[(١)].

وذكر رضائي الأصفهاني في ذلك ست نقاط دوّنها تحت عنوان: (فوائد التفسير الموضوعي) نقل أربع منها عن كتاب: «پيام قرآن» وترجمته: (وحي القرآن) لناصر مكارم الشيرازي، وتفرّد باثنتين منها هي:

١ ـ الحصول على الرأي النهائي للقرآن حول موضوع معيّن.

٢ ـ الإجابة على الأسئلة الجديدة للبشر بالاستفادة من آيات القرآن[(٢)].

أمّا صلاح الخالدي فقد قال: «التفسير الموضوعي هو تفسير هذا العصر، وهو تفسير المستقبل أيضاً، وله أهمية كبرى عند المسلمين، وحاجتهم إليه ماسّة، وهذا التفسير الموضوعي يحقق للمسلمين فوائد عديدة: من حيث صلتهم بالقرآن الكريم، وترفهم على مبادئه وحقائقه، ومن حيث تشكيل تصوراتهم وتكوين ثقافاتهم، ومن حيث عملهم على إصلاح أخطائهم، وتكوين مجتمعاتهم، ومن حيث حسن العرض على القرآن والإسلام على الآخرين، والوقوف أمام الأعداء والمخالفين»[(٣)].

ثم عرض الخالدي ستة عشر مورداً في بيان أهمية التفسير الموضوعي نذكر بعضاً منها:

أوّلاً: التفسير الموضوعي من العوامل الأساسيّة في حلّ مشكلات

(١) مكارم الشيرازي، ناصر، نفحات القرآن، ج١، ص: ١٢.

(٢) رضائي الأصفهاني، محمّد علي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيريّة للقرآن، ص: ٣١٣.

(٣) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، التفسير الموضوعي بين النظريّة والتطبيق، ص: ٤٨.

المسلمين المعاصرة، وتقديم الحلول لها على أساس القرآن.

ثانياً: التفسير الموضوعي وسيلة منهجيّة لتقديم القرآن تقديماً علمياً منهجياً لإنسان العصر، وإبراز عظمة القرآن، وحسن عرض مبادئه وموضوعاته، واستخدام المعارف والثقافات والعلوم المعاصرة وسيلة وأداة لهذا الغرض.

ثالثاً: التفسير الموضوعي كفيل ببيان مدى حاجة الإنسان المعاصر إلى الدين عموماً وإلى الإسلام والقرآن خصوصاً.

رابعاً: بالتفسير الموضوعي تظهر الحيويّة الواقعيّة للقرآن، وتتحقق المهمّة العلميّة الحركيّة للقرآن،...

خامساً: التفسير الموضوعي يتفق مع المقاصد الأساسيّة للقرآن، ويحقق هذه المقاصد والأولويات القرآنيّة في حياة المسلمين.

سادساً: التفسير الموضوعي أساس تأصيل الدراسات القرآنيّة، وعرضها أمام الباحثين عرضاً قرآنياً علمياً منهجياً، وتصويب هذه الدراسات، وحسن تلخيصها ممَّا يطرأ عليها من مشارب وأفكار غير قرآنيّة.

ويبدو أن الخالدي قد بالغ في طرحه لهذه النقاط، لأنّ كثيراً منها لا يختص بالتفسير الموضوعي بل يعم التفسير بكلا قسميه الترتيبي والموضوعي.

ولم يزد الباحثون الآخرون على هذا ولم يختلفوا مع ما ذُكر من فوائد إلّا في العبارات لذا نكتفي بما ذكرنا ونحجم عن غيره.

المبحث الرابع: فوارق التفسير الموضوعي والتفسير الترتيبي

ينقسم التفسير إلى أقسام وأنواع مختلفة، وذلك على أُسس خاصة ولإعتبارات مختلفة منها: الأُسلوب في تناول الآيات القرآنيّة، فهناك الاتجاه (الأُسلوب) الّذي يتناول الآيات القرآنيّة آية فآية من أوّل سورة في القرآن الكريم إلى آخر سورة منه، ويُعرف بالاتجاه الترتيبي أو التجزيئي أو التقطيعي أو الموضعي، وهناك ما يتناول الآيات القرآنيّة بحسب موضوع البحث[1]، وقد جُعِل الاتجاهان في منظومة التفسير أحدهما في مقابل الآخر، وشهد التفسير في ظل الاتجاه الموضوعي ازدهاراً وتطوّراً ملحوظاً كان في عهد الاتجاه التجزيئي[2]، وللوقوف على الأسباب لابُدّ من تكوين انطباعات واضحة عن هذين الاتجاهين، وهو أمر يتضح مع معرفة أوجه التمايز بينهما.

وجوه الاختلاف التفسير الموضوعي والتفسير الترتيبي

هناك أوجه مختلفة للاختلاف بين التفسير الترتيبي والتفسير الموضوعي ذكرها المختصون منها:

---

(١) الصدر، محمّد باقر، المدرسة القرآنيّة، ص: ٢٣-٢٤.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٨.

أوَّلاً: ما ذكره محمّد باقر الصدر: من أنّ هناك نقطتين رئيسيتين للاختلاف بين التفسير الموضوعي والتفسير الترتيبي، وضمّن الباقي في شرحه للنقطتين وما يتعلَّق بهما من أُمور، والنقطتان هما:

«١ـ السلبيّة في الاتجاه التجزيئي والإيجابيّة في الاتجاه الموضوعي.

٢ـ الاتجاه التجزيئي يقدم المدلولات التفصيليّة، والاتجاه الموضوعي يحاول الحصول على النظريّات»(١).

ثانياً: ما ذكره صلاح عبد الفتاح الخالدي وهو:

«١ـ المفسِّر الموضعي ينظر في القرآن وسوره وآياته، فيبدأ منه ويبقى معه وينتهي به،... بينما المفسِّر الموضوعي يبدأ من الواقع الّذي يعيش فيه ويدرك حاجات الأمّة والإنسانيّة في عصره على مختلف جوانبها....

٢ـ المفسِّر في التفسير الموضعي التحليلي يكتفي بتحليل الآيات وجُملها وتراكيبها واستخراج دلالاتها التفصيليّة الجزئيّة.

بينما المفسِّر في التفسير الموضوعي يجمع بين الدلالات التفصيليّة المتفرقة عن: النبوة أو السنن الإلهيّة أو... ليستخرج منها نظريّة قرآنيّة متكاملة متناسقة....

٣ـ المفسِّر في التفسير الموضعي يقدم للمسلمين علماً تفسيرياً نظرياً، ومعلومات تفسيريّة ثقافيّة، ومجالات علميّة متنوعة.

بينما في التفسير الموضوعي يقدم فكراً وحضارةً، وحلولاً قرآنيّة لمشكلات واقعيّة، وحقائق قرآنيّة عن قضايا اجتماعيّة وحضاريّة.

---

(١) المصدر نفسه، ص: ٣٣ـ٣٤.

٤ـ إذا كان التفسير الموضعي التحليلي يخدم الآية والجملة والمفردة القرآنيّة، فإنّ التفسير الموضوعي يخدم مهمّة القرآن ورسالته ووظيفته في حياة المسلمين، ويزيد تفاعل المسلمين مع القرآن وقناعتهم بحقائقه ودعوتهم إليه»[1].

ثالثاً: ما ذكره محمّد علي رضائي الأصفهاني وهو:

«١ـ التفسير الترتيبي يبيّن مدلول الآية بصورة مستقلة عن الآيات الأُخرى، في حين أنّ التفسير الموضوعي ينظر إلى المدلول المركب وبالتالي الحصول على الرؤية القرآنيّة الكاملة.

٢ـ التفسير الترتيبي البحت ينظر إلى زاوية من زوايا الموضوع، ويُعطي رؤيا ناقصة حول المواضيع القرآنيّة، في حين أنّ التفسير الموضوعي يعطي رؤية كاملة وجامعة حول الموضوع القرآني.

٣ـ يُعتبر التفسير الترتيبي مقدمة للتفسير الموضوعي، والقيام بالتفسير الموضوعي من دون الإحاطة والإطلاع على التفسير الترتيبي غيرصحيح؛ لأنّه من خلاله يمكن الحصول على الكثير من القرائن الموجودة في الآيات السابقة واللاحقة (السياق)، ولا يحصل هذا الأمر إذا ما أخذنا بالتفسير الموضوعي وحده.

٤ـ التفسير الترتيبي سلبي وعادة ما يكون بدون الالتفات إلى الآيات الأُخرى في القرآن، ودون طرح نظريّة أو تناول موضوع سابق، أمّا التفسير الموضوعي فهو إيجابي، أي: يقوم المفسِّر بتفسير الآيات مع الإلتفات إلى

---

(١) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، التفسير الموضوعي بين النظريّة والتطبيق، ص: ٤٢ـ٤٣.

الآيات الأُخرى وإعطاء الرأي النهائي للقرآن.

٥ - يبدأ التفسير الترتيبي من النص، أمّا الموضوعي فيبدأ من واقع الحياة البشريّة؛...، وبعبارة أُخرى: التفسير الترتيبي هو توضيح لآيات القرآن دون الإلتفات إلى الحاجات الفعليّة للمجتمع، أمّا التفسير الموضوعي فهو جواب للحاجات البشريّة الفعليّة للمجتمع الإنساني، ولهذا اعتبر من التفسير العلمي التطبيقي.

٦ - التفسير الترتيبي يكون من طرف واحد، والمفسِّر فيه يأخذ دور المنفعل دائماً، على العكس من التفسير الموضوعي، حيث يقوم المفسِّر بدور إيجابي وفعال، وذلك لأنّه يطرح الأسئلة على القرآن ويسعى للحصول على الإجابات منه.

٧- التفسير الموضوعي يؤدي إلى النضج والنمو العلمي أكثر من التفسير الترتيبي، كما حصل ذلك في مجال الحديث،...»[١].

رابعاً: ما ذكره محمّد فاكر الميبُدي وهو:

١- ظهور التناقضات المذهبية وعدمه، وذلك لاقتصاره على الآية التي يواجهها، بخلاف التفسير الموضوعي الّذي يُتَفادى فيه الكثير من الخلافات المذهبية.

٢- سعة الموضوع وضيقه، فإنّ المساحة التي يتحرك بها المفسِّر الموضعي هي القرآن كُلّه، بخلاف التفسير الموضوعي الّذي لا يكون منه إلّا موضوع واحد[٢].

---

(١) رضائي الأصفهاني، محمّد علي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيريّة للقرآن، ص٣١٤.

(٢) انظر: فاكر الميبُدي، محمّد، قواعد التفسير لدى الشيعة والسُنّة، ص: ٤٠٧-٤٠٩.

والمُحصلة ممَّا ذكر:

إنّ هناك فوارق رئيسية بين التفسير التجزيئي (الترتيبي) وبين التفسير الموضوعي، جعلت النسبة بينهما: نسبة العموم والخصوص المطلق، وهي:

أوّلاً: السلبيّة والإيجابيّة في دور المفسِّر

فالمفسِّر التجزيئي يحاول أن يحدد المدلول القرآني على ضوء ما يُسعفه اللفظ مع ما يتاح له من القرائن المتصلة والمنفصلة، والعمليّة بهذا الشكل عمليّة تفسير نص معيّن، وكأن دور النص فيها دور المتحدث ودور المفسِّر فيها الإصغاء والتفهم، وهذا ما نسميه بالدور السلبي، فمثلاً إذا أراد المفسِّر التجزيئي أن يفهم مدلول «الهداية» في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1]، فهُوَ ينظر فيما تدل عليه كلمة (الهداية) لغةً، فيرى أنّهُ «الدلالة»[2]، ويدور في ذات الآية ويبحث عن القرائن الدالّة على المعنى المراد ولا يخرج بأكثر من ذلك، أمّا كيفيّة الدلالة وأبعادها و... فلا يستطيع المفسِّر البت فيه؛ لأنَّ الآية المباركة لا تعطي أكثر من المعنى الجزئي لكلمة: (الهداية)، ولكن في التفسير الموضوعي فالأمر مختلف، إذ أنّ المفسِّر على الرغم من أنّهُ يدرس الآية كما يدرسها المفسِّر الموضعي، إلّا أنّهُ لا يقف عند حدودها، أي: حدود ما يسعفه اللفظ في الآية والقرائن المُتعلِّقه بها، بل ينطلق إلى رحاب الآيات الأُخرى التي ذكرت الهداية أيضاً في غير موضع من القرآن الكريم، ويضمها إلى هذه الآية ليخرج بصورة كاملة عن الهداية عن معناها وأبعادها

(١) سورة البقرة: ٢.

(٢) الطوسي، محمّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج١، ص: ٥٤؛ الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج١، ص: ١١٦.

وأنواعها وشرائطها وأساسها ومواضعها و...، والسّر في الوصول إلى كُل ذلك هو حركة ذات المفسِّر في القرآن الكريم ومحاولته فهم المدلول القرآني من عموم الآيات فيه، وهو ما عُبِّر عنه بالإيجاب والاستنطاق.

ثانياً: اختلاف الهدف بين الاتجاهين

فإنّ هدف المفسِّر الموضعي أو التجزيئي الحصول على مراد الله تعالى في هذه الآية أو المقطع القرآني المحكي ضمن سياق واحد، كما في قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ اللّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ * مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾[1]، أمّا الهدف في التفسير الموضوعي أوسع من ذلك بكثير، إذ يروم فيه المفسِّر الموضوعي الحصول على النظريّة القرآنيّة في الصراع بين الإنسان وأخيه الإنسان، والّذي من مصاديقه صراع قابيل وهابيل ابني النّبيّ آدم عليه السلام.

---

(١) سورة المائدة: ٢٧–٣٢.

ثالثاً: وحدة المدلول وتعدده

إنَّ ما يخرج به المفسِّر الموضعي أو التجزيئي من مدلول قرآني، يزداد ويتراكم بزيادة عدد الآيات المبحوثه، فلكُل آية مدلولها الخاص بها، وعليه فإنّ الزيادة ليست إلّا زيادة مدلول إلى جنب آخر، يتراكم ويزداد كتراكم وازدياد البرتقال في سلته، وذلك لعدم وجود الترابط فيما بينها، أمّا في التفسير الموضوعي، فإنّ كُل مدلول قرآني يمثل جزءاً من أجزاء الموضوع، والّذي يربط بينها هو انتمائها للموضوع الواحد المُتشكِّل من مجموعها، لذا يلزم المفسِّر الموضوعي البحث في القرآن عن كُل ماله علاقة بذلك الموضوع، سواء كانت مباشرة كالألفاظ الدالّة عليه، مثل لفظ (الشفاعة) في موضوع الشفاعة في القرآن، أو غيره ممّا يعطي نفس المعنى، وكذا بقيّة جوانبه.

رابعاً: يخدم الاتجاه الموضوعي الرسالة القرآنيّة

ويساعد على النمو والنضج أكثر من الاتجاه التجزيئي؛ قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «عليكم بكتاب الله فإنّه الحبل المتين، والنور المبين، والشفاء النافع، والري الناقع، والعصمة للمتمسك، والنجاة للمُتعلَّق،... ذلك القرآن فاستنطقوه، ولن ينطق ولكن أخبركم عنه، ألا إنّ فيه علم ما يأتي، والحديث عن الماضي، ودواء دائكم، ونظر ما بينكم...، فاستشفوه من أدوائكم واستعينوا به على لأوائكم، فإنّ فيه شفاء من أكبر الداء، وهو الكفر والنفاق والغي والضلال، فاسألوا الله به...»[1]، وقد بيّن في كلامه عليه السلام هذه الأهداف القرآنيّة التي لا يمكن تحقيقها من خلال

(١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٨٩، ص: ٢٣، ح٢٤.

التفسير التجزيئي؛ لأنّهُ يعطي حلولاً جزئية لا يمكن الانتفاع بها في حلّ المشكلات والمعضلات، بخلاف التفسير الموضوعي الّذي يخرج بنظريّة قرآنيّة تنفع في حلّ المشكلات والمعضلات جذرياً، والوصول بالمجتمع للسعادة القصوى، وهي رسالة القرآن الكريم، فالتفسير الموضوعي يعطي النظرة الشمولية ويُوسع ذهن ومدارك الإنسان للوصول إلى ذلك بخلاف التفسير التجزيئي الّذي ليسَ لَهُ هذا الدور.

خامساً: سعة وضيق دائرة البحث

فالمفسِّر التجزيئي إذا أراد أن يبحث عن معنى التقوى في القرآن الكريم، فهُوَ إمّا أن يبحثها في موضع من القرآن الكريم، مثلاً في قوله تعالى: ﴿...فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾(١)، أو يبحثها في عموم القرآن الكريم، وعمل المفسِّر على النحو الأوَّل هو عمل المفسِّر الموضعي وسعة بحثه حدود الآية القرآنيّة مورد البحث فقط وكذلك السورة التي حلَّت فيها، بينما على النحو الثاني عمل المفسِّر فيه عمل المفسِّر الموضوعي وحدود بحثه كُل القرآن الكريم، ولا يتحدد بالآية والسورة التي حلَّت فيها.

تقدّم التفسير الترتيبي على التفسير الموضوعي

عادة ما يقدم التفسير الترتيبي على التفسير الموضوعي؛ لانّه لابُدّ للمفسِّر من التعرف على مفاهيم الآيات أوَّلاً، والإطلاع على دورة في التفسير الترتيبي ثانياً، حتى تكون لديه الهيمنة النسبية على التفسير، ثم يقوم بالخطوة الثانية

---

(١) سورة الفتح: ٢٦.

وهي التفسير الموضوعي.

وهناك من ذهب إلى أنّ التفسير الموضوعي مقدم على الترتيبي(*)؛ لأنّه لا يمكن الحصول على الرأي النهائي للقرآن من خلال التفسير الترتيبي بسبب إعطاءه صورة ناقصة ومبتورة عن المواضيع القرآنية؛ فلابُدّ إذن من الانطلاق من التفسير الموضوعي لفهم آيات القرآن[1].

وقد ردّ رضائي الأصفهاني على ذلك بالقول: «والّذي نذهب إليه، أنّ هناك طريقاً وسطاً ومعتدلاً أقرب إلى الصواب من هذين الرأيين، وهو الجمع بين التفسير الترتيبي والموضوعي في آن واحد كما فعل ذلك الطباطبائي في تفسير الميزان، أي: تفسير آيات القرآن حسب ترتيبها في المصحف، وفي بعض الأحيان يتناول بعض الموضوعات القرآنيّة(المعجزة، الرؤيا و...) من جميع الجهات»[2].

ونحن إذا رجعنا إلى تعريف التفسير الّذي ذُكر آنفاً في هذا الفصل، وهو: (بيان المعاني وكشف المقاصد والدلالات) نلمس أنّ ما ذكره محمّد علي رضائي الأصفهاني أنسب في المقام؛ لأنّ المفسِّر لا يمكن له الوصول إلى الرأي النهائي للآيات القرآنيّة إلّا بعد الإطلاع على مفاهيمها الجزئيّة المتحصلة بواسطة التفسير الترتيبي، ومنه كان التفسير الترتيبي مُتقدّم في المرتبة على التفسير الموضوعي.

(*) أمين الخولي في مقالته المنشورة في دائرة المعارف الإسلاميّة.

(١) أُنظر: الشنتاوي، أحمد، خورشيد، إبراهيم زكي، يونس، عبد الحميد، دائرة المعارف الإسلاميّة، ج٥، (مادة: التفسير)، ص: ٣٦٨ .

(٢) رضائي الأصفهاني، محمّد علي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيريّة للقرآن، ص٣١٦.

الفَصْلُ الثَّانِي

طُرُقُ البَحْثِ فِي القُرآنِ الكَرِيمِ

مدخل الفصل

جُعل التفسير الموضوعي في مقابل التفسير الترتيبي في الدراسات القرآنيّة، إذ ينتج هذا النوع من التفسير من عدم رعاية ترتيب الآيات القرآنيّة، سواء كانت بترتيب المصحف أو نزول الآيات والسور، وذلك بجعل الآيات المُتعلِّقة بمسألة أو موضوع واحد بعضها جنب بعض لبحثها في الدراسات والتحقيقات القرآنيّة.

ويُعدّ البحث في الدراسات الموضوعيّة للقرآن بحثاً جديداً، وظاهرة نمت في العقود الأخيرة في علم التفسير على الرغم من تاريخه الطويل، إذ عُثر على جذوره في مقدّمات بعض التفاسير مثل: «التبيان في تفسير القرآن» لمحمّد بن الحسن الطوسي(ت٤٦٠هـ)[١]، و«مجمع البيان في تفسير القرآن» للفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ)[٢]، حيث تُلحظ فيها الإشارة إلى هذا الموضوع عند تناولها طرق البحث اللُغوي والروائي؛ كما أنّنا نجد ذلك واضحاً في كتب

(١) راجع: الطوسي، محمّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج١، ص: ٤.

(٢) راجع: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج١، ص: ٤-٦.

علوم القرآن كـ: «الإتقان في علوم القرآن» لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) في نماذج من طرق البحث التأويلي واللُغوي، وكذا في كتب أُخرى لعلوم القرآن أشارت إلى مباحث المكي والمدني والمحكم والمتشابه كنوع من طرق البحث داخل النص القرآني.

وفي العصر الحاضر زاد الاهتمام بطرق البحث في التفسير بشكل عام والتفسير الموضوعي بشكل خاص، وأُلِّفت في ذلك كتب عديدة حملت عنوان: (الأَساليب والاتجاهات التفسيريّة)، حيث أشارت إلى طرق البحث في التفسير وعلوم القرآن مثل: كتاب: «التفسير والمفسِّرون» لمحمّد حسين الذهبي، و«التفسير والمفسِّرون في ثوبه القشيب» لمحمّد هادي معرفة، و«أُصول التفسير وقواعده» لخالد عبد الرحمن العك، و(مباني وأَساليب تفسير القرآن) لعبّاس علي عميد الزنجاني (باللُغة الفارسيّة)، و(منطق تفسير القرآن) القسم المختص بمقدّمات التفسير للأُستاذ محمّد علي رضائي(باللُغة الفارسيّة)، وغيرها من الكتب الأُخرى، حيث ذكروا فيها موضوعات ومسائل حول الروايات التفسيريّة وطرق التحقيق فيها، وقد انفرد بعضهم كمحمّد علي رضائي الأصفهاني، وعبّاس علي عميد الزنجاني، بذكر موضوعات حول الهرمونيطيقيا تعلَّقت بطرق البحث في التفسير.

أمّا مؤلَّفات التفسير الموضوعي فقد تناولت عادةً طرق البحث في التفسير الموضوعي ككتاب: «التفسير الموضوعي بين النظريّة والتطبيق» لصلاح عبد الفتاح الخالدي، طبعة الأردن، دار النفائس، (١٩٩٧م)؛ «منهجيّة البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم» لزياد خليل محمّد الدغامين، طبعة الأردن، دار البشير، (١٩٩٥م)؛ «المدرسة القرآنيّة» لمحمّد باقر الصدر، دار التعارف

للمطبوعات، بيروت، (١٩٨١م)؛ «المدخل إلى التفسير الموضوعي» لعبد الستار فتح الله سعيد، طبعة القاهرة، الإسلاميّة، (١٤١١هـ)؛ «طرق التفسير الموضوعي للقرآن» لهداية جليلي(باللُغة الفارسيّة)، طبعة طهران، كوير، (١٣٧٢ش).

ومن الكتب المؤلَّفة في هذا الموضوع على وجه الخصوص: كتاب: «أُسلوب التحقيق في التفسير الموضوعي» لحسين مُرادي زنجاني، ولساني فشاركي (باللُغة الفارسيّة)، وكتاب: «البحث العلمي ومصادر الدراسات القرآنيّة والسُنّة النبويّة والعقيدة الإسلاميّة» لعبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، والأخير تناول فيه تعريف مصادر البحث القرآني وكيفيّة كتابة الرسائل الجامعيّة أكثر من غيرها من الموضوعات.

وتأتي أهمية هذا الموضوع من تعلُّقه بالقرآن الكريم، حيث يحسبه العلماء عِلماً جديداً يأتي في الدرجة الرابعة، إذ قسّموا العلم المستحصل من التفسير إلى أربعة درجات:

١ـ درجة معرفة حقيقة القرآن الكريم عند الله تعالى في اللوح المحفوظ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾[(١)]، وهي معرفة لا تقبل الخطأ ومشروطة بالطهارة المعنويّة: ﴿لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾[(٢)]، ولا تحصل إلّا للقليل من البشر كالمعصومين عليهم السلام.

٢ـ درجة فهم المعاني والمقاصد في الآيات القرآنيّة بالاستناد إلى الأدلّة

---

(١) سورة البروج: ٢١ـ٢٢.

(٢) سورة الواقعة: ٧٩.

والمصادر والقرائن التي يعتمد عليها المفسِّرون، وهذه المعرفة مستندة إلى الجهد البشري، وهو جهد قابل للخطأ يُحَدُ باستخدام القواعد والضوابط الخاصة بعمليّة تفسير القرآن.

٣- درجة معرفة أَساليب تفسير القرآن التي تبحث في فهم وتفسير القرآن، يعني موضوعها التفسير، وهي كسابقتها في قبول الخطأ فيها ومعالجته والحدّ منه باستخدام القواعد والضوابط التفسيريّة.

٤- درجة معرفة طُرق العمل في الأَساليب التفسيريّة، كطُرق البحث في أُسلوب التفسير الموضوعي.

المبحث الأوَّل: أَساليب البحث القرآني

تُقسّم أَساليب البحث القرآني في التفسير بحسب تناولهما للآيات القرآنيّة في عمليّة التفسير إلى:

أ- الأُسلوب التجزيئي (التفسير الترتيبي) ويتناول الآيات القرآنيّة بنحوين:

الأوَّل: بحسب ترتيب المصحف، وهو الترتيب الرائج والشائع في القرآن الكريم، ويبدأ من سورة الحمد وينتهي بسورة النَّاس.

والثاني: بحسب ترتيب نُزول الآيات القرآنيّة على مدى ثلاثة وعشرون عاماً.

ب- الأُسلوب الموضوعي (التفسير الموضوعي) ويتناول آيات الكتاب الكريم بحسب الموضوعات، حيث لا يُلتَزَم فيه بنظم الآيات بحسب ترتيب المصحف أو النزول، بل تُجمع فيه الآيات ذات العلاقة بالموضوع من عموم القرآن الكريم.

ويُعدّ القسم الأوَّل (أ) قديماً جداً في التفسير، إذ حَكم وهيمن قروناً عديدة حتى ظهور القسم الثاني (ب)، وقد استُفيد في الأُسلوبين من طرق

البحث في الدراسات القرآنيّة (داخل وخارج القرآن الكريم)، ولكن لم تكن نموذجيّة؛ لأنّها لم تستفد من جميع الطُرق والأَساليب والمناهج اللازمة في التفسير، بل استفادت من بعضها.

ومن هنا يلزم على الباحث في التفسير استعمالهما للوصول إلى التفسير التام والبحث الكامل.

وتجدر الإشارة هنا، إلى أنّ هناك مشتركاً بين الطريقتين على الرغم من اختلافهما ظاهرياً، وهو أنّ كلا الطريقتين تحتاج ابتداءاً إلى بحث الآيات القرآنيّة آية فآية، ثمّ الاستمرار في البحث بطريقتها الخاصة.

ومن هذه الجهة يجب التعَرُّف بداية على المراحل الكاملة لتفسير الآية الواحدة، ثم على مراحل كُل طريقة، وسوف نخصّص الحديث في البحث التالي عن مراحل تفسير الآية الواحدة وطريقة البحث في التفسير الترتيبي.

طريقة البحث والتفسير في كُل آية قرآنيّة

تختلف طريقة البحث في الآيات القرآنيّة اختلافاً جزئياً فيما بينها، وذلك بحسب اختلاف محتواها، إذ أنّ بعض الآيات تحتوي على أحكامٍ فقهيّة، وأُخرى على إشارات علميّة، وثالثة على مباحث أخلاقيّة، وهكذا، وكُل واحدة من هذه المحتويات يحتاج إلى مباحث جانبيّة مُتعلِّقة به أثناء بحثه، وطريقة العمل الخاصة بتفسيره.

وفي مراحل البحث هذه سوف نعتبر أنّ الآية التي نبحثها تتوفّر فيها جميع الأبعاد المنظورة، كما أنّنا سوف نعتبر أنّ جميع الشروط متوفّرة في المفسِّر والتفسير.

مراحل البحث في الآية

قسّم محمّد علي رضائي مراحل البحث في الآية القرآنيّة إلى ثمان مراحل هي :

المرحلة الأُولى: معرفة أهداف الآية

وهي أوّل خطوة في بحث الآية القرآنيّة وتشتمل على : معرفة الأهداف العامّة للقرآن الكريم، والسورة، والآية التي يحتمل أن يكون الهدف فيها مفرداً.

المرحلة الثانية: معرفة حدود الآية

وتشتمل هذه المرحلة على :

١ـ بحث تاريخ محتوى الآية في الشرائع السابقة للشريعة الإسلاميّة الخاتمة مثل : التوراة والإنجيل وغيرها، بالاستفادة من أُسلوب البحث المقارن، وكذا بحثه عند عرب الجاهليّة.

٢ـ بحث شأن النزول (المكان، الزمان، العلّة).

٣ـ بحث ترتيب النزول (مكان وزمان نزول الآية خلال ثلاثة وعشرين عاماً).

٤ـ بحث الجغرافيا التاريخيّة لنزول الآية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الفروع أعلاه قد لاتتوفّر جميعها في الآية القرآنيّة، ولكن متى ماتوفّرت يجب بحثها؛ لأنّ معرفتها تكون بمنزلة القرائن الخارجيّة المؤثرة في البحث، أو تقودنا نحو تفسير أنسب.

المرحلة الثالثة: معرفة اللفظ والمعنى

وتشتمل هذه المرحلة على الخطوات التالية:

معرفة معنى مفردات الآية وتتبع جذورها في المصادر اللُغويّة والحديثيّة للوصول إلى معناها في صدر الإسلام.

٢- القيام بتجزئة وتركيب الآية لمعرفة النكات الصرفية والنحويّة للمساعدة في تحصيل فهم أفضل للآية.

٣- معرفة المجاز والكناية والفصاحة و... في الآية، بالاستفادة من علم البلاغة لتأثيره البالغ في فهم وتفسير الآية القرآنيّة.

٤- معرفة لغة الخطاب في الآية، لأنّه من مقدّمات الفهم الصحيح لها.

٥- معرفة قراءة الآية وتحقيقها، لأنّها من مقدّمات فهم الآية وأساس البحث والتفسير فيها.

المرحلة الرابعة: تفسير ظاهر الآية

وتشتمل هذه المرحلة على خطوتين رئيسيتين هما:

الخطوة الأُولى: بحث القرآئن المتصلة والمنفصلة في النص القرآني، بعبارة أُخرى بحث ارتباط الآية مع الآيات القرآنيّة الأُخرى، ومعرفة تأثير تلك الآيات على هذه الآية، و...، وفي هذه الخطوة يلزم التوجه إلى ما يلي:

أوّلاً: معرفة أنّ الآية محكمة أو متشابهة، وإذا كانت متشابهة فما هي الآية المحكمة التي ترجع إليها في تفسيرها أو تأويلها.

ثانياً: معرفة هل أنّ الآية ناسخة أو منسوخة، وإذا كانت منسوخة فما هي الآية الناسخة لها.

ثالثاً: معرفة السياق الّذي جاءت فيه الآية.

رابعاً: بحث الآيات المشابهة لها في اللفظ والموضوع.

خامساً: بحث الآيات المخالفة لها ظاهراً في اللفظ أو المحتوى، وهو في الحقيقة تفسير موضوعي للقرائن لازم لكُل آية حتى في التفسير الترتيبي.

الخطوة الثانية: بحث القرآئن خارج النص القرآني، وتجري كالتالي:

أوّلاً: بحث أحاديث النّبيّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت المعصومين عليهم السلام المؤثّرة في تفسير الآية.

ثانياً: بحث البراهين العقليّة المؤثّرة في تفسير الآية.

ثالثاً: بحث العلوم التجريبيّة القطعيّة المؤثّرة في تفسير الآية.

وفي هذه المرحلة يلزم الاستفادة القصوى من الأَساليب التفسيريّة، كتفسير القرآن بالقرآن، والرواية، والعقل، والعلم؛ والتوجه اللازم لاتجاهات ومدارس التفسير.

المرحلة الخامسة: تأويل الآية

إنّ أخذ القرائن العقليّة بنظر الاعتبار واحدة من مراحل التفسير التي تنتهي أحياناً بالتأويل، فالآيات القرآنيّة لها ظاهر وباطن، وكما أنّ لها تفسيراً ظاهرياً، كذلك لها تفسيراً باطنياً وتأويلياً، ومن هذه الجهة كان أُسلوب التفسير العقلي للقرآن، وقاعدة إرجاع المتشابهات إلى المحكمات.

ويُستفاد في هذه المرحلة من البحث في الآية من قاعدة إرجاع المتشابهات إلى المحكمات وأحياناً بمساعدة الدليل العقلي والروايات القطعيّة.

المرحلة السادسة: معرفة بطن الآية أو مفهومها

القرآن الكريم كتاب خالد، وسرّ خلوده أنّه صالح لكُل الأجيال في كُل زمان ومكان، ويرتبط هذ السرّ بطبيعة القرآن، حيث إنّ آياته لها ظاهر وباطن، أو منطوق ومفهوم، ويَتمّ استخراج هذا المفهوم وفق قواعد خاصة تحكمه في الاستنباط، وتبعاً لهدف الآية، وتكون النتيجة المستخرجة أشبه بقاعدة كُلِّية تنفع لكُل زمان ومكان ويمكن تطبيقها على مصاديق عديدة، وقد دلّت روايات أهل البيت المعصومين عليهم السلام على أنّ الأُسلوب الأدقّ للاستخراج هو: استعمال الروايات القطعية الصحيحة.

ويلزم الباحث في هذه المرحلة أن ينتبه إلى أن يكون المفهوم المستخرج خالياً من وجهة النظر الشخصيّة، حيث يُحسب عند ذاك تفسيراً بالرأي.

المرحلة السابعة: البحث في وجهات نظر المفسّرين

تُبحث في هذه المرحلة وجهات نظر المفسِّرين من الشيعة والسُنّة في الآية المبحوثة، وذلك بالاستفادة من أُسلوب البحث المقارن، إذ تختفي فيها أحياناً قرائن يمكن استخدامها في تفسير الآية.

المرحلة الثامنة: الاستنباط والاجتهاد

في هذه المرحلة - وبعد إجراء المراحل السابقة - يُلخِّص المفسِّر موضوعاته، ومع التأمّل والتفكير في القرائن الداخليّة والخارجيّة، وبطن الآية وتأويلها، وباستخدام الأُصول والقواعد وطرق التفسير يصل إلى التفسير الجامع للآية.

وبعد البحث في أقوال المفسِّرين يُبيّن استنباطه النهائي من الآية، وهو

إمّا يكون موافقاً لتفسير أحد المفسِّرين أو جميعهم، أو يكون رأياً جديداً.

ويمكن أن يؤدّي عمل المفسِّر وإبداعه في هذه المرحلة إلى الإنتاج العلمي، ويظهر لنا نكات تفسيريّة جديدة(١).

منهجيّة البحث في القرآن الكريم

توجد منهجيتان للبحث في القرآن الكريم هي:

المنهجية الأُولى: المنهجيّة الترتيبيّة

وهي منهجيّة تناول الآيات القرآنيّة بحسب ترتيبها في المصحف، أو بحسب ترتيب نزول الآيات والسور، ولكُل واحد من هذين النمطين أُسلوبه الخاص في البحث.

فأمّا أُسلوب البحث في التفسير بترتيب المصحف، فينظر فيها إلى القرآن كمقطع واحد، أي: بمعنى مجموعة متسلسلة من الآيات المنتظمة في المصحف الشريف، وتعطى فيه بناءاً على ذلك مكانة خاصة للسياق وترتيب الآيات والسور القرآنيّة.

وبما أنّها تعتمد على بحث آية آية، فيمكن فيها اتباع نفس طريقة البحث في الآية الواحدة الآنفة الذكر، ولكن مع الأخذ بنظر الاعتبار:

١- ضرورة قبول الترتيب الحالي للآيات والسورة القرآنيّة في المصحف الحالي، والإقرار بأنّه هو الترتيب الّذي كان في زمن النَّبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وكنتيجة لقبول هذه الضرورة نرى بعض المفسِّرين كالطبرسي في

---

(١) انظر مراحل البحث في الآية: رضائي أصفهاني، محمّد علي، منطق تفسير قرآن، ج٣، ص: ١٤٨-١٥٣.

مجمع البيان قال بارتباط آخر كُل سورة بأوّل التي تليها، ومثال ذلك قوله في أوّل تفسير سورة البلد: «لمّا ختم الله تلك السورة بذكر النفس المطمئنّة، بيّن في هذه السورة وجه الاطمئنان، وأنّه النظر في طريق معرفة الله، وأكد ذلك بالقسم فقال: ﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾/ [سورة البلد: ١]»[١]، وهو ما نراه في الكثير من التفاسير القديمة والحديثة قد تناولت آيات القرآن الكريم بالبحث، بدءاً من سورة الحمد وانتهاءً بسورة النَّاس، أي: بحسب ترتيب المصحف الحالي.

٢ـ اعتماد السياق في بحث الآيات القرآنيّة، لأنّ ترتيب الآيات داخل المصحف ليس تجميعاً عددياً وحسب، بل هو مجموع متسلسل ومرتبط فيما بينه، ويعتبر السياق عند المفسِّرين دليلاً ظنّياً يمتاز بالقوّة تارةً وبالضعف أُخرى، ولا يُخالف إلاّ بما هو أقوى منه كالقرينة القطعيّة[٢].

وأمّا أُسلوب البحث بترتيب النزول، فينظر فيها الباحث إلى القرآن الكريم كمقطع واحد منسجم على أساس تسلسل النزول للآيات والسور في ثلاث وعشرين سنة، وتستند هذه الطريقة في البحث على أُصول وقواعد هي:

١- تحديد الترتيب الجديد لسور القرآن

فبناءاً على هذا الأصل لا يُتّخذ ترتيب الآيات في المصحف الحالي أساساً للبحث والدراسة والتفسير، بل يُتّخذ ترتيب يَستند إلى تسلسل النزول خلال

---

(١) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج١٠، ص: ٧٤٣-٧٤٤.

(٢) انظر: رضائي أصفهاني، محمّد علي، منطق تفسير قرآن، ج١، ص: ٤٢٧.

ثلاث وعشرين سنة، وحيث إنَّ ترتيب الآيات والسور في المصحف الحالي كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[١]، فلابُدّ من إقامة الدليل على الترتيب الجديد وإثباته، والدليل هو الروايات التي نُقلت من زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتي حدّدت نزول السور القرآنيّة[٢].

٢- تلاشي السياق

إنّ المُلاحظ في الدراسات القرآنيّة ليس للسياق أثر فيها بحسب ترتيب النزول، وذلك لعدم ارتباط آخر كُل سورة بأوَّل السورة التي تليها، بل حتى من الممكن أن تبيّن آية أو جزء آية بشكل خاص، مثل: آية التطهير[٣]، وذلك استناداً لبعض الروايات الخاصة في نزولها زماناً ومكاناً، وعندها تختل علاقة تلك الآية ببقية الآيات التي قبلها وبعدها وتصبح غير مستثمرة، وفي النتيجة يصبح سياق الآيات غير مثمر أيضاً.

٣- المكانة الخاصة لحدود الآية التاريخيّة

تحتل روايات: أسباب النزول، شأن النزول، المكي، المدني، روايات تاريخ صدر الإسلام فيها مكانة خاصة في طريقة الدراسات بحسب النزول، إذ لا يمكن للباحث فيها التقدّم في الدراسة والبحث والتفسير، من دون بحث تاريخ الآية وتحديد زمان نزولها وشأنه وأسبابه وغير ذلك من التحديدات

---

(١) الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، ص: ٢٣٨-٢٥٧.

(٢) راجع: معرفة، محمّد هادي، التمهيد في علوم القرآن، ج١، ص: ٢٨٩-٢٩٢.

(٣) وهي قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، سورة الأحزاب: ٣٣.

التاريخيّة، بمعنى أنّ للقرائن التاريخيّة والروائيّة دوراً كبيراً في دراسات نزول القرآن.

٤- وجوب ترتيب السور والآيات

ففي طريقة الدراسة النزوليّة للقرآن، يلزم على الباحث أن ينقل بعض السور والآيات ويضعها إلى جنب سور وآيات أُخرى، والّذي يتجلّى أحياناً على شكل تفسير موضوعي، وهذه الطريقة يمكن أن تتبعها نتائج تربويّة جذّابة، كما أنّه يتمّ فيها وضع الآيات الناسخة بعد المنسوخة، ومثال ذلك آيات شرب الخمر في القرآن الكريم، حيث رُتبت بالشكل التالي:

أوّلاً: سورة البقرة، الآية مئتان وتسعة عشر، قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

ثانياً: سورة النساء، الآية ثلاثة وأربعون، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الّذينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ...﴾.

ثالثاً: سورة المائدة، الآية تسعون وإحدى وتسعون، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الّذينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾.

رابعاً: سورة النحل، الآية سبعة وستون، قوله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ

النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.

أمّا ترتيب نزول السور الآنفة الذكر فبهذا الشكل:

«١ - النحل، وتحمل الترتيب سبعون في النزول.

٢ - البقرة، وتحمل الترتيب ثمانون وسبعة في النزول.

٣ - النساء، وهي بالمرتبة اثنان وتسعون في النزول.

٤ - المائدة، وهي بالمرتبة المائة وثلاثة أو مائة وأربعة في النزول»[1].

وعند بحث مفهوم الآيات أعلاه على أساس ترتيب المصحف نواجه بعض المشاكل: مثل تعريف الخمر في السورة الخامسة(المائدة) على أنّه شيطان يجب اجتنابه، لكن في السورة السادسة عشر (النحل) تكلّم الله عنه بلطف.

وأمّا في حال بحثها على أساس ترتيب النزول ليست فقط تحل هذه المشاكل، بل تُبرِز طريقة تربويّة في مقابلة الفساد الاجتماعي، يعني: طريقة القرآن الكريم لإزالة مشكلة شرب الخمر التي كان مبتلى بها المجتمع الإسلامي في صدر الإسلام بشكل واسع، وهي:

أوّلاً: في السورة السبعين (النحل) ذكر الله تعالى بلطف أنّ الخمر يمكن أن تصنع من العنب شراباً مسكراً كما أنّ منه يُصنع رزقاً حسناً مثل ماء العنب.

ثانياً: في السورة السابعة والثمانين (البقرة) تكلّم الله بلطف أيضاً عن المنافع الماديّة في الخمر، وذكّر بأنّ شُربَه إثم كبير.

---

(١) معرفة، محمّد هادي، التمهيد في علوم القرآن، ج١، ص: ١٣٥.

ثالثاً: في السورة اثنتين وتسعين (النساء) منع المصلّين من حضور الصلاة وهم سُكارى، وكان هذا في بداية قدوم النَّبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة وتشكيل المجتمع الإسلامي.

رابعاً: في السورة مائة وثلاثة أو مائة وأربعة من القرآن(المائدة) مُنِع الخمر فيها منعاً حتمياً، في حال أن سورة المائدة نزلت في المدينة في أواخر عمر النَّبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم والحكومة الإسلاميّة في عظمة قدرتها.

وقد استفاد محمّد هادي معرفة من هذه الطريقة في كشف الحقائق في الآيات المُتعلِّقة بموضوع النساء وعدم استعمال العنف ضدّهن[1]، و...، كذلك موضوع القتال، و...، وعُدَّت نتائج هذه الطريقة نموذجاً تربوياً يُحتذى به في معالجة المشاكل الاجتماعيّة في أي مجتمع كان.

المنهجية الثانية: المنهجيّة الموضوعيّة

وهي المنهجيّة تناول الآيات القرآنيّة بحسب الموضوع لا بحسب الآيات تسلسلاً ونزولاً، لذا لا يُلتزم فيه بتسلسل الآيات القرآنيّة بحسب ترتيب المصحف أو ترتيب النزول، بل تُجمع الآيات ذات العلاقة بالموضوع بعضها إلى جنب بعض، بحيث تكون كُل آية قرينة على فهم الآية الأُخرى وتفسيرها، ويُسفاد فيه من طريقة تفسير القرآن بالقرآن وبالرواية والعقل والتفسير العلمي والإشاري[2].

---

(١) راجع: معرفة، محمّد هادي، شبهات وردود حول القرآن الكريم، ص: ١٤٩– ١٨٥، تحقيق: مؤسسة التمهيد–قم المدّسة.

(٢) راجع: رضائي أصفهاني، محمّد علي، منطق تفسير قرآن، ج٣، ص: ٢٠٧.

المبحث الثاني: طُرق البحث في التفسير الموضوعي

تقسّم طُرق البحث في التفسير الموضوعي إلى:

أوّلاً: طريقة التفسير الموضوعي داخل القرآن

تعتبر طريقة التفسير الموضوعي داخل القرآن الكريم من أقدم الطرق في الدراسة الموضوعيّة للقرآن، وقد كانت محطّ عناية النَّبيّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام، وهي طريقة تستند في عملها إلى تفسير القرآن بالقرآن، إذ يحاول الباحث فيها الاستفادة من نفس النص القرآني(بطون متون الأدلّة النقليّة) للوصول إلى معاني ومقاصد الآيات القرآنيّة أو الموضوعات المبحوثة، ومن ثمّ استخراج النتائج الكُلِّية فيها، وتجري هذه العمليّة وفق جملة من الأُصول الأساسيّة، منها:

١ـ حُجيّة ظواهر القرآن الكريم.

٢ـ اعتماد أُسلوب تفسير القرآن بالقرآن.

٣ـ اعتماد أصل عدم الاختلاف في آيات القرآن(على نحو التضاد أو التناقض)، على الرغم من وجود الاختلاف الظاهري فيها، مثل: العام والخاص، والمطلق والمقيّد و...، ويمكن حلّ هذه الاختلافات الظاهرة باستخدام الطريقة الموضوعيّة داخل القرآن.

أدلّة طريقة التفسير الموضوعي في القرآن

هناك أدلّة عديدة دلّت على جواز واعتبار أُسلوب البحث الموضوعي في القرآن الكريم، منها:

الدليل الأوَّل: آيات القرآن الكريم، ومثالها الآية الكريمة: ﴿هُوَ الَّذي أَنزلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْه آياتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ﴾[(١)]، فهي تُثَبت أمرين هما: وجود الآيات المحكمة، ووجود الآيات المتشابهة، وتعطي حلّاً لمشكلة المتشابهات، وذلك بإرجاعها إلى الآيات المحكمة[(٢)]، فمثلاً قوله تعالى: ﴿وَقالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْديهِمْ ولُعِنُوا بِما قالُوا بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ ولَيَزيدَنَّ كَثيراً مِنْهُمْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْياناً وكُفْراً...﴾[(٣)].

قال الجصّاص في تفسير الآية المذكورة: «... وقال الحسن: قالوا هي مقبوضة عن عقابنا... واليد في اللُغة تنصرف على وجوه: منها الجارحة وهي معروفة، ومنها النعمة: تقول لفلان عندي يد أشكره عليها، أي نعمة، ومنها القوة، فقوله: أولي الأيدي فسّروه بأولي القوى ونحوه...»[(٤)] فيظهر أنّ الآية المباركة متشابهة في معنى اليد الإلهيّة.

---

(١) سورة آل عمران: ٧.

(٢) انظر: الحسيني الشيرازي، محمّد رضا، التدبّر في القرآن، ج٣، ص: ٦٨٢.

(٣) سورة المائدة: ٦٤.

(٤) الجصّاص، أحمد بن علي، أحكام القرآن، ج٤، ص١٠٥، تحقيق: محمّد صادق قمحاوي.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[١] يقول الطوسي في تفسير الآية: «... فإن قيل: كيف عددتم من جملة المحكم قوله تعالى: ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ...﴾ مع الاشتباه فيه بدخول الكاف؟ قلنا: إنَّما قلنا إنّه محكم لأنّ مفهومه ليس مثله شيء على وجه من الوجوه دون أن يكون عند أحد من أهل التأويل ليس مثل مثله شيء...»[٢]، فالآية محكمة، والإحكام بمعنى المنع.

يقول مكارم الشيرازي: «... ولهذا يقال للمواضيع الثابتة القويّة (مُحكمة)، أي: أنّها تمنع عن نفسها عوامل الزوال. كما أنّ كُل قول واضح وصريح لا يعتوره أيّ احتمال للخلاف يقال له: قول محكم.

وعليه فإنّ الآيات المحكمات هي الآيات ذات المفاهيم الواضحة التي لا مجال للجدل والخلاف بشأنها، كآية: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، ﴿وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ﴿وَاللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾، و...»[٣].

وبإرجاع آية (يد الله)[*] إلى آية: ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ...﴾ يتضح أنّ اليَد ليست الماديّة وإنَّما اليد المعنويّة: القدرة والمنّة والعطاء والطول.

الدليل الثاني: الروايات لدى الفريقين، حيث ذكرت أنّ أوّل من اعتمد على هذا المنهج، هو الرسول الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، إذ

---

(١) سورة الشورى: ١١.

(٢) الطوسي، محمّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج٢، ص: ٣٩٨.

(٣) مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٢، ص: ٣٩٦.

(*) وهي قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء...﴾، سورة المائدة: ٦٤.

مارس هذا المنهج عملياً في حياته، وذلك بأنّه كان يستعين على تفسير بعض الآيات بآيات أخرى، وقد روي في تفسير قوله تعالى: ﴿مِنْ وَرائِهِ جَهَنَّمُ ويُسْقى مِنْ ماءٍ صَديدٍ * يَتَجَرَّعُهُ ولا يَكادُ يُسيغُهُ...﴾(١)، أنّه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يقرّب إليه فيتكرهه، فإذا دنا منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه، وإذا شربه قطّع أمعاءه حتى يخرج من دُبره، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿...وسُقُوا ماءً حَميماً فَقَطَّعَ أَمْعاءَهُمْ﴾/ [سورة محمّد: ١٥]، ويقول: ﴿...وإِنْ يَسْتَغيثُوا يُغاثُوا بِماءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرابُ...﴾/ [سورة الكهف: ٢٩]»(٢).

وقد تبع الأئمة المعصومون عليهم السلام النّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في هذا المنهج التفسيري، والأمثلة على ذلك كثيرة منها على سبيل المثال: ما نقلته كتب التفسير من أنّه: أُتي عمر بن الخطّاب وقيل: عثمان بن عفّان بامرأة قد وَلَدَت لستة أشهر، فهمَّ برجمها، فقال له أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: إن خاصمتك بكتاب اللّه خصمتك، إنّ اللّه تعالى يقول: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهراً﴾(٣)، ويقول: ﴿وَالوالِداتُ يُرضِعنَ أولادَهُنَّ حَولَيْنِ كامِلَيْنِ لِمَن أراد أن يُتِمَّ الرّضاعَة﴾(٤)، فإذا تم، أتمّت المرأة الرضاع لسنتين، وكان حمله وفصاله ثلاثين شهراً كان الحمل منها ستة أشهر،

---

(١) سورة إبراهيم: ١٦-١٧.

(٢) ابن حنبل، أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٥، ص: ١٩٨، ح٢٢٣٤٨، تحقيق: محمّد صدقي محمّد جميل العطار.

(٣) سورة الأحقاف: ١٥.

(٤) سورة البقرة: ٢٣٣.

فخلّى عمر سبيل المرأة[١].

نطاق طريقة التفسير الموضوعي في القرآن وحدوده

إنّ البحث التفسيري في القرآن الكريم يعتمد على أُسلوب تفسير القرآن بالقرآن، وتطبيق هذا الأُسلوب في تفسير آيات القرآن وموضوعاته متفاوت ولا يجري بمستوى واحد في الجميع، فبعض الآيات والموضوعات مثل: موضوعات وآيات الصفحة الأُولى من سورة البقرة: (الهداية، التقوى، الغيب، الإيمان، النزول، الفلاح، الرزق، الإنفاق) يمكن تفسيرها وبحثها بهذا الأُسلوب- أي بحث الآيات الموافقة والمشابهة- بالإضافة إلى الأَساليب الأُخرى، والبعض الآخر لا يمكن بحثها وتفسيرها بغير الأُسلوب النقلي (القرآن والحديث) مثل: تفاصيل المعاد والجنّة والبرزخ وآيات الأحكام، وبعض ثالث لا يمكن استخدام الدراسات القرآنيّة في القرآن في بحثه وتفسيره بهذا الأُسلوب، لأنّه يواجه حينئذٍ محذور الدور، مثل: موضوعات إثبات وجود الله، والنبوُة العامّة، والإعجاز.

وبناءاً على هذا يتبيّن أنّ أُسلوب البحث داخل القرآن في الدراسات والتفسير الموضوعي يمكن تطبيقه في معظم الموضوعات والآيات القرآنيّة.

مراحل إجراء التفسير الموضوعي في القرآن

تجري طريقة التفسير الموضوعي داخل القرآن وفق المراحل التالية:

---

(١) انظر: السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور في تفسير المأثور، ج٦، ص: ٤٠؛ الحائري الطهراني، مير سيّد علي، مقتنيات الدرر وملتقطات الثمر، ج١٠، ص: ١١٨.

١- مرحلة المقدّمات، وتشتمل على الموارد التالية

أ- اختيار عنوان البحث والكلمات الرئيسيّة فيه

إنّ أوّل عمل يقوم به الباحث الموضوعي هو تعيين وتشخيص العنوان الموضوعي للبحث، ويتم اختيار العنوان عادةً إمّا من القرآن الكريم، مثل موضع (شرح الصدر في القرآن الكريم) و(الأبرار في القرآن الكريم) و... أو من خارجه، مثل موضوع مقوّمات المجتمع المدني السليم، و...

ب- عرض كلمات العنوان على المعجم المفهرس

في هذه المرحلة نعرض كلمات العنوان على المعجم المفهرس لمعرفة معناها، وهي إمّا أن تكون مستخدمة في القرآن الكريم بعينها، مثل كلمة: (الهداية، الحياة، الصبر، الإيمان)، أو لا تكون مستخدمة مثل كلمات: (التشويق، التنبيه، الأدب، النظافة)، ففي هذه الحالة يجب أن نبحث عن كلمات قريبة منها في المعنى والمفهوم، فالتشويق والتنبيه، قريب منه الإنذار والتبشير، وهكذا.

أمّا إذا لم نوفّق في ذلك أيضاً، فيلزم أن نقسّم موضوع البحث إلى عدة مواضيع صغيرة، ومن ثم نعرض تلك المواضيع الصغيرة على القرآن الكريم، ومن أمثلة المواضيع التي من هذا القبيل، موضوع: المهدويّة، والحريّة.

وفي نهاية هذه المرحلة يلزم أن يعمد الباحث إلى تحضير مجموعة من الأوراق ذات الشكل والحجم الواحد، ليبدأ العمل في بحثه.

ج- كتابة صفحة العنوان وتسجيل التقرير بداية البحث

في هذه المرحلة يكتب العنوان الدقيق في الصفحة الأُولى، عندها يجتهد

في كتابة تقرير عن بحثه في معنى الكلمات المؤلِّفة لعنوان موضوع البحث.

د- إعداد قائمة الآيات الرئيسية في البحث

في هذه المرحلة ندوّن عنوان الآيات التي جاءت فيها كلمات البحث، أو التي من جنس معناها على ورقة واحدة، ثم نسجّل الملاحظات الفرعيّة عليها، فإذا كانت كلمات العنوان غير مستعملة في القرآن الكريم، فسوف تكون القائمة محتوية على الآيات التي تحمل الكلمات التي من جنس معنى كلمات البحث الرئيسيّة فقط.

أمّا إذا كانت كلمات البحث مستخدمة بوفرة، فهنا نصنع قائمتين: إحداهما تضم الآيات التي تحتوي على كلمات العنوان، والأُخرى تضم الآيات التي تحتوي على الكلمات الشبيهة أو القريبة من معنى كلمات البحث.

هـ - إعداد قائمة المحتويات

ينبغي في هذه المرحلة إعداد قائمة أُخرى فيها أرقام الآيات من ابتداء السياق وانتهائه، وأيضاً أرقام آيات السياق التي استُخرجت في القائمة السابقة، ومجموع آيات كُل سياق، ويكون شكل القائمة كالتالي:

صف أرقام الآيات الأساسيّة	رقم الآية - اسم السورة -	رقم الآية في بداية السياق ونهايته	عدد آيات كُل سياق
....	....	...... إلى.....	....

و- تسجيل الإحصاءات المُتعلّقة باستعمال الكلمات الرئيسيّة في القرآن

في هذه المرحلة نكتب مجموع الآيات في كُل قائمة، كذلك مجموع الكلمات ذات العلاقة بموضوع البحث في كُل الآيات التي حوت كلمات

البحث الرئيسيّة في كُل القرآن الكريم، كذلك مجموع الآيات الموجودة في قائمة السياق، وغالباً ما يظهر في هذه المرحلة أثر إعجاز النظام القرآني بصورة مدهشة، لذا يجب التدقيق في أي شكل من أشكال النظم والتناسق في هذا الإحصاء ونُثَبته.

ز- استذكار المفاهيم والأسئلة

في هذه المرحلة يكون استذكار المفاهيم التي حصل عليها الباحث خلال بحثه، وكذلك الأسئلة التي أُثيرت باعتقاد أمر ضروري، إذ يستطيع الباحث من خلال هذا الاستذكار إيجاد الارتباط فيما بينها بإرجاع إحداها إلى الأُخرى بسهولة، وفي غير هذه الصورة، سوف تخفى عليه الكثير من المفاهيم واللطائف والنكت والارتباطات.

ح- تجديد النظر في كُل المفاهيم

عند بحث آخر آية وآخر سياق يكون الباحث قد وصل إلى نهاية مرحلة تحصيل المفاهيم، إذ قد يكون حصل على تمامها من أوّل صف للآيات إلى آخره، أو من طريق آخر، كالمراجعة العامّة وتجديد النظر، ولابُدّ من الالتفات في هذا التجديد للنظر إلى بعض المسائل لأهميته الخاصة:

المسألة الأُولى: إضافة المفاهيم الجديدة؛ فإذا ما جدّدنا النظر في المفاهيم ونظرنا إلى مفهوم جديد، نسجّل ذلك المفهوم في نهاية صفّ المفاهيم.

المسألة الثانية: تكميل نقص المفاهيم؛ حيث يُكَمِّل النقص بإضافة المفهوم الجديد بأن نجعلها مثلاً: مقيّدة أو مستثناة، أو نضيف شرحاً في آخرها أو...

المسألة الثالثة: فصل المفاهيم الصحيحة من غير الصحيحة؛ ويتمّ ذلك بعلامة أو توضيح إلى جانب وضع خطّ أحمر لتمييزها عن المفاهيم الأُخرى، ويجب الحذر من شطبها أو محوها، وإلّا يختلّ أُسلوب البحث ونظم كتابته.

المسألة الرابعة: إحالة المفاهيم المختلفة بعضها إلى البعض الآخر؛ وذلك بكتابة رقم كُل منهما في نهاية الآخر.

المسألة الخامسة: إحالة الأسئلة والأجوبة بعضها إلى البعض الآخر؛ وذلك بكتابة رقم السؤال في نهاية الجواب، ورقم الجواب في نهاية السؤال.

ط- الرجوع إلى المتون التفسيريّة:

في هذه المرحلة يرجع الباحث إلى المتون التفسيريّة ليقارن ما حصل عليه من نتائج مع ما فيها، وذلك لزيادة الاطمئنان في صحة النتائج من جهة، وللوقوف على قيمة البحث من جهة ثانية، وللحصول على ملاحظات وقرائن جديدة من جهة ثالثة.

ويتمّ كتابة المادّة المُستخرجة من التّفاسير في ذيل المفاهيم التي حصل عليها الباحث، مع كتابة مصدرها بدقّة (رقم الجزء: ج، ورقم الصفحة: ص)، ويُفضّل أن يبدأ بالتفاسير الروائيّة ثم غيرها من التّفاسير ذات الأَساليب الأُخرى، ويستحسن هنا الرجوع إلى تّفاسير الفريقين.

٢- مرحلة اكتشاف المفهوم

وتتم هذه المرحلة كالآتي:

أ- توسعة البحث الموضوعي، وتتمّ بواسطة بحث الكلمات المترادفة ومثاله: لو كان موضوعنا (الصبر في القرآن) مثلاً، نوسّع البحث فيه ببحث

الكلمات المترادفة لكلمة الصبر ككلمة: (الاستقامة) ومشتقّاها.

وأيضاً بحث الآيات في عموم السورة القرآنيّة، وذلك بالخروج من حدود سياقها إلى كُل السورة التي جاءت فيها الآيات الحاوية على كلمات البحث الأساسيّة والسياق، ويمكن توسعة البحث أيضاً ليشمل سوراً أُخرى، بل كُل سور القرآن.

ب- تضييق البحث الموضوعي، ويتمّ بواسطة البحث الموضوعي في حدود الحزب الحاوي على عدّة سور قرآنيّة، وبحث كُل الآيات التي جاءت قبل الآية الأصليّة فقط، وإجراء الدراسة الموضوعيّة بدلاً عن البحث الموضوعي، أي: إجراء البحث بدون تثبيت الملاحظات والمفاهيم في كُل مراحل البحث الموضوعي، فيتحوَّل إلى دراسة موضوعيّة.

٣- مرحلة تضييق البحث الموضوعي وتهيئة أبوابه وفصوله وترقيم المفاهيم

إنّ أوّل مرحلة في تدوين البحث الموضوعي هي مرحلة تهيئة وإعداد فهارس الأبواب والفُصول، لذا لابُدّ ابتداءاً من المعرفة الكاملة بمقدار المفاهيم التي حصلنا عليها، وتحتاج هذه العمليّة إلى مراجعة المرحلة السابقة، ومثالها الفهرس التالي المُعد لبحث موضوع (العبرة في القرآن):

(الفهرس)

- ماهية العبرة ومفهومها.
- آليّة أخذ العبرة.
- مجالات أخذ العبرة وتوسعتها.
- شروط أخذ العبرة.

- موانع أخذ العبرة.
- آثار ونتائج أخذ العبرة.
- أقسام العبرة.
- ضرورة ومكانة أخذ العبرة في حياة الإنسان.

وثاني مرحلة في التدوين هي مرحلة التعيين والتشخيص بوضع العلامات اللازمة والأرقام، وتحتاج إلى مراجعة الأبواب والفصول مرة أُخرى بعد تصحيحها، ويكون التعليم على الأبواب والفصول إمّا بالعلامات أو الأرقام، وسوف نأخذ الفهرست الآنف الذكر مثالاً لذلك، فنضع حرف:

ميم: لماهية العبرة ومفهومها.

سين: لآليّة أخذ العبرة.

زاي: لمجالات أخذ العبرة وتوسعتها.

شين: لشروط أخذ العبرة.

نون: لموانع أخذ العبرة.

ثاء: لآثار ونتائج أخذ العبرة.

قاف سين: لأقسام العبرة.

ضاد: لضرورة ومكانة أخذ العبرة في حياة الإنسان.

وبعد تشخيص علامة العناوين في الفهرس، نذهب إلى المفاهيم المُستخرجة من الآيات وندرسها ونقيّمها، ونسجّل أمام كُل واحد مرتبط منها مع عنوان من عناوين الأبواب والفُصول ملاحظة في ذلك.

٤- مرحلة التأليف والكتابة(١)

في هذه المرحلة - وبعد إعداد فهرس الأبواب والفصول ووضع العلامات والأرقام - يستطيع الباحث البدء بالكتابة، ولا يشترط في التدوين التسلسل، بل يمكن الابتداء بما كانت مواده حاضرة، وبعد الانتهاء من كتابة جميع الفصول والأبواب تُرتّب بحسب فهرس العناوين.

مشكلات التفسير الموضوعي داخل القرآن الكريم

إنَّ أُسلوب الدراسات والتفسير الموضوعي داخل القرآن يمكن أن يؤدي أثناء التطبيق إلى بعض المشكلات التي يستطيع الباحث القرآني تجنّبها بالتدقيق في الاستعمال، وتنقسم إلى:

مشكلة الدور: وهو توقّف الشيء على نفسه، وينشأ في بعض الموضوعات القرآنيّة نتيجة استخدام هذا الأُسلوب في دراسة القرآن الكريم، مثل: إثبات الله تعالى، والنبوّة العامّة، وعصمة النَّبيّ(صلّى الله عليه وآله)، والإعجاز القرآني و....

ويمكن تصور الدور عبر المثال التالي:

إنّنا إذا ما أردنا إثبات عصمة النَّبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم بأُسلوب البحث الداخلي في القرآن، فلابُدّ أن نستدل بآيات القرآن لإثبات ذلك بحسب هذا الأُسلوب، ولكن الاستدلال بها متوقّف على إثبات حُجيّتها، وإثبات حُجيّتها متوقّف على عصمة النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فصار الناتج أنّ إثبات عصمة النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بواسطة

(١) انظر: رضائي أصفهاني، محمّد علي، منطق تفسير قرآن، ج٣، ص: ٢٣١.

الآيات القرآنيّة متوقّف على ما نريد أن نُثبته بها، وهو الدور بعينه.

وبناءاً عليه، ففي هكذا حالات، يلزم على الباحث أن يثبت المسألة بالاستدلال عليها بالأدلّة من خارج القرآن الكريم، وتكون الأدلّة القرآنيّة إرشاديّة.

طبعاً لا يوجد مانع من استعمال دليل عقلي على إثبات وجود الله أو التوحيد من متن القرآن، كما إذا أردنا إثبات إعجاز القرآن الكريم من خلال الآية: ﴿لَوْ كانَ فيهِما آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتا فَسُبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[1] والتي تحكي وحدة حاكم الكون وتضمّ برهان التمانع، أي: منع وجود آلهة غير الله تعالى، أو الآية: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فيهِ اخْتِلافاً كَثيراً﴾[2]، فالاستدلال بهما عبارة عن التحليل العقلي الصرف التعبّدي بالآية.

ومشكلة الحصر: وهو حصر فهم الآيات القرآنيّة بالقرآن الكريم، حيث يسبّب حرمان الباحث القرآني من الاستفادة من الأَساليب الأُخرى أوّلاً، وعدم الحصول على الصورة الكاملة لموضوع البحث ثانياً، كما أنّ بعض الآيات القرآنيّة كآيات الأحكام تصبح مجملة بهذا الأُسلوب لا تُعرف تفاصيلها إلّا باستخدام أُسلوب خارج القرآن (النقل).

وقد ظُنّ الحصر واستُفيد من بعض المواقف التي نُقِلَت عن جماعة قرآنيين وغيرهم، وبعض كلمات الطباطبائي في تفسير الميزان[3]، التي تزول

(١) سورة الأنبياء: ٢٢.

(٢) سورة النساء: ٨٢.

(٣) الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج٣، ص: ٨٩.

شبهتها بالتدقيق في كلام آخر له[١].

ثانياً: طريقة التفسير الموضوعي خارج القرآن

إنّ طريقة التفسير الموضوعي خارج القرآن الكريم: طريقة جديدة في البحث الموضوعي، وضعها وأسّسها محمّد باقر الصدر[٢]، إذ كان قد طرحها لأوّل مرة في نهاية السبعينات من القرن العشرين، محدثاً بطرحها تغييراً نوعياً في البحث القرآني، وقد عُدّ متقدّماً خطوة إلى الأمام بذلك على أقرانه، إذ جعل بنظريته المبتكرة البحث الموضوعي في القرآن مشتملاً على «الموضوعات التي لم تُذكر صراحة في القرآن الكريم، بل يمكن أن تكون قد أُشير إلى أسبابها أو لوازمها أو...»[٣]، وقد بدا التفسير الموضوعي بها تفسيراً حيوياً متحركاً، بُعثت فيه الروح من جديد[٤]، بعد أن كان جامداً على الموضوعات القرآنيّة الكُلِّية، كما أنّها أظهرت الإعجاز القرآني في مواكبة الحياة.

أصول طريقة التفسير الموضوعي خارج القرآن

يقول محمّد باقر الصدر شارحاً نظريته: إنّ المفسِّر في هذا النوع من البحث لا يبدأ عمله من النص، بل من الواقع الحياتي بمختلف جوانبه وينتهي بالقرآن، ولكنّه لا يحمل الواقع مجرداً عن التجربة البشريّة في هذا الموضوع وما

---

(١) المصدر نفسه، ج١٢، ص: ٢٦١-٣٦٣.

(٢) انظر: الحكيم، محمّد باقر، تفسير سورة الحمد، ص: ٩٤.

(٣) مقابلة مع: الحكيم، سيّد منذر، «التفسير الموضوعي للعلّامة الشهيد الصدر»، مجلة: رايحة، ع٧٦(خاص بمناسبة ذكرى استشهاد الشهيد الصدر)، ص: ٣٢.

(٤) راجع: المصدر نفسه، ص: ٢٠٢.

أثارته من مشاكل وأعطته من حلول، كما أنّه يلحظ التطبيق التـاريخي أيـضاً، ويسجّل الأسئلة ويحدّد نقاط الفراغ.

إنّ المفسِّر في هذه الطريقة في الواقع يقوم بعرض الموضـوع علـى الـنص القرآني عرضاً حوارياً، يُحدّد من خلاله النقص في التجربة البشريّة، وما يُـراد الإجابة عليه، ومن هنا تبدأ رحلة المفسِّر مع النص القرآني منفصلاً عن تجربته البشريّة، وفي هذه المرحلة يبدأ الباحث حواراً مع النص القرآني لكـشف نظـره في الموضوع، ومن المقارنة بين ما يملك من أفكار واتجاهات حصل عليهـا مـن التجربة البشريّة في الموضوع، وبـين نظـر القـرآن الكـريم فيـه، يـستلهم المفـسِّر النظريّة القرآنيّة في موضوع البحث.

ومن هنا كانت عمليّة التفسير الموضوعي بهذه الطريقة عمليّـة اسـتنطاق للقرآن الكريم[1].

يبدو من خلال مـا تقـدّم أعـلاه، أنّ محمّـد بـاقر الـصدر وضـع هـذه الطريقة في التفسير الموضوعي بناءاً على مجموعة من الأُصول التي استنتجها من القرآن الكريم والرواية والعقل وتطبيق النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم للقرآن وهي:

الأصل الأوّل: إنّ القرآن الكريم نزل لتلبية احتياجات النّاس في كُل عصر ومكان

ومستند هذا الأصل يرجع إلى إقرار جميع علمـاء المسلمين بـأنّ القـرآن الكريم كتاب مواكب لتطورات الحياة، لأنّه كتاب خالد، ودليل خلوده:

عدم تحديد أو تقييد آياته بزمـان معـيّن أو مكـان أوَّلاً، وثبـوت اعتبـاره

(١) انظر: الصدر، محمّد باقر، المدرسة القرآنيّة، ص: ١٩-٢١.

وصحته ثانياً، وقد استُدلّ على الأوَّل: بالألفاظ العامّة التي استُعملت في آياته مثل: بني آدم، والنَّاس، العالمين، وهي ألفاظ تدل على عدم التقييد لمصاديق هذه الكُلِّيات في زمن محدد ومعيّن أو مكان خاص دون غيره، ومنه فُهم الإطلاق.

واستُدل على الثاني: بخاتميّة الرسالة الإسلاميّة، ومعناه: عدم وجود الناسخ للقرآن الكريم، أي: إنّه يحلّ المشكلات ويعطي الأجوبة عليها من حين نزوله إلى يوم القيامة، يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿... وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1].[2]

الأصل الثاني: إمكانية الحوار مع القرآن الكريم

ومستند هذا الأصل رواية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام التي قال فيها في وصف القرآن الكريم: «محمّد بن يحيى، عن بعض أصحابه، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: ... ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق لكم، أُخبركم عنه، إن فيه علم ما مضى، وعلم ما يأتي إلى يوم القيامة، وحكم ما بينكم وبيان ما أصبحتم فيه تختلفون، ...»[3].

---

(١) سورة فُصّلت: ٤١-٤٢.

(٢) انظر: مصباح اليزدي، محمّد تقي، دروس في العقيدة الإسلاميّة، ج٢، ص: ١٤١-١٤٢.

(٣) الكُليني، محمّد بن يعقوب، أُصول الكافي، ج١، ص: ٦٠-٦١، ح٧، تحقيق: علي أكبر غفّاري.

والإمام عليه السلام بهذا النص أشار إلى منهجيّة مثمرة في فهم القرآن الكريم واستكشاف تمام مقاصده ودلالاته، فالقرآن كتاب حُدد مراده بالقالب اللفظي الّذي نزل به، والّذي لا يُعبِّر عن تمام معناه، بل عن بعضه، من خلال ما تعطيه ظواهر الألفاظ في النص القرآني، لذا كان لزاماً البحث عمّا خفي منها، وقد حدّد عليه السلام البحث عن خفي المعنى بـ: (الاستنطاق)، أي: تكليم[1] القرآن الكريم بطرح الأسئلة عليه وتحصيل الجواب منه، وهو ما أشار إليه عليه السلام بقوله: (أُخبركم عنه)، والّذي يُفهم منه بواسطة ما أخبر به عليه السلام أنّ عمليّة حوار جرت بينه وبين القرآن الكريم، قد حصل فيها على نتائج كُلِّية لم تكشف عنها ظواهر نصوصه المقدّسة في قالبها اللفظي، والنتائج هي:

١ـ فيه(أي: القرآن) علم ما مضى وعلم ما يأتي إلى يوم القيامة.

٢ـ حكم ما بينكم.

٣ـ بيان ما أصبحتم فيه تختلفون.

والملاحظ في هذه النتائج أنّها لا تختص بموضع خاص من القرآن، أو بآية دون أُخرى، بل هي من عموم آياته الشريفة، وهو السبب في جعلها كُلِّية وليست جزئيّة.

وأمّا وجه الاستدلال بهذا الكلام، فيرى الصدر أنّ التعبير بالاستنطاق المراد منه الحوار مع القرآن الكريم[2].

---

(١) انظر: الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، ج٥، ص: ٢٣٩.

(٢) انظر: الأزرقي، أحمد، منهج السيّد محمّد باقر الصدر في فهم القرآن، ص: ٣٧٤.

الأصل الثالث: أن يكون ناتج الحوار مع القرآن الكريم نظريّة قرآنيّة

ومستند هذا الأصل يرجع إلى غرض وغاية الباحث في القرآن الكريم، فالمراد في التفسير الموضوعي هو النظريّة القرآنيّة لا غير، وغاية وغرض المفسِّر الموضوعي معرفة رأي القرآن الكريم، وقد لوحظ هذا الهدف في سيرة النَّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في تطبيق القرآن الكريم في جوانب الحياة العامّة، حيث كانت سيرته قائمة على تنزيل النظريّة القرآنيّة في الحياة الاقتصاديّة والسياسيّة والعقائديّة والاجتماعيّة و...إلخ، بمعنى أنّه كان يحاور القرآن الكريم ليخرج بنتيجة كُلِّية، أو بعبارة أخرى نظريّة قرآنيّة فيطبّقها في مجال موضوعها، وقد ألَّف المسلمون هذه الطريقة من النَّبيّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم إلّا أنّها لم تكن مؤطرة بعنوان خاص[١].

الأصل الرابع: أن يكون الموضوع المطروح في هذه الطريقة من خارج القرآن الكريم

ومستند هذا الأصل يرجع إلى أنّ الركيزة الأساسيّة في التفسير الموضوعي هي: (الموضوع)، وهو إمّا أن يكون موضوعاً ذكرته آيات القرآن الكريم ويُعبَّر عنه بالموضوع الذاتي، أو لم تذكره الآيات الشريفة، بل يُفرِزَه الواقع الخارجي، وعليه فإنّ البحث في التفسير الموضوعي إمّا أن يجري في الموضوع الذاتي أو الخارجي، فالبحث الموضوعي خارج القرآن الكريم، بحث متقوّم بالموضوع الخارجي، لذا لابُدّ أن يكون موضوعه مطروحاً من رحم الحياة العامّة، فالمفسِّر يبدأ في بحثه بناءاً على ذلك من الموضوع، من الواقع الخارجي ويعود إلى القرآن الكريم.

(١) انظر: المصدر السابق، ص: ٣٨٠.

الأصل الخامس: تحصيل رأي القرآن بالتوحيد بينه وبين التجربة البشريّة

ومستند هذا الأصل يرجع إلى فهم الموضوع، فهناك في رأي محمّد باقر الصدر فهمان للموضوع: واقعي، ويُراد به الفهم على ضوء الأحداث والوقائع والتطبيقات وما ينتج عنها، وفهم قرآني، ويُراد به إدراك نتائج تحكيم النص القرآني في الموضوع، ويرى أنّ عمليّة عرض الأوَّل على الثاني هي الطريق للتوحيد بين الفهمين، فالأمر لايخلو من حالتين: إحداها التعارض، وفيها يُقدّم الفهم القرآني لحاكميته وقيمومته ومرجعيته، ويُعتبر التقديم بمنزلة التصحيح لفهم الموضوع واقعياً وتنقيحه من الأخطاء على ضوء القرآن الكريم، والأُخرى خلوّهما من التعارض، وفي هذه الحالة سوف تتحقق الوحدة بينهما، وبتحقق هذه الوحدة يُستحصل الرأي أو النظريّة القرآنيّة في الموضوع، لذا قيل: «إنّ نتائج التفسير الموضوعي ترتبط دائماً بتيّار التجربة البشريّة»(١).

إنّ من أهم الميزات التي امتازت بها هذه الطريقة، هي الدراسات التطبيقيّة، التي أمكن من خلالها معرفة الطريقة التي تستكشف بها النظريّة القرآنيّة، وبتتبّعنا لإحدى الدراسات التي طُرحت في هذا المجال نستطيع معرفة الخطوات التي أدّت إلى استكشاف النظريّة القرآنيّة، واسم تلك الدراسة: «سنن التاريخ في القرآن الكريم»، حيث نلحظ فيها أنّ محمّد باقر الصدر قام لتحصيل النظريّة القرآنيّة في هذا الموضوع بالخطوات التالية:

الخطوة الأُولى: تعيين الموضوع المراد طرحه على القرآن الكريم

---

(١) المصدر السابق، ص: ٣٦٨.

لاستجلاء النظريّة القرآنيّة فيه.

الخطوة الثانية: تحديد الأسئلة التي ينبغي الإجابة عليها من خلال النصوص القرآنيّة.

الخطوة الثالثة: جمع الآيات القرآنيّة ذات العلاقة بالموضوع وتصنيفها إلى طوائف واستخراج مدلول كُل طائفة منها.

الخطوة الرابعة: ربط مداليل طوائف الآيات المستخرجة في الموضوع واستخراج الرأي القرآني فيه.

الخطوة الخامسة: استجلاء النظريّة الإسلاميّة(١).

ثالثاً: طريقة التفسير الموضوعي المقارن

عُرِّفَ التفسير الموضوعي المقارن بأنّه: «معرفة ظاهرة أو وجهة نظر على ضوء المقارنة، أي: فهم وإيضاح مواطن الخلاف والاتفّاق»(٢)، وتتقوّم هذه الطريقة بالمفاهيم الرئيسيّة التالية:

المفهوم الأوَّل: المعرفة والإيضاح أو وجهة النظر التي هي هدف الدراسة المقارنة.

المفهوم الثاني: الدراسة المقارنة، أي: طريقة الوصول إلى معرفة متعدّدة الوجوه.

---

(١) انظر: الحكيم، سيّد مُنذر، مجتمعنا في فكر وتُراث السيّد محمّد باقر الصدر، ص: ٧٠.

(٢) فرامرز قراملكي، أحد، روش شناسي مطالعات ديني: (فارسي)، وترجمته: (منهج الدراسات الدينية)، ص: ٢٥٥.

المفهوم الثالث: فهم وإيضاح مواقف الخلاف والاتّفاق الواقعيّة بين أطراف المقارنة، والتي يتوصّل بها إلى الركن الأوَّل[١].

إن السِّمة البارزة للتفسير المقارن خروج الباحث فيه من دائرة البحث الضيّقة للموضوع، ليبيِّن ويقف على أبعاده الخفيّة، ويُعيّن المشاكل والقضايا بشكل أوضح، والتي يحرم نفسه من رؤيتها إذا ما بحث الموضوع بالأُسلوب المباشر(غير المقارن)، إذ يكون رأي الباحث في هذه الحالة نظراً سطحياً، وقد وجدت جذور هذا الأُسلوب من الدراسات في آيات القرآن الكريم، حيث أُشير إليها في موارد متعدّدة من جملتها: قوله تعالى: ﴿...قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ﴾[٢]، قوله تعالى: ﴿...هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ...﴾[٣]، قوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾[٤].

فكُل هذه الآيات تحثّ على إدراك أمر أو مسألة ما بهذا الأُسلوب (المقارن).

وتجدر الإشارة هنا، إلى أنّه في الدراسات المقارنة يجب أن تتضح حدود المقارنة، ليكون البحث بهذا الأُسلوب بحثاً ناجحاً، إذ تساهم عوامل مختلفة في تحديدها، من جملتها: قدرة الفرد، إمكانيات البحث، إمكانيّة إجراء المقارنة و....

---

(١) المصدر السابق.

(٢) سورة الأنعام: ٥٠.

(٣) سورة الرعد: ١٦.

(٤) سورة ص: ٢٨.

خطوات المقارنة

إنّ الدراسة المقارنة في القرآن الكريم تجري وفق الخطوات التالية:

أوّلاً: تحديد موضوع البحث.

ثانياً: تشخيص نطاق البحث وإمكانيّة إجراء المقارنة.

ثالثاً: تتبّع الحد الأقصى لوجوه الخلاف والتشابه، حتى الظاهريّة منها.

رابعاً: تجاوز حالات التشابه والاختلاف الظاهريّة إلى مواقف الاختلاف والوفاق الواقعيّة.

خامساً: شرح مواقف الخلاف والوفاق[1].

سادساً: إجراء المقارنة.

المراد من تجاوز الظاهري إلى الواقعي

إنَّ أهم وأصعب مرحلة في الدراسة المقارنة هي تجاوز المتشابهات والمختلفات الظاهريّة إلى الاختلاف والوفاق الواقعي، بمعنى التجاوز من الحالات الجزئيّة إلى المواقف العامّة الكُلِّية، فعلى سبيل المثال: أحياناً يتساوى لفظ في عِلمين، ولكن له معاني مختلفة، مثل لفظ (القياس)، فهو في المنطق بمعنى الاستدلال المصاحب للصغرى والكبرى، وفي علم الفقه بمعنى التمثيل، كذلك لفظ المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ بين الأديان والمذاهب التفسيريّة، إذ أقرّوا له معاني مختلفة، أو حتى لفظ (التأويل) الّذي جاء عند قدماء المفسِّرين كالطبري بمعنى التفسير، ولكن في رأي المفسِّرين المعاصرين استعمل بمعنى مقابل له: (المعنى الراجح لوجود قرينة دالة على إرادته)،

---

(١) فرامرز قراملكي، أحد، روش شناسي مطالعات ديني، ص: ٢٥٩.

فعمليّة التجاوز في هذه الحالات وأمثالها تتم وفق ما يأتي[١]:

١ـ إلقاء الأسئلة الأساسيّة في البحث وتحديد الثغرات المعرفيّة.

٢ـ معرفة تاريخ سؤال البحث وأُصوله العلميّة.

٣ـ دراسة المبادئ التصوريّة والتصديقيّة(الأُصول العلميّة) في البحث.

٤ـ معرفة الموضوع بواسطة أضداده.

٥ـ النظرة الفكريّة الكُلِّية المنتظمة، وبحث المجموع بدلاً عن الفرد.

فعمليّة التجاوز هي عمليّة نقل البحث من مرحلة تعيين الألفاظ ومنطوق الجمل، إلى ما هو أعمق منه: كبحث المتشابهات والمختلفات والمتوافقات.

أقسام التفسير الموضوعي المقارن

يُقسّم البحث الموضوعي في هذه الطريقة إلى قسمين هما:

أوَّلاً: التفسير المقارن بين القرآن الكريم والكتاب المقدّس

مَالَ بعض المفسِّرين إلى بحث الموضوعات القرآنيّة بحثاً مقارناً بين القرآن والتوراة والإنجيل، وذلك بسبب وجودها في الإثنين، كبعض قصص الأنبياء في القرآن الكريم، مثل قصة آدم وموسى وعيسى عليهم السلام، حيث يبيّن هذا النوع من البحث في هذه الموارد أصالة القرآن الكريم وسَمّوه من خلال تبيين المحرّف منها في الكتب الأُخرى، كذلك بيان أنّ لهذه الكتب السماويّة مصدر واحد هو الوحي الإلهي، إلاّ أنّها قد حُرِّفت.

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص: ٢٥٩ـ٢٧١.

وكان ممّن استفاد من هذه الطريقة في التفسير: محمّد جواد البلاغي (١٣٨٢ ـ ١٣٥٣ق) في تفسيره: «ألاء الرحمن في تفسير القرآن»، وكتاب: «الرحلة المدرسيّة»، و«الهدى إلى دين المصطفى»، ومحمّد حسين الطباطبائي في كتاب: «الميزان في تفسير القرآن» في ذيل قصة آدم وحواء عليه السلام، ومفسِّرون آخرون.

وأيضاً استخدمت هذه الطريقة بعض الرسائل الجامعيّة التي دارت بحوثها حول القرآن وأحد كتب الهندوس المقدّسة(الأباتشاد).

ومن نماذج هذه الطريقة في كتب المفسِّرين: ماذكره الطباطبائي في ذيل الآيات: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[١]، إذ تناول قصة آدم وخلق حواء عليها السلام والجنّة وملامحها في القرآن والتوراة، كذلك نقل روايات تذكر أنّ مُساعدا إبليس(الحيّة والطاووس) كانا في خداع آدم عليه السلام، وأنّ حواء عليها السلام خُلِقَت من الضلع الأيسر لآدم، ثمّ نَقَل محتويات الفصل الثاني من السِفر الأوَّل من التوراة، ونبّه أنّ هذه المسائل من الإسرائيليات أُخذت من التوراة[٢].

(١) سورة البقرة: ٣٥ـ٣٩.

(٢) انظر: الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص: ١٤٠ـ١٥٠.

ثانياً: التفسير المقارن بين المذاهب الإسلامية

كانت هذه الطريقة منذ القِدَم محطّ اهتمام المفسِّرين مثل: الفخر الرازي(ت ٦٠٦ ق) في كتاب: «مفاتيح الغيب»، حيث بحث ونقد وجهات نظر تفسيريّة وكلاميّة شيعيّة وسنيّة، والألوسي(ت ١٢٧٠هـ) في تفسير: «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم»، إذ عقد الهمّة على تفسير بعض الحالات تفسيراً مقارناً، كما اهتم الشيعة أيضاً منذ القدم في تفاسيرهم بوجهات نظر أهل السنّة كالمعتزلة والأشاعرة، وأوردوا آراءهم في ذيل آيات الولاية والجبر والتفويض، ومثال ذلك في تفسير: «التبيان في تفسير القرآن» للطوسي (ت٤٦٠هـ)، و«مجمع البيان في تفسير القرآن» للطبرسي (ت ٥٤٨هـ، و«روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن» المطبوع (باللُغة الفارسية) لأبي الفتوح الرازي(ت ٥٥٦-٥٦٠هـ)، وتفسير «الميزان في تفسير القرآن» لمحمّد حسين الطباطبائي(ت ١٤٠٢هـ).

وقد أولت تفاسير القرآن الكريم في العقد الأخير اهتماماً خاصاً بهذا الأُسلوب في البحث والتحقيق، وإنّ أوّل كتاب كُتبَ فيه حمل عنوان: «التفسير التطبيقي» لفتح الله نجّارزادگان(باللُغة الفارسيّة)، ولعلّ من العيّنات البارزة في عصرنا في هذا المجال: كتاب: «التفسير الأثري الجامع» للمرحوم محمد هادي معرفة، والّذي نُشِرَت منه بعض المجلّدات.

ومن أمثلة هذه الطريقة، ماذكره فتح الله نجّارزادگان من بحث في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ

رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾[١]، حيث بدأ بتعيين الهدف من البحث، وبيّن مورد الخلاف بين الفريقين في الآية، ثم بيّن المفردات، ثم انتقل إلى بيان النقاط المشتركة كالسياق وزمن النزول ومورده، ثم عقد بحثين منفصلين بعد ذلك لبيان وجهة نظر الشيعة والسُنّة في تفسير الآية، ثم أجرى نقداً وتقييماً للشبهات حول وجهة نظر الشيعة، وفي النهاية خلص إلى بيان النقاط المشتركة في الموضوع، وهي حصيلة وخلاصة المقارنة[٢].

رابعاً: التفسير المقارن بين القرآن الكريم والعلوم الأُخرى

تُصنّف بعض الموضوعات في العلوم على أنّها موضوعات يمكن بحثها في أكثر من باب من أبواب العلم، كمباحث علم النفس التي يمكن بحثها في القرآن الكريم وعلم النفس وعلم الاجتماع والصحافة والإعلام و...، شريطة أن تكون مرتبطة بالقرآن الكريم، وهذا النوع من البحوث له صورتان:

إحداهما: أن يكون الموضوع واحداً يمكن بحثه في علوم مختلفة.

والأُخرى: أن تكون هناك مجموعة من المسائل في علوم مختلفة يجمعها موضوع واحد.

ويمكن تصور تعريف لهذه الطريقة من خلال البيانات الآنفة الذكر، وهي: «بحث مسألة واحدة أو عدة مسائل من وجهة نظر عِلمَين مختلفين أو

---

(١) سورة المائدة: ٦٧.

(٢) راجع: نجارزادگان، فتح الله، تفسير تطبيقي: (فارسي)، وترجمته: (التفسير المقارن)، ص: ١٦١ـ٢٤١.

أكثر، شريطة أن يكون بين العِلمَين ارتباط بالقرآن الكريم، كأن يكون أحدهما خارجاً عنهما»[١].

وقد اهتم علماء العصر الحاضر بهذه الطريقة لأنّها مفيدة ومؤثرة في بعض الحالات مثل:

١ - تفسير الآيات العلميّة، وشرح المواضيع القرآنيّة العلميّة.

٢ - العودة إلى مباديء العلوم الأساسيّة، خاصة العلوم الإنسانيّة.

٣ - إزالة توهّم التعارض بين العلم والدين.

٤ - إنتاج النظريّة العلميّة في القرآن.

٥ - إنتاج العلم الجديد المتعدّد التخصصات، مثل علم النفس الديني وعِلم الاجتماع الديني[٢].

كما شكّلت الدراسات والبحوث الموضوعيّة بين القرآن والعلوم الأُخرى مختلف مجالات العلوم الإنسانيّة كالعلوم الطبيعيّة مثل: القرآن والصحة؛ القرآن والنجوم (علم الكونيات)؛ القرآن والعلوم الطبيّة؛ و....

والعلوم الإنسانيّة مثل: القرآن وعلم النفس؛ القرآن والعلوم التربويّة؛ القرآن وعلم الاجتماع؛ القرآن وعلم الاقتصاد؛ القرآن والسياسة، و....

والعلوم العقليّة مثل: القرآن والفلسفة؛ القرآن وعلم الكلام؛ القرآن وعلم الرياضيات؛ و....

والعلوم البديهيّة مثل: القرآن والعرفان؛ القرآن والتصوف؛ و...[٣].

---

(١) انظر: فرامرز قراملكي، أحد، روش شناسي مطالعات ديني، ص: ٣٣٠-٣٣٥.

(٢) انظر: رضائي أصفهاني، محمّد علي، منطق تفسير قرآن، ج٣، ص: ٢٣٤.

(٣) انظر: المصدر السابق، ص: ٢٣٤-٢٣٥.

أُصول التفسير المقارن بين القرآن الكريم والعلوم الأُخرى

للتفسير الموضوعي في هذه الطريقة أُصول هي:

الأصل الأوّل: جواز وحُجيّة التفسير العلمي

إنّ مفسِّر آيات القرآن الكريم ينسب أُموراً إلى الله تعالى تحتاج إلى أدلّة وقرائن قطعيّة وعلميّة، حيث يمكن الحصول عليها أحياناً من الآيات القرآنيّة، وأُخرى من روايات المعصومين عليهم السلام، وثالثة من البراهين العقليّة، كما يمكن أخذ نتائج العلوم القطعيّة أو التي تورث الاطمئنان كقرائن على فهم وتفسير آيات القرآن؛ لأنّ حُجيّة العلم قطعيّة وذاتيّة، والتفسير الّذي يستند إليها يكون تفسيراً معتبراً وحُجّة.

الأصل الثاني: عدم تفسير الآيات بغير العلم والتفسير العلمي

وهذا الأصل هو أحد أُصول التفسير التي يلزم التوجّه إليها بشكل خاص في التفسير العلمي؛ فالمفسِّر يكشف عن المقاصد والمعاني للآيات القرآنيّة الشريفة، ويريد بذلك الكشف عن مرادها الجدي والاستعمالي، وحيث إنّ عمليّة الكشف تجري بالاستناد إلى الأدلّة والقرائن الدالّة، إلّا أنّه لا يمكن الاستناد إلى كُل دليل وقرينة؛ لأنّ بعضها لا يقبلها العقل، والأُخرى محظورة شرعاً، لذا يلزم تقييم تلك الأدلّة والقرائن لنرى مدى اعتبارها في التفسير، وهنا ترجح الأدلّة القطعيّة والقرائن اليقينيّة؛ لأنّها حُجّة في المقام، كونها أدلّة عِلميّة معتبرة توجب القطع(١).

وبالرغم من أنّ أكثر مواضيع العلوم التجريبيّة والنظريات العلميّة ليست

---

(١) انظر: المظفر، محمّد رضا، أُصول الفقه، ج٢، ص: ٢٥-٢٧.

قطعيّة، إلّا أنّ بعضاً منها يمكن أن يكون يقينياً؛ لأنّها تستند إلى أدلّة عقليّة كالرياضيات، أو من شدة وضوحها أصبحت أمراً بديهياً، كدوران الأرض وحركتها مثلاً أو قوة الجاذبيّة، حيث أصبحت في عصرنا من الحالات التي وصلت إلى حد البداهة الحسيّة ولا تحتاج إلى دليل.

الأصل الثالث: احتواء القرآن الكريم على كُلّيات العلوم

وُضع هذا الأصل لمعرفة حدود ومساحة البحث بهذه الطريقة في القرآن الكريم، حيث إنّ معرفة هذه الحدود يتوقّف على معرفة مقدار ما يشتمل عليه القرآن الكريم من العلوم، إذ قال البعض: إنّ القرآن يشتمل على جميع العلوم، وقال الآخر: إنّه لا يشتمل على شيء، وقال الثالث: إنّ القرآن لا يحتوي على جزئيات العلوم وتفاصيلها، بل الكُلّيات، وقد عُدت النظرة الأُولى إفراطيّة والثانية تفريطيّة والثالثة معتدلة، وهي المأخوذ بها في هذا الموضوع.

الأصل الرابع: وجود العلاقة بين القرآن والعلم

يُعدّ هذا الأصل من الأُصول المهمّة في هذه الطريقة من البحث الموضوعي، وذلك لأنّ طرفي البحث فيها هما العلوم التجريبيّة والقرآن الكريم، حيث يمثّل كُل منهما جانباً منفصلاً بطبيعته عن الثاني، ولأجل حصد النتائج في هذه الطريقة لابُدّ من وجود الارتباط بين الطرفين؛ لأنّ مع عدم وجوده يعطي البحث نتائج متناثرة لا يمكن جمعها على محور جامع، ونظراً لأهمية ذلك حرص العلماء على تحديد العلاقة بين القرآن الكريم والعلوم التجريبيّة، وتصوروا في ذلك أربع فرضيات بناءاً على الحصر العقلي التالي:

أوّلاً: عدم وجود الارتباط بين العلم والدين، وهي نظريّة العالم

(كانت) ولا زالت قائمة إلى عصرنا الحاضر.

ثانياً: التعارض بين العلم والدين، وهي نظريّة سادت في أُوربا في أواخر القرون الوسطى وحتى عصرنا الحاضر.

ثالثاً: التفاعل بين العلم والدين، وهي نظريّة المُتكلِّمين وقدماء المفسِّرين المسلمين والمسيحيين.

رابعاً: التوافق بين العلم والقرآن، وهي النظريّة الإسلاميّة التي استنبطت من التعاليم الإسلاميّة ولها شواهد كثيرة في القرآن الكريم، كالآيات التي تذكر الموضوعات العلميّة، والتي تعطي أهمية للعلم والعلماء.

الأصل الخامس: لا تعارض واقعي بين القرآن والعلم

إنّ التعارض بين القرآن والعلم إن وجد سرعان ما ينحل؛ لأنّه من نوع التعارض الظاهري لا الواقعي، وقد ذكر بعض أهل العلم[1]: إنّ السبب في وجوده فيه احتمالان:

الأوَّل: حدوث خطأ في مقدّمات العلوم التجريبيّة.

والثاني: حدوث خطأ في فهم دلالة آيات القرآن الكريم.

وعليه فإنّ وظيفة الباحث حال رؤيته لهكذا نوع من التعارض تكون التأمّل والبحث عن حلّ منطقي معقول، فمثلاً تعارض قوله تعالى: ﴿...ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[2] مع علم الكونيات الّذي أثبت أن لا وجود إلّا لسماء واحدة، حُلَّ بتصور المراد من

(١) انظر: رضائي أصفهاني، محمّد علي، درآمدي بر تفسير علمي قرآن: (فارسي)، وترجمته: (مقدمة في التفسير العلمي للقرآن)، ص٢٣٠.

(٢) سورة البقرة: ٢٩.

كلمة (سبع) و(سماوات)، والتمييز بين لُغة الخطاب القرآنيّة وعلم الكونيات، وأنّ ما يطرحه القرآن لم يتوصل إليه علم الكونيات بعد، و...

الأصل السادس: إنّ وظيفة القرآن الكريم هداية النّاس باتجاه الله وليس بيان المباحث العلميّة

إنّ الباحث في هذه الطريقة عليه أن يُدرك أنّ الهدف الأساسي للقرآن الكريم إلى جنب الأهداف الأُخرى كالتبشير والإنذار والشفاء والرحمة والعدالة و...، هو هداية النَّاس باتجاه الله تبارك وتعالى، حيث عُدّ هذا الهدف من أهم أهدافه، كما أشار إليه في آيات منها: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾(١)، وقوله: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُواْ لَوْلاَ اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يِوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(٢)، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾(٣).

إنّ تفسير الآيات القرآنيّة التي فيها إشارات علميّة تفسيراً علمياً بحتاً تفسير غير معتبر؛ لأنّه مجانب لهدف القرآن الكريم الأسمى (الهداية)، وعليه يجب على المفسِّر أن يجعل ما فسَّره من إشارات علميّة في الآيات في طريق الهداية البشريّة، وهو التفسير الصحيح المعتبر.

صور البحث بين القرآن الكريم والعلوم الأُخرى

يمكن تصور طريقة البحث في التفسير الموضوعي بين القرآن الكريم

---

(١) سورة البقرة: ٢.

(٢) سورة الأعراف: ٢٠٣.

(٣) سورة يونس: ٥٧.

والعلوم الأُخرى في صور ثلاث:

الأُولى: بحث آراء علماء العلوم ومفسِّري القرآن الكريم، بحثاً مقارناً وتحصيل النتيجة منها.

الثانية: بحث موضوع ما من وجهة نظر القرآن الكريم وعلم خاص، كبحث شرعيّة الحكومة من وجهة نظر القرآن وعلم السياسة، وبيان وجهات النظر المتقابلة وإمكانيّة بحث الموضوع من زاويتين.

الثالثة: بحث موضوعٍ علميٍ في القرآن الكريم، كبحث وجود المخلوقات الحيّة في السماء في آيات القرآن، والّذي ينتهي أحياناً بوضع نظريّة قرآنيّة علميّة، إذ تصبح موضوعاً للبحث في العلوم يُرجع إليه.

قواعد التفسير الموضوعي بين القرآن الكريم والعلوم الأُخرى

إنّ البحث الموضوعي بين القرآن الكريم والعلوم الأُخرى يجري وفق القواعد التالية:

القاعدة الأُولى: استخدام العلوم كقرينة على فهم الآيات؛ فبملاحظة أنّ المفسِّر في التفسير يبحث عن فهم المقاصد ومعاني الآيات الإلهيّة، يلزمه الاستفادة من العلوم المختلفة كاللُغة العربيّة والأدب و... مستنداً في ذلك إلى المصادر المعتبرة في الاستدلال العلمي كالكتاب والسُنّة والعقل والعلوم التجريبيّة القطعيّة.

القاعدة الثانية: لزوم التوجّه لهدف القرآن الكريم؛ فالقرآن الكريم فيه موضوعات كثيرة ومختلفة، كالعقيدة والأحكام الشرعيّة وأُصول قوانين الأخلاق و...، كما أنّ فيه أكثر من ألف آية تشير إلى العلوم الطبيعيّة،

والهدف الأسمى لهذه الموضوعات والإشارات العلميّة هو التقرّب من الله تبارك وتعالى ومعرفته، لذا يلزم على المفسِّر تحديد الهدف الأصلي للقرآن وأيضاً السور والآيات ليُفسِّرها بشكل لا يتعارض وهذا الهدف.

القاعدة الثالثة: لزوم التوجّه لسياق الآيات القرآنيّة ولغة الخطاب فيها، والجوّ التاريخي للآيات والسور؛ إنّ التفسير الموضوعي كالتفسير الترتيبي، لا يمكن أن يمضي فيه المفسِّر القرآني من دون الرجوع إلى الجوّ العام الحاكم على الآية أو السورة؛ لأنّه بدون الرجوع إلى الجوّ العام للآية، سواء كان سياقها أو تاريخها أو زمان ومكان نزولها أو جغرافيتها، لا يتسنى له تفسير الآية تفسيراً صحيحاً ودقيقاً، وما يدل على ذلك تفسير كلمة «الزكاة» في الآيات القرآنيّة، فإنّها تُفسّر بمعنيين: أحدهما (الإنفاق) والآخر (الحقوق الماليّة)، فالزكاة في السور المكيّة تأتي بالمعنى الأوَّل؛ لأنّ جوّها العام حاكم في بيان التوحيد والمعاد والنبوّة، والمعنى الثاني أتى في السور المدنيّة؛ لأنّ جوّها العام يستلزم ذلك[1]، لذا يجب على المفسِّر أن لا يغفل عن هذه الحقيقة العلميّة في فهم وتفسير الآيات العلميّة.

القاعدة الرابعة: لزوم الاستفادة من العلوم التجربيّة المعتبرة؛ إنّ شرط تطبيق هذه القاعدة هو أن تكون نظريات العلوم التجربيّة نظريات قطعيّة، فإن كانت كذلك صحّ استخدامها في تفسير الآيات العلميّة، وإلّا استعملت على نحو الاحتمال ولا يصح القطع بها في التفسير، ونسبة القول على أساسها إلى الله تبارك وتعالى.

القاعدة الخامسة: لزوم الاستفادة من قاعدة الجري والانطباق في التفسير

---

(١) أنظر: الحسيني الشيرازي، سيّد محمّد، تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٣، ص: ٦٣٤.

على الخصوص في تفسير الآيات العلميّة؛ إنّ أهم ما يجب على المفسِّر تجاوزه في تفسير الآيات العلميّة هو تحديد النتيجة التفسيريّة بزمان ومكان خاصّين بالآية المفسَّرة، الأمر الّذي يعني عدم استثمار النتيجة في كُل عصر، ولأجل الخروج من هذه المشكلة يراعي المفسِّر قاعدة (الجري والانطباق)، أو بعبارة أُخرى إلغاء خصوصيّة الزمان والمكان، بأن يكون للآية في كُل زمان ومكان مصداق لها، ويُعرف هذا المصداق من خلال تطبيق الهدف العام للآية على المصداق في زمانه.

مشكلات التفسير الموضوعي بين القرآن الكريم والعلوم الأُخرى

ذكر بعض المتخصصين أنّ للتفسير الموضوعي بين القرآن الكريم والعلوم الأُخرى مشكلات يجب الإلتفات لها وتجاوزها أثناء عمليّة البحث، ويمكن إجمالها بالنقاط التالية:

١ـ فرض النظريات العلميّة على القرآن الكريم.

٢ـ السعي لاستخراج جميع جزئيات العلوم من القرآن الكريم، الّذي ينتهي عادةً بالتفسير غير المُعتبر، وأحياناً ينتهي بالتفسير بالرأي.

٣ـ إنتاج التفسير العلمي غير المعتبر نتيجة الغفلة عن الأهداف الأساسيّة للدين والقرآن والسور القرآنيّة والآيات.

٤ـ حصول الفهم والتفسير الناقص للآيات القرآنيّة في حال الغفلة عن السياق، والجوّ التاريخي للآيات العلميّة.

٥ـ عدم توفّر الشروط المطلوبة في المفسِّر العلمي، وإقدامه على تفسير الآيات القرآنيّة العلميّة، يعني تفسير القرآن الكريم بدون علم وإطّلاع، وهو نوع من التفسير بالرأي.

المبحث الثالث: خطوات البحث في التفسير الموضوعي

إنّ البحث في التفسير الموضوعي بحث عملي أكثر ممَّا هو نظري، وهو يجري -بحسب المنهج العلمي- وفق خطوات منهجيّة مبرمجة، ومراحل متناسقة، وطرق مدروسة، ومن جملة ما ذُكر في خطواته:

أوَّلاً: ما ذكره مصطفى مسلم من أنّ مراحل إجراء التفسير الموضوعي كالآتي:

١ـ اختيار عنوان للموضوع القرآني مجال البحث بعد تحديد معالم حدوده، ومعرفة أبعاده في الآيات القرآنيّة.

٢ـ جمع الآيات التي تبحث هذا الموضوع أو تُشير إلى جانب من جوانبه.

٣ـ ترتيب هذه الآيات حسب زمن النزول،....

٤ـ دراسة تفسير هذه الآيات دراسة وافية....

٥ـ بعد الإحاطة بمعاني الآيات مجتمعة، يحاول الباحث أن يستنبط العناصر الأساسيّة للموضوع من خلال التوجّهات القرآنيّة التي أحاط بها.

٦- ثم يلجأ الباحث إلى طريقة التفسير الإجمالي في عرض الأفكار في بحثه...

٧- الالتزام بمنهج البحث العلمي عندما يضع مخطط البحث للموضوع...

٨- وليكن هدف الباحث في كُل ذلك، إبراز حقائق القرآن الكريم وعرضها بشكل لافت للنظر مع ذكر حكمة التشريع وجماله ووفاءه بحاجات البشر...[1].

ثانياً: ما ذكره زاهر عواض الألمعي من أنّ هناك طريقتين لهذا النوع من التفسير، ولكل طريقة مراحلها الخاصة، والطريقتان هما:

«أُولاهما: أن يجعل السورة القرآنيّة وحدة متكاملة هدفها واحد وإن تعدّدت موضوعاتها،....

ثانيتهما: أن نجمع الآيات ذات الهدف المشترك، ونرتبها على حسب ترتيب النزول- ما أمكن- مع الوقوف على أسباب النزول-إن وجدت- ونتناولها بالشرح والبيان والتعليق والاستنباط، ونزنها بميزان العلم الصحيح، مع الإحاطة التامّة بكل جوانب الموضوع التي وردت في القرآن الكريم...»[2].

وقد بيّن بعد ذكر الطريقتين أنّ الطريقة الثانيّة هي المعمول بها في البحوث الموضوعيّة، وإذا أُطلقت كلمة (التفسير الموضوعي) فلا يفهم منها إلّا بحث موضوع من موضوعات القرآن الكريم[3].

---

(١) انظر: مسلم، مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي، ص: ٣٧ - ٣٩.

(٢) الألمعي، زاهر بن عواض، دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ص: ٢١-٢٢.

(٣) أنظر: المصدر نفسه، ص: ٢٢.

وأمّا خطوات فهي:

١. جمع الآيات ذات العلاقة بالموضوع.

٢. ترتيب الآيات المجموعة حسب النزول ما أمكن.

٣. إزاحة ما هو موهم بالاختلاف والتناقض بين الآيات القرآنيّة.

٤. تفسير الآيات أثناء عرضها، وتدعيمه بالسُنَّة النبوية وأقوال السلف الصالح.

٥. إخراج الموضوع متكاملاً تاماً للبناء والإحكام، مع مراعات البحث العلمي[١].

ثالثاً: ما ذكره محمّد علي رضائي الأصفهاني من أنّ مراحل إجراء التفسير الموضوعي كالآتي:

- جمع الآيات المُتعلِّقة بالموضوع.

- الاستفادة من طريقة القرآن بالقرآن بجعل الآيات القرآنيّة إحداها قرينة على فهم الأُخرى.

- الخروج برأي نهائي حول هذا الموضوع[٢].

رابعاً: **ما ذكره صلاح عبد الفتاح الخالدي، إذ ذكر لمراحل إجراء التفسير الموضوعي نوعين من المراحل:**

النوع الأوَّل: عام للألوان الثلاثة، وهي:

---

(١) أنظر: المصدر نفسه، ص: ٢٢-٢٣.

(٢) انظر: رضائي الأصفهاني، محمّد علي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيريّة للقرآن، ص: ٣١١.

١ـ أن يسجّل الباحث أهدافه التي يريد تحقيقها من بحثه.

٢ـ أن يحدّد الباحث مدى الحاجة المعاصرة إلى بحثه.

٣ـ أن يطّلع الباحث على الأبحاث والدراسات القرآنيّة الأُخرى.

٤ـ أن لا يكون لدى الباحث غرض مسبق يريد ترسيخه من خلال القرآن.

٥ـ أن يقرأ الباحث قراءة شاملة عامّة.

النوع الثاني: الخطوات الخاصة بكُل لون، وهي:

١ـ بحث المصطلح القرآني وتفسيره موضوعياً، إذ قال: يتم على مرحلتين أساسيتين:

المرحلة الأُولى: مرحلة البحث والجمع؛ وهي تجري وفق الخطوات التالية:

١ـ إعادة الكلمة إلى الجذر الثلاثي.

٢ـ البحث عن المعنى اللُغوي الاشتقاقي لهذه الكلمة في أُمّهات كتب اللُغة.

٣ـ النظر في معنى الكلمة في الكتب التي تبيّن معاني ألفاظ القرآن.

٤ـ نتابع كُل صيغة أو تعريف منها في آيات القرآن.

٥ـ نربط بين الأصل الاشتقاقي والاستعمال القرآني.

٦ـ نطّلع على تفسير الآيات التي تناولت هذا المصطلح.

٧ـ نسجّل ما نلحظه من دلالات ولطائف في الآيات[1].

---

(١) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، التفسير الموضوعي لمصطلحات القرآن، (التفسير والتأويل في ←

المرحلة الثانية: مرحلة الترتيب والتبويب والصياغة، وذكر لها خطوات هي:

١ـ إلقاء نظرة فاحصة على المادّة التفسيريّة المجموعة.

٢ـ وضع مخطّط منهجي موضوعي للبحث.

٣ـ توزيع المادّة التفسيريّة على فصول ومباحث.

٤ـ البدء بصياغة وكتابة كُل فصل، وعدم الانتقال إلى الفصل الثاني إلّا بعد الانتهاء من الفصل الّذي بين يديه.

٥ـ الحرص على دقّة الصياغة من الناحية الظاهريّة.

٦ـ ملاحظة اللطائف واللفتات، بأن تكون في مواضعها بحيث تكون متناسقة مع المكان الّذي وضعت فيه ولا تكون شاذّة أو ناشزة.

٧ـ التركيز على ربط المصطلح القرآني بمقاصد القرآن وأهدافه.

٨ـ الإخراج الفنّي المقبول للبحث من حيث المقدمة والفصول و....

٢ـ بحث الموضوع القرآني، وخطواته:

١ـ اختيار الموضوع القرآني للبحث....

٢ـ تسجيل الأَساليب التي دفعته للموضوع.

٣ـ جمع الآيات التي تتحدّث عن الموضوع....

٤ـ استخراج معاني الألفاظ التي اختارها....

٥ـ حصر الآيات التي استعملت المصطلحات الأساسيّة الموضوعيّة...

→ القرآن)، ص: ١٦ـ١٨.

٦- تسجيل ما يدور حول الآيات التي استخلصها...
٧- قراءة الآيات التي اخترناها في أُمّهات كتب التفسير...
٨- بيان الأبعاد المعاصرة للآيات.
٩- استخلاص الدلالات والعِبر واللطائف في الآيات المجموعة،....
١٠- الإطّلاع على دراسات الأبحاث القرآنيّة المعاصرة.

٣- بحث السورة القرآنيّة، وخطواتها:

١- ذكر اسم السورة التوقيفي ومعرفة اسمها الاجتهادي.
٢- تحديد مكان وزمان نزول السورة وبيان جوّ نزولها.
٣- تحديد أهداف السورة الأساسيّة.
٤- التعرف على شخصيّة السورة.
٥- ربط السورة بما قبلها من السور.
٦- تقسيم السورة المتوسطة والطويلة إلى أقسام وتقسيم الواحدة إلى دروس موضوعيّة.
٧- استخلاص أهم حقائق السورة والدلالات التي تقرّرها.
٨- الإطّلاع على السورة في أُمّهات كتب التفسير.

ويعتقد أنّ السورة تبدو بنظره في هذه الحالة وحدة موضوعيّة واحدة، ذات شخصيّة بارزة وموضوع عام، وعمود واضح وأهداف محددة.

خامساً: ما ذكره أبو القاسم الحسيني السيستاني من أنّ مراحل إجراء التفسير الموضوعي كالآتي:

١- جمع الآيات التي تخدم الموضوع.

٢- ترتيب الآيات حسب النزول ما أمكن، في مكة أوَّلاً، ثم في المدينة ثانياً، وما نزل أوّل العهد قبل ما نزل آخره.

٣- إزاحة ما قد يكون بين الآيات من موهم الاختلاف والتناقض، موقناً أنّ القرآن لا يوجد فيه اختلاف أو تناقض أو... وعليه يمكن التوفيق بينها.

٤- تفسير الآيات أثناء عرضها تفسيراً يُفهَم منه الحكمة في إيراد أسباب النزول إن وجدت، وشرح قصة من قصص الأنبياء والأُمم السالفة إن وردت في الآيات محل الشرح، مع مراعات شروط المفسِّر أثناء عرض الموضوع.

٥- إخراج الموضوع في صورة متكاملة تامّة البناء والإحكام بمُراعاة شروط البحث العلمي[1].

سادساً: ما ذكره كامران إيزدي مباركه تحت عنوان: (الطريقة الصحيحة للتفسير الموضوعي) من أنّ هناك طريقتين لإجراء التفسير الموضوعي، هما:

الطريقة الأُولى: اختيار موضوعات مختلفة أعم من أن تكون اقتصاديّة، أخلاقيّة، فقهيّة، ثمّ يُؤتى بالآيات بعنوان شاهد ودليل صحة، ثم تُذكر النتائج التي تحصّلت.

الطريقة الثانية: جمع الآيات المُتعلِّقة بموضوع واحد في كُل القرآن، وبدون الحكم عليها توضع إلى جنب بعض، ثمّ تُفسِّر تفسيراً بشكل مجزأ، ثم

---

(١) الحسيني السيستاني، سيّد أبو القاسم، تفسير موضوعي آيات قرآن: (فارسي)، وترجمته: (التفسير الموضوعي لآيات القرآن)، ص: ٢٢.

نجمعها ونستخرج الرابطة فيها ثمّ نخرج بنتيجة كُلِّية[١].

سابعاً: ما ذكره محمّد رضا الحسيني الشيرازي، من أنّ مراحل إجراء التفسير الموضوعي كالآتي:

١- جمع الآيات القرآنيّة المرتبطة بالموضوع المقصود.. من مختلف السور القرآنيّة.

٢- فرز الآيات.. وتصنيفها.. ووضع كُل واحد منها مع الآيات المُماثلة لها.

٣- ترتيب هذه المجموعات.. على حسب ما يقتضيه: (الإطلاق والتقييد) و(الخاص والعام) و(التقديم والتأخير) وغير ذلك.

٤- استنباط الرؤية المتكاملة والنهائيّة من خلال ذلك[٢].

المناقشة:

بعد التدبّر فيما ذُكر أعلاه من مراحل وخطوات لإجراء التفسير الموضوعي، نسجّل الملاحظات التالية:

أوّلاً: إنّ بعض ما ذُكر أعلاه من مقتضيات المراحل والخطوات ليس مرحلة تفسيريّة، لأنّه من الأُمور التفصيليّة الجزئيّة، كما في النقطة: (٣ و٤ و٥) ممّا ذكره مصطفى مسلم.

ثانياً: إنّ ما ذكره مصطفى مسلم في النقطة الأُولى، اختزل كُل خطوات التفسير الموضوعي، لذا فإنّ ما ذكره تباعاً يُعدّ تفصيلاً له، وليس خطوة في

---

(١) إيزدي مباركه، كامران، شروط وآداب تفسير ومفسِّر، ص: ٣٧٤.

(٢) الحسيني الشيرازي، محمّد رضا، التدبّر في القرآن، ج١، ص: ١١٥.

مقابله.

ثالثاً: إنّ ما قاله مصطفى مسلم تحت الرقم سبعة، لا يختص بالتفسير الموضوعي، بل هو عام في كُل بحث موضوعي.

رابعاً: ما قاله مصطفى مسلم تحت الرقم ثمانية، قد أفرغ التفسير الموضوعي من هدفه الأساسي وجعله مشتركاً مع التفسير العام.

خامساً: إنّ الخطوات التي ذكرها الخالدي تحت عنوان: (الخطوات العامّة في الألوان الثلاثة)، لا تصلح أن تكون خطوات بقدر ما هي شروط للباحث.

سادساً: إنّ مراحل إجراء التفسير الموضوعي، شاملة لكُل ألوانه، وعمليّة التفكيك التي قام بها الخالدي لا مبرر لها.

سابعاً: إنّ التعبير الّذي أطلقه زاهر بن عواضي الألمعي في النقطة الأُولى(أن يجعل السورة القرآنيّة...)، فيه أمران:

الأمر الأوَّل: مجانبته للواقع القرآني؛ لأنّ السورة القرآنيّة ذات وحدة موضوعيّة فعلاً، على الرغم من موضوعاتها ولا تحتاج إلى الجعل.

الأمر الثاني: إنّ الالتزام بهذه العبارة يُخرج البحث في السورة من التفسير الموضوعي فضلاً عن التفسير، وذلك لأنّ الموضوع في البحث التفسيري القرآني موضوع ثابت يأبى التغيير، بينما الموضوع المجعول يمكن تغييره بسهولة ويسر بحسب الجهة الجاعلة، فالجعل اعتبار، و**«الاعتبار سهل المؤنة»**[1].

---

(١) الصدر، محمّد باقر، دروس في علم الأُصول، ج١، ص: ٣١٥.

ثامناً: ذكر زاهر الألمعي أنّ الجمع بين الآيات يتم على أساس أن يكون للسورة هدف واحد، وأن يكون الترتيب بينها بحسب النزول، والالتزام بالأوَّل قد لا يعطي الحقيقة دائماً، لاحتمال وجود هدف آخر في السورة غير معلن أو مكتشف، كما أنّ الالتزام بالثاني يلزم منه عدم وحدة النتائج ودقّتها، لتعدّد أسباب النزول في الآيات القرآنيّة، وتباين النتائج كُلِّياً، لاختلاف مباني المفسِّرين في قبول سبب النزول أو رده وعدم الاعتماد عليه.

والجدير ذكره هنا أنّ ماذكره الألمعي خاص بالسورة القرآنيّة، وهو أخص من موضوع البحث.

تاسعاً: إنّ البحث على ضوء الطريقة الأُولى التي ذكرها كامران إيزدي مباركه بحث موضوعي وليس تفسيراً موضوعياً، لذا فهو خارج عن محل البحث.

ويلحظ في نقاط الخطوات والمراحل الآنفة الذكر إجمالاً، أنّها قد ابتعدت في أغلبها عن كونها خطوة أو مرحلة، وهو أمر ولّد إرباكاً وتداخلاً يمتنع معه الجزم والترجيح، وعليه فإنّ أنسب ما قيل في المقام هو قول محمّد علي رضائي، وكامران إيزدي مباركه في الطريقة الثانية، ومحمّد رضا الحسيني الشيرازي، والّذي يمكن أن يُلخّص جميعاً بالمراحل التالية:

أوَّلاً: تعيين وتشخيص موضوع البحث مطلقاً(سواء كان من القرآن أو خارجه).

ثانياً: استقصاء الآيات القرآنيّة المُتعلِّقة بموضوع البحث.

ثالثاً: معالجة الآيات المجموعة معالجة تفسيريّة ترتيبيّة، ومن ثم موضوعيّة.

رابعاً: جمع النتائج الجزئيّة، والخروج منها بنظرة أو نظريّة قرآنيّة في خصوص موضوع البحث.

صور جمع الآيات القرآنيّة

ذُكر لجمع الآيات القرآنيّة صور عديدة هي: الجمع التفسيري؛ الجمع الترتيبي؛ الجمع الاستنباطي؛ الجمع الموضوعي[1]؛ ويجري الجمع في كُل واحد منها كالتالي:

١- الجمع التفسيري

ونعني به: كشف المدلول الحقيقي للآية القرآنيّة، من خلال آية أُخرى تتعرض إلى الموضوع ذاته، وهو مايطلق عليه بـ: (تفسير القرآن بالقرآن) ومثاله:

قوله تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾[2].

فنحن نعرف منذ البداية أن لكُل آية مفهوماً ومصداقاً، ومفهوم الصراط هنا مثلاً، واضح يتيسّر لنا معرفته من المعنى اللُغوي للكلمة في معاجم اللُغة، وهو بمعنى: الطريق المُعبّد للسير، أو المستقيم، أي: العدل، وأقرب الطرق إلى المقصد.

أمّا مصداقه فغير واضح لا من الآية ولا من اللُغة، فلا ندري ما هو الصراط المستقيم الّذي يجب أن نسير عليه، ولا ندري من هم الّذين أنعم الله عليهم، حتى نهتدي بطريقهم.

---

(١) الحسيني الشيرازي، محمّد رضا، التدبّر في القرآن، ج١، ص: ١٢٠.

(٢) سورة الحمد: ٦-٧.

وفي مثل هذه الحالات يتعيّن علينا الربط والجمع بين هذه الآية والآيات الأُخرى، لاكتشاف مصداق الآية.

فنقرأ في سورة (يس) قوله تعالى: ﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[1]، فنعرف أنّ الصراط المستقيم هو: عبادة الله تعالى، والتزام منهجه في الحياة العمليّة والاجتماعيّة.

وأمّا بخصوص: ﴿... الّذين أنعم الله عليهم...﴾ فنقرأ في آية أُخرى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾[2]، ونعرف أن المراد منها: الأنبياء والصدّيقون والشهداء والصالحون[3].

وبخصوص الضالّين فنقرأ قوله تعالى: ﴿... وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿... وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿... وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[6]، فنعرف أنّ القرآن الكريم يحدّد الضلال في هذه الآيات بالكفر بكافّة أشكاله وألوانه.

---

(١) سورة يس: ٦١.

(٢) سورة النساء: ٦٩.

(٣) السُباعي، كاظم، القرآن كتاب حياة، ص: ٦٦-٦٨.

(٤) سورة النساء: ١٣٦.

(٥) سورة النساء: ١١٦.

(٦) سورة البقرة: ١٠٨.

ونقرأ قوله تعالى: ﴿... بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُبينٍ﴾[1] فنعرف أنّه التعدّي على حقوق الآخرين.

ونقرأ قوله تعالى: ﴿يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناكَ خَليفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ولا تَتَّبِعِ الْهَوى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبيلِ اللَّهِ...﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿... ومَنْ يَعْصِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبيناً﴾[3]، فنعرف أنّه الانحراف بكافّة ألوانه وأشكاله.

وهكذا من خلال ما تقدم استطعنا أن نعرف أنّ (الضالّين) هم: الكافرون بمختلف ألوانهم وأشكالهم، كذلك هم المتعدّون على حقوق الآخرين، والمنحرفون مطلقاً.

٢- الجمع الترتيبي

ونعني به: فرز مجموعة من الآيات وترتيبها ترتيباً منطقياً تسلسلياً بوضع بعضها إلى جنب بعض، إذ يفيد ذلك في حل التناقص المُتوهّم بين الآيات القرآنيّة من ظاهرها، بالالتفات إلى العام والخاص والمطلق والمقيّد في الآيات القرآنيّة، فإنّ حدودها لا تتعارض فيما بينها، بل تكون إحداها في طول الأُخرى، ومثال العام والخاص هو: الحكم في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ...﴾/ [سورة البقرة: ٢٢٨]، فإنّه عام خصصه قوله تعالى: ﴿... وأُولاتُ الأَحْمالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ...﴾/ [سورة

---

(١) سورة لقمان: ١١.

(٢) سورة ص: ٢٦.

(٣) سورة الأحزاب: ٣٦.

الطلاق: ٤][1].

ومثال المطلق والمقيّد قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسانَ لَفي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وتَواصَوْا بِالْحَقِّ وتَواصَوْا بِالصَّبْرِ﴾/ [سورة العصر: ١-٣]، فإنّ مفادها مطلق يشمل الإيمان بكُل شيء، لكنّه صار مقيّداً بقوله تعالى: ﴿... مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الْآخِرِ والْمَلائِكَةِ وَالْكِتابِ والنَّبِيِّينَ...﴾/ [سورة البقرة: ١٧٧][2].

كما أنّه يفيد في فهم مرحليّة نزول الأحكام الإلهيّة، فالأوامر والنواهي الإلهيّة تارة تتعلّق بقاعدة أساسيّة من قواعد التصور الإيماني، أي: بمسألة اعتقاديّة، فيقضي فيها الإسلام قضاءً حاسماً منذ اللحظة الأُولى، وأُخرى بعبادة وتقليد، أو بوضع اجتماعي معقد، فإنّ الإسلام يتريث فيها، ويأخذ المسألة باليُسر والرفق والتدرج، ويُهيىء الظروف الواقعيّة التي تيسر التنفيذ والطاعة، ومثال ذلك تحريم الخمر، حيث لم يكن الأمر بتحريمه أمر توحيد أو شرك، بل كان أمر عادة وأُلفة، والعادة كما هو معلوم تحتاج إلى علاج تدريجي مرحلي حتى يُقلع الإنسان عنها، وهو ما فعله القرآن الكريم، فنراه في البداية بدأ بتحريك الوجدان الديني، والمنطق العقلي في نفوس المسلمين، وذلك ببيان أنّ الإثم في الخمر أكبر من النفع فقال: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ والْمَيْسِرِ قُلْ فيهِما إِثْمٌ كَبيرٌ ومَنافِعُ لِلنَّاسِ وإِثْمُهُما

---

(١) انظر: فخر الدين الرازي، محمّد بن عمر، المحصول في علم أُصول الفقه، ج٢، ص: ٣٨٨، تحقيق: طه جابر فياض العلواني؛ الآمدي، علي بن أبي علي بن محمّد، الإحكام في أُصول الأحكام، ج٢، ص: ٢٦٢-٢٦٥، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي.

(٢) فاكر الميبُدي، محمّد، قواعد التفسير لدى الشيعة والسُنّة، ص: ٢١٩.

أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما... ﴾[١]، وفي هذا القول إيحاء بأنّ تَركها هو الأَولى.

ثم قام بتضييق فرص المزاولة لعمليّة الشرب والتعاطي على العادة، من خلال كسر مواعيدها، إذ المعروف أنّ المدمن يشعر بالحاجة إلى ما أدمن عليه من مسكر أو مخدّر في الموعد الّذي اعتاد تناوله فيه، فإذا تجاوز هذا الوقت، وتكرّر هذا التجاوز فترت حِدَة العادة، أمكن التخلّص منها والتغلّب عليها، لذا حُدِدَت أوقات خمس للصلاة لا يحل للمصلّي فيها أن يقرب الصلاة وهو سكران، وذلك في قوله تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الّذينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكارى حَتَّى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ وَلا جُنُباً إِلاَّ عابِري سَبيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضى أَوْ عَلى سَفَرٍ أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ فَلَمْ تَجِدُوا ماءً فَتَيَمَّمُوا صَعيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْديكُمْ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَفُوًّا غَفُوراً ﴾[٢].

وبعد ما أتمّ هاتين الخطوتين جاء النهي الحازم والأخير بتحريم الخمر في قوله تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الّذينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّما يُريدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَداوَةَ وَالْبَغْضاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾[٣]، فامتثل المسلمون لأمر الله تعالى على لسان رسوله الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم[٤].

(١) سورة البقرة: ٢١٩.

(٢) سورة النساء: ٤٣.

(٣) سورة المائدة: ٩٠-٩١.

(٤) راجع: الواحدي، علي بن أحمد، أسباب نزول القرآن، ص: ٧٣، تحقيق: كمال بسيوني زغلول.

٣- الجمع الاستنباطي

ونعني به: الجمع بين آيتين من القرآن الكريم، أو أكثر لاستنباط حكم تشريعي معيّن، أو فكرة معيّنة ومثاله:

ما استنبطه الإمام محمّد بن علي الجواد عليه السلام من حُكمٍ في الموضع الّذي تقطع منه يد السارق، إذ يَنقل لنا التاريخ ما نصه:

إنّ سارقاً اعترف على نفسه بالسرقة، فأحضروه إلى مجلس المعتصم العبّاسي، كي يُجرى عليه الحد، ولكن المعتصم لم يعرف حدّه، فأحضر فقهاء بغداد وفيهم أحمد بن أبي داود بن جرير الأيادي والإمام محمّد بن علي الجواد عليه السلام فسألهم:

- من أين تُقطع يد السارق؟

- فقال ابن أبي داود: من مفصل الكفّ، واستدلّ بآية التيمّم: ﴿...فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ...﴾(١)، ولكن العلماء الآخرون أطبقوا على قطع اليد من المرفق مستدلّين بآية الوضوء: ﴿... فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ...﴾(٢)، ولم يتكلَّم الإمام محمّد بن علي الجواد عليه السلام بشيء، حتى التفت إليه المعتصم قائلاً: ماتقول في ذلك؟

- فقال عليه السلام: قالوا وسمعت.

- فألَحَّ المعتصم العبّاسي قائلاً: لا رأي لي عند هؤلاء، بالله عليك إلّا ما حكمت.

---

(١) سورة المائدة: ٦.

(٢) سورة المائدة: ٦.

- فقال الإمام عليه السلام: إنّ النَّبيّ أمر أن توضع المواضع السبعة- التي منها الكفّان - في السجود على الأرض، ويقول الله الحكيم: ﴿وَأَنَّ الْمَساجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾ [1] فلا تُقطع الكفّ التي هي من المساجد، بل تُقطع الأصابع الأربع فحسب[2].

وهكذا استنبط الإمام محمّد بن علي الجواد عليه السلام حُدود قطع يد السارق بالجمع بين آيتين كريمتين هما: (قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما...﴾ [3] وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَساجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾.

كذلك عمل الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام في استنباط حرمة الخمر من القرآن الكريم، إذ رُوي عن علي بن يقطين قال: سَأَلَ المهدي العبّاسي أبا الحسن عليه السلام عن الخمر قال: هل هي محرمة في كتاب الله؟ فإنّ النّاس يعرفون النهي ولا يعرفون التحريم.

- فقال له أبو الحسن عليه السلام: بل هي محرّمة.

- فقال: في أيّ موضع هي محرّمة- بكتاب الله- يا أبا الحسن؟

- قال عليه السلام: قوله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ...﴾ [4].

---

(١) سورة الجن: ١٨.

(٢) انظر: البحراني، سيّد هاشم، البرهان في تفسير القرآن، المقدمة، ص: ٣٢-٣٣، تحقيق: مؤسسة البعثة- قسم الدراسات الإسلاميّة- قم.

(٣) سورة المائدة: ٣٨.

(٤) سورة الأعراف: ٣٣.

فأمّا قوله: ﴿... ما ظَهَرَ مِنْها...﴾ فيعني الزنا المُعلن، ونصب الرايات التي- كانت- ترفعها الفواجر في الجاهليّة.

وأمّا قوله: ﴿... وَما بَطَنَ...﴾ فيعني: ما نكح من الآباء، فإنّ النّاس كانوا قبل أن يُبعث النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إذا كان للرجل زوجة ومات عنها، تزوّجها ابنه من بعده إذا لم تكن أُمّه، فحرّم الله ذلك.

وأمّا ﴿... الإِثْمَ...﴾ فإنّها الخمر بعينها.

وقد قال الله في موضع آخر: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فيهِما إِثْمٌ كَبيرٌ وَمَنافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا...﴾[1]. فأمّا الإثم في كتاب الله فهي الخمر، والميسر فهي النرد، وإثمهما كبير.

- فقال المهدي: هذه والله فتوى هاشميّة[2].

٤- الجمع الموضوعي

وهو جمع الآيات القرآنيّة من عموم القرآن الكريم تمهيداً لاستخراج النظريّة القرآنيّة أو الحكم النهائي في موضوع ما، وتُجمع الآيات القرآنيّة في هذا النوع من عموم القرآن الكريم، بناءاً على وجود الارتباط فيما بينها؛ لأنّها مُتعلِّقة بموضوع واحد.

لقد تبيّن فيما مضى من أنواع الجمع، أنّ لكُل منها هدفاً خاصاً به ميّزه عن غيره، فأحدها يهدف إلى تحديد المصاديق وكشف معانيها، وهو الجمع التفسيري، والآخر يهدف إلى بيان التدرّج في إنزال الأحكام الشرعيّة ومراحل

---

(١) سورة البقرة: ٢١٩.

(٢) انظر: البحراني، سيّد هاشم، البرهان في تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٤.

تطبيقها، وهو الجمع الترتيبي، أمّا الثالث منها فيهدف إلى استنباط حكم شرعي معيّن، وهو الجمع الاستنباطي، وأمّا الرابع منها فيهدف إلى استخراج نظريّة قرآنيّة أو حكم نهائي في موضوع معيّن.

ومنه يتبيّن أنّ الجمع التفسيري والترتيبي يتميّزان عن بعضهما تميّزاً تاماً، وكذا يتميّزان عن غيرهما بنفس النسبة، ولكن الأمر يختلف في الجمع الاستنباطي والجمع الموضوعي، فهما يتباينان مع غيرهما ويتّحدان فيما بينهما، إلّا أنّ اتحادهما ليس مطلقاً، بل هو (بنسبة العموم والخصوص من وجه).

لذا فقد ذكر بعض الباحثين[1] أنّ هناك فوارق كثيرة بينهما، منها:

أوّلاً: إنّ الجمع الاستنباطي يتمّ عادة ضمن آيتين أو ثلاث، بمعنى أنّه جمع محدود، بينما الجمع الموضوعي يتمّ عادة ضمن مجموعة كبيرة من الآيات.

ثانياً: في الجمع الإستنباطي غالباً ما تكون النتيجة حكماً شرعياً جزئياً، بينما في الجمع الموضوعي تتبع طبيعة الموضوع، وهي لا تكون فيه إلاّ كُلِّية.

ثالثاً: إنّ الغاية من الجمع الاستنباطي معرفة حكم القرآن الكريم في الواقعة الجزئيّة، بينما الغاية من الجمع الموضوعي النظريّة القرآنيّة.

رابعاً: إنّ الجمع الاستنباطي لا يستطيع إجراءه إلاّ من له الخبرة كالفقيه، وأمّا الجمع الموضوعي فيجرى من الفقيه وغيره.

وبالتدقيق بالفوارق أعلاه يظهر أنّ: (الجمع الموضوعي) أفضل أنواع (الجمع القرآني) لفهم القرآن الكريم، ويمكن إجمال سبب ذلك في نقطتين رئيسيتين:

---

(١) انظر: الحسيني الشيرازي، محمّد رضا، التدبّر في القرآن، ج١، ص: ١٣٠-١٣١.

الأُولى: الميزات التي يتمتّع بها هذا النوع من الجمع القرآني.

الثانية: المعطيات والنتائج التي يفرزها هذا النوع من الجمع القرآني، والتي من أهمّها: الخروج بنظريّة قرآنيّة.

مثال الجمع الموضوعي: (الشفاعة في القرآن الكريم)

إنّ المثال الّذي نسوقه كنموذج للجمع الموضوعي هو: «الشفاعة في القرآن الكريم»، وبالنظر في القرآن الكريم موضوعياً، نجمع الآيات التي تتحدّث عن الشفاعة فيه، وبتدقيق النظر فيها نجد أنّها تنقسم إلى أربعة مجموعات:

المجموعة الأُولى: لا للشفاعة

ويندرج تحتها كُل الآيات التي تنفي الشفاعة، والتي تنقسم بدورها إلى أربعة أقسام:

القسم الأوّل: الآيات التي تنفي الشفاعة بشكل مطلق، وينحصر هذا القسم في الآية الكريمة التالية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[1].

القسم الثاني: الآيات التي تنفي الشفاعة التي كان تصورها اليهود، والتي سوف نتحدّث عنها فيما بعد، يقول القرآن الكريم: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾[2].

ويقول: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٤.

(٢) سورة البقرة: ٤٧-٤٨.

فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ ﴾(١).

القسم الثالث: الآيات التي تؤكّد أن لا شفاعة للكفّار في يوم القيامة مثل:

قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾(٢).

وقوله: ﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ * وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴾(٣).

وقوله: ﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ * وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ * قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَمَا أَضَلَّنَا إِلاَّ الْمُجْرِمُونَ * فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ * وَلاَ صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾(٤).

وقوله: ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ * فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾(٥).

القسم الرابع: الآيات التي تنفي أن تملك الأصنام المعبودة الشفاعة مثل:

---

(١) سورة البقرة: ١٢٢-١٢٣.

(٢) سورة الأعراف: ٥٣.

(٣) سورة الشعراء: ٩١-٩٣.

(٤) سورة الشعراء: ٩٤-١٠١.

(٥) سورة المدّثر: ٤٦-٤٨.

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[(١)].

وقوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[(٢)].

وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاء وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾[(٣)].

وقوله: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاء قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾[(٤)].

وقوله: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَن بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلاَ يُنقِذُونِ﴾[(٥)].

المجموعة الثانية: الشفيع هو الله تبارك وتعالى

وهي مجموعة الآيات التي تصرّح بأنّ «الشفاعة مختصّة بالله تعالى»، وليس هناك شفيع غيره، وفي هذا المجال يقول القرآن: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[(٦)].

---

(١) سورة الأنعام: ٩٤.

(٢) سورة يونس: ١٨.

(٣) سورة الروم: ١٣.

(٤) سورة الزمر: ٤٣.

(٥) سورة يس: ٢٣.

(٦) سورة الأنعام: ٥١.

ويقول: ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللّهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ ﴾[(١)].

ويقول: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ ﴾[(٢)].

ويقول: ﴿ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[(٣)]

المجموعة الثالثة: هنالك شفعاء، ولكن بعد إذن الله عزّ وجلّ

ونقرأ في هذه المجموعة قوله تعالى: ﴿ ... مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ... ﴾[(٤)].

وقوله: ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾[(٥)].

المجموعة الرابعة: شروط خاصة:

ونقرأ في هذه المجموعة قوله تعالى: ﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا * لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾[(٦)].

وقوله: ﴿ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى ﴾[(٧)].

---

(١) سورة الأنعام: ٧٠.

(٢) سورة السجدة: ٤.

(٣) سورة الزمر: ٤٤.

(٤) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٥) سورة يونس: ٣.

(٦) سورة مريم: ٨٦-٨٧.

(٧) سورة الأنبياء: ٢٨.

وقوله: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاء وَيَرْضَى ﴾(١).

وقوله: ﴿ يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾(٢).

وقوله: ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾(٣).

وبالتدقيق فيما تقدّم، نجد أنّ المجموعة الأُولى تنفي أقساماً معيّنة من الشفاعة، بينما تُثبت سائر المجموعات أقساماً أُخرى من الشفاعة هي:

أوّلاً: الشفاعة الاستقلاليّة، وهي ثابتة فقط لله تعالى، وقد أُشير إليها في آيات المجموعة الثانية.

ثانياً: الشفاعة غير الإستقلاليّة، وهي شفاعة الشفعاء المأذون لهم من الله تبارك وتعالى بالشفاعة، وقد أشير إليها في آيات المجموعة الثالثة.

ثالثاً: أمّا المجموعة الرابعة من الآيات فقد أشارت إلى تحديد الشروط الخاصة في المشفوع له، والتي من دون توفّرها لا يأذن الله تبارك وتعالى بالشفاعة.

حيّز الموضوع في التفسير الموضوعي

لا شك أصبح واضحاً ممّا تقدّم أنّ الركيزة الأساسيّة في التفسير الموضوعي، هي اختيار الموضوع، وهنا بحث لابُدّ من التطرّق إليه، فنسأل عن

(١) سورة النجم: ٢٦.

(٢) سورة طه: ١٠٩.

(٣) سورة غافر: ١٨.

حيّز الموضوع في التفسير الموضوعي، هل هو القرآن الكريم فقط أم غير ذلك؟

وقد تتبّعنا أقوال المختصّين في ذلك فوجدناها تصبّ في اتجاهين:

الاتجاه الأوّل: تحديد حيّز الموضوع بالقرآن الكريم فقط، وهو ما عليه أغلب المختصين منذ ظهور التفسير الموضوعي كمصطلح حديث وحتى نهاية السبعينات من القرن العشرين، وذلك لاعتبار أنّ البحث في التفسير الموضوعي بحث تفسير محضٌ، وهو مختص بالقرآن الكريم، وهذا أمر جلي لا غُبار عليه.

وقد واجه الملتزمون بهذا الرأي سؤالاً جوهرياً مفاده: هل يحتوي القرآن الكريم على جميع موضوعات الحياة من أوّلها وحتى نهايتها؟ وأجابوا عليه بالإيجاب، مستدلّين بمجموعة من الآيات القرآنيّة الصريحة في موضوع السؤال منها:

قوله تعالى: ﴿... ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ...﴾[1]، ووجه الاستدلال بها:

«إنّ معنى: (ما فَرَّطْنا) هو عدم الترك لكُل ما يصدق عليه شيء، يقول السمرقندي: ما فَرّطنا: ما تركنا في الكتاب من شيءٍ، يعني: في اللوح المحفوظ ممَّا يحتاج إليه الخلق إلّا قد بيّناه. ويقال: في القرآن قد بيّن كُل شيء يحتاج إليه...»[2].

ويقول الطوسي: «وقوله: ﴿... ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ...﴾

---

(١) سورة الأنعام: ٣٨.

(٢) السمرقندي، نصر بن محمّد بن أحمد، بحر العلوم، ج١، ص: ٤٤٥-٤٤٦.

قيل: ﴿... ما فَرَّطْنا...﴾ معناه: ما تركنا. وقيل: ما قصرنا. وفي الكتاب قولان: أحدهما: إنّه أراد الكتاب المحفوظ عنده من آجال الحيوان وأرزاقه وآثاره، ليعلم ابن آدم أنّ عمله أولى بالإحصاء والاستقصاء، ذكره الحسن. والثاني: ما فرطنا في القرآن من شيء يحتاج إليه في أُمور الدين والدنيا إلّا وقد بيّناه إمّا مجملاً أو مفصلاً...»[١].

ونقل العروسي الحويزي: «عن عيون الأخبار، بإسناده إلى عبد العزيز بن مسلم، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: يا عبد العزيز، جهل القوم وخدعوا عن أديانهم، إنّ الله تعالى لم يقبض نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم حتى أكمل له الدين، وأنزل عليه القرآن وفيه تفصيل كُل شيء، بيّن فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام وجميع ما يحتاج إليه كملا. فقال عزّ وجلّ: ﴿... ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ...﴾»[٢].

وقال مغنية: «... وماذا تقول بهذه الآية: ﴿... ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ...﴾، حيث دلّت بظاهرها على أن في القرآن جميع العلوم؟»[٣]، وقال أيضاً: «إنّ المعنى: أبان جميع ما يحتاجون اليه في أمر دينهم ودنياهم: ﴿... ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ...﴾»[٤].

والخلاصة: إنّ نفي التفريط في القرآن فيما يحتاج إليه البشر من أمر

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج٤، ص: ١٢٩.

(٢) العروسي الحويزي، عبد علي بن جمعة، تفسير نور الثقلين، ج١، ص: ٧١٤-٧١٥، ح٦٧.

(٣) مُغنية، محمّد جواد، تفسير الكاشف، ج١، ص: ٤٠.

(٤) المصدر نفسه، ج٣، ص: ١٣.

الدنيا والآخرة يُثبت أنّ كُل موضوعات الحياة موجودة في القرآن الكريم.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنا بِكَ شَهِيداً عَلى هؤُلاءِ وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ...﴾[1]، ووجه الاستدلال في الآية قوله: ﴿... تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ...﴾، إذ قال المفسِّرون فيها ومنهم الطبري: «﴿... وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ...﴾ يقول: نزّل عليك يا محمّد هذا القرآن بياناً لكُل ما بالنَّاس إليه الحاجة من معرفة الحلال والحرام والثواب والعقاب.

ثم قال: حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا محمّد بن فُضيل، عن أشعث، عن رجل، قال: قال ابن مسعود: أنزل في هذا القرآن كُل علم وكُل شيء قد بين لنا في القرآن ثمّ تلا هذه الآية»[2].

والطوسي: «﴿... وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ...﴾: يعني القرآن، ﴿...تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ...﴾، أي: بياناً لكُل أمر مشكل، والتبيان والبيان واحد. ومعنى العموم في (لكُل شيء): المراد به من أُمور الدين، إمّا بالنص عليه أو الإحالة على ما يوجب العلم من بيان النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والحُجج القائمين مقامه، أو إجماع الأمّة أو الاستدلال؛ لأنّ هذه الوجوه أُصول الدين وطريق موصلة إلى معرفته»[3].

والطبرسي: «﴿... وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ...﴾: يعني القرآن،

---

(١) سورة النحل: ٨٩.

(٢) الطبري، محمّد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، ج١٤، ص: ١٠٨.

(٣) الطوسي محمّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج٦، ص: ٤١٨.

﴿...تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ...﴾، أي: بياناً لكُل أمر مشكل، ومعناه: ليبيِّن كُل شيء يحتاج إليه من أُمور الشرع، فإنّه ما من شيء يحتاج الخلق إليه في أمر من أُمور دينهم إلّا وهو مبين في الكتاب، إمّا بالتنصيص عليه، أو بالإحالة على ما يوجب العلم من بيان النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والحجج القائمين مقامه، أو إجماع الأمّة، فيكون حكم الجميع في الحاصل مستفاداً من القرآن»[1].

والمُحصل من الأقوال تصريحاً وتلويحاً: إنّ القرآن يحتوي على جميع موضوعات الحياة.

وعلى الرغم من أنّ الاستدلال قام على إثبات جامعيّة القرآن الكريم للموضوعات، إلّا أنّه لا يشمل الموضوعات بتفاصيلها الجزئيّة، بل بكُلِّياتها فقط، وذلك لأنّ القرآن موطن الكُلِّيات لا الجزئيات.

الاتجاه الثاني: وهو الاتجاه الّذي أسسه محمّد باقر الصدر في نهاية سبعينات القرن العشرين الميلادي، إذ قال: إنّ للموضوع حيّزاً يشمل القرآن الكريم وخارجه، وقد تسبب هذا الاتجاه في حصول تطور ملموس في التفسير الموضوعي بسبب توسعته لدائرة الموضوع وحيّزه، وقد أُطلق على هذا الاتجاه في التفسير الموضوعي بالتفسير التوحيدي، لأنّه يوحد بين الموضوعات الخارجة عن نطاق القرآن الكريم، والقرآن الكريم نفسه.

وإذا ما أردنا المقايسة بين الاتجاهين، فإنّ الاتجاه الثاني يرجح على الأوَّل، لاحتوائه على الأوَّل وزيادة.

---

(١) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٦، ص: ٥٨٦.

المبحث الرابع: مشكلات الأُسلوب الموضوعي في التفسير

إنّ إجراء عمليّة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم عمليّة غير معصومة، بمعنى أنّها عمليّة ترافقها بعض الأخطاء سواء كانت كثيرة أو قليلة، لذا فمن الطبيعي أن نجد فيها بعض المشاكل التطبيقيّة، والتي يجب التنبيه عليها ليتلافاها المفسِّر في عمله، وقد شخّص العلماء نزراً يسيراً من المشكلات، ولم يتجازوا إلى غيرها، حيث لا يوجد الكثير منها كما هو الظاهر من قِلّة من ذَكرها منهم؛ فذكر مكارم الشيرازي أنّ في طريق المفسِّر الموضوعي ثلاث مشكلات هي:

أوّلاً: إنّ جمع الآيات في التفسير الموضوعي لا يتم على أساس استخراج الآيات من المعجم المفهرس بتتبّع مفردات البحث في الآيات عن طريقه، وذلك لأنّ الجمع في التفسير الموضوعي يتمّ على أساس جمع الآيات ذات العلاقة بالموضوع، والتي قد تكون بألفاظ أُخرى، والمشكلة التي تحدث حال استخدام المعجم المفهرس هي الغفلة عن الآيات التي لها علاقة بالموضوع ولا تحمل نفس الألفاظ.

ثانياً: إنّ أخذ النتيجة من الآيات المجموعة في موضوع البحث، يحتاج

إلى الوعي الكامل والذوق والإحاطة التامّة بالآيات القرآنيّة وبالتفاسير، وعندما تكون الآيات المرتبطة بموضوع ما كثيرة، ويكون لكُل منها بُعد خاص بها، فإنّ الجمع سيكون أكثر تعقيداً خصوصاً بالنسبة للمبتدئين بهذا العمل.

ثالثاً: إنّ موضوعات القرآن الكريم لا حدّ لها ولا حصر، والموضوع الواحد منها فيه مسائل كثيرة كالعقائد والأخلاق والسياسة والاقتصاد و...، ولكُل واحد من هذه المسائل فروع كثيرة، ومناقشة كُل هذه الموضوعات بفروعها يحتاج إلى وقت طويل وصدر رحب(١).

أمّا رضائي الأصفهاني فذكر أنّ المشاكل هي: تقطيع الآيات وفصلها عن القرآئن الموجودة ضمن سياق الآيات القرآنيّة وإغفالها، وخطأ المفسِّر في اعتقاده بإمكانيّة القيام بعمليّة التفسير الموضوعي بمجرد ضم الآيات القرآنيّة المتشابهة بعضها مع البعض الآخر والخروج بنتيجة من دون وجود أي سابقة تفسيريّة، وفرض رأي المفسِّر المسبق على القرآن الكريم، وهو ما يقود إلى التفسير بالرأي(٢).

وقد أضاف محمود رجبي مبيّناً وجهة نظر محمّد تقي مصباح اليزدي في مشكلات التفسير الموضوعي نقاطاً ثلاث هي:

١ ـ الغفلة عن سياق الآيات القرآنيّة.

٢ ـ النظرة الأُحاديّة الجانب، وذلك لتحديد البحث في جهة معيّنة.

---

(١) انظر: مكارم الشيرازي، ناصر، نفحات القرآن، ج١، ص: ٢٠ـ٢١.

(٢) انظر: رضائي الأصفهاني، محمّد علي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيريّة للقرآن: ص: ٣١٦.

٣- فرض الرأي المسبق على القرآن الكريم، وإجراء المقارنة غير الضروريّة بين رأي المفسِّر والقرآن[١].

وبالنظر لما تقدم أعلاه يتبيّن أنّ كُل مفسِّر أو متخصص قد حدّد نقاطاً معيّنة اعتبرها مشكلة في عمليّة التفسير الموضوعي، ويبدو أنّ الاختلاف بين المفسِّرين قد حدث لكونها جهات لحاظيّة تختلف من واحد لآخر، فمكارم الشيرازي ذكر نقاطاً لم يلحظها رضائي ومصباح اليزدي كما أبان محمود رجبي، كما أن الأخيرين اتفّقا في نقطتين واختلفا في واحدة.

وبالتأمّل فيما ذُكر نسجّل الملاحظات التالية:

الملاحظة الأُولى: إنّ النقاط أعلاه مجرد احتمالات غير مطردة، يمكن تلافيها قبل الوقوع بالالتفات إليها، وبعد الوقوع بإيجاد طرق الحلّ لها، كما ذكر رضائي الأصفهاني في حلّ مشكلة الغفلة عن السياق بقوله: «... لابُدّ أن يتقارن التفسير الموضوعي مع الترتيبي حتى يمكن تجاوز هذا الخلل في التفسير...»[٢]، كذلك في حل المشكلة التي ذكرها في النقطة الثانية، حيث قال: «... لابُدّ للمفسِّر أن تتوفر فيه جملة من الشرائط منها مُمارسة التفسير، أي: يجب عليه أن يكون مطّلعاً على التفسير الترتيبي في الخطوة الأُولى،...»[٣].

---

(١) انظر: مقالة: رجبي، محمود، «تفسير موضوعي قرآن از ديگاه اُستاد محمد تقي مصباح يزدي»: (فارسي)، وترجمته: (التفسير الموضوعي من وجهة نظر الأُستاذ محمّد تقي مصباح اليزدي)، مجلة: قرآن شناخت(وترجمتها: المعارف القرآنيّة)، ع٤، ص: ١٤١.

(٢) رضائي الأصفهاني، محمّد علي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيريّة للقرآن، ص: ٣١٦.

(٣) المصدر نفسه.

الملاحظة الثانية: إنّ من الأفضل إطلاق لفظ التنبيهات على ما ذكره المختصّون أعلاه؛ لأنّ المشكلة معلولة لعلة هي: عمليّة التفسير الموضوعي، بمعنى أنّها متحقّقة بمجرد إجراء عمليّة التفسير الموضوعي، وبأخذ ما ذُكر في أوَّلاً بنظر الاعتبار، تخرج النقاط أعلاه تخصيصاً عن الموضوع.

الملاحظة الثالثة: إنّ ما ذُكر من نقاط أعلاه على أنّها مشكلات في التفسير الموضوعي، هي في واقعها نتيجة عدم مراعاة الأُصول والقواعد والشرائط للتفسير الموضوعي والتدقيق فيها.

الفَصْلُ الثَالِث

أُصُولُ التَفْسِيرِ المَوْضُوعي

مدخل الفصل

سبق القول في الفصل الأوَّل من هذه الكتاب، أنّ التفسير يعني: كشف وإظهار معاني الكلمات وتوضيح مرادها وأهدافها ومقاصدها، والمفهوم منه أنّ البحث فيه مُنصب على فهم مدلول الكلام الّذي يُتوصل إليه من اللفظ، وقد بحث العلماء وخاصة في علمي الفقه والأصول، عن الأَساليب والقواعد والقرائن الدالّة على الإرادة الجديّة للمعنى الظاهر أو عدم إرادتها في الكلام، إذ قسّموا ظهورات ودلالات الكلام إلى:

أوّلاً: الدلالة التصوريّة: وهي الصورة التي تنتقش من سماع اللفظ في الذهن على أساس من الوضع والمحفوظ للفظ من لافظ غير ذي شعور.

ثانياً: الدلالة التصديقيّة الاستعماليّة: وهي الدلالة على إرادة المتكلِّم وقصده لإخطار المعنى والمدلول التصوري إلى ذهن السامع، وهذا لا يكون إلّا حيث يكون هناك متكلِّم وعاقل ذو قصد وشعور وهي أخص من الدلالة التصوريّة.

ثالثاً: الدلالة التصديقيّة الجديّة: وهي الدلالة على أنّ المتكلِّم ليس

هازلاً، بل ومريداً جداً للمعنى حكايةً أو إنشاءً، وهي أخص من الدلالة التصديقيّة الاستعمالية، إذ أنّ الدلالة التصديقيّة الأُولى تكون محفوظة في موارد الهزل أيضاً(١).

ومرحلة الإرادة الجديّة هي محور الأحكام الشرعيّة، والمراد غالباً من النصوص الشرعيّة، وربما كان المراد الجدّي هو المعنى الحقيقي للفظ، وربما كان مجازياً أو كنائياً، وغيرها من الأَساليب البلاغيّة والعُرفيّة.

وفهم الكلام في مرحلة الدلالة التصوريّة ومرحلة الدلالة التصديقية الاستعمالية لا يحتاج إلّا لمعرفة اللُغة وقواعدها، بل يشترط تجريد الذهن من القبليات العقائديّة أو القرائن العقليّة، ليفهم المعنى الظاهر من الكلام من دون تأثير خارجي، حسب التعهدات العقلائيّة، وأيضاً أنّ كُل متكلِّم متعهد بأنّه يريد المعنى الظاهر من اللفظ.

وأما مرحلة الدلالة التصديقية الجدّية، فهي مرحلة تشخيص الدلالة التصديقيّة الثانية في كلام المتكلِّم وتحتاج إلى دراسة القرآئن المُتعلِّقة بالكلام، إذ أنّ تشخيصها تابع للقرينة المنصوبة على المُراد.

وقد تميّز علماء الإسلام في فهمهم للنص بناءاً على ذلك، ورأيهم قائم على أنّ كلام الله تعالى هو المحور في عملية فهم النص، وأكدوا على دور الدلالة اللفظية في فهم النص، وهو ما تهمله الهرمونيطيقيا الفلسفيّة(*).

---

(١) انظر: الهاشمي، سيّد محمود، بحوث في علم الأُصول، (تقريرات بحث السيّد محمد باقر الصدر)، ج ٤، ص: ٢٦٦.

(*) وهي: الهرمونيطيقيا المؤكدة على البحث الفلسفي في عملية الفهم، وتُقلل من دور نية المؤلِّف في فهم النصوص، ومن رواد هذا الاتجاه: هيدغر (١٨٨٩-١٩٧٦م)، وغادمر (١٩٠٠م).

لذلك ومنذ القِدم دار البحث في التفسير حول محورين رئيسيين هما:

المحور الأوَّل: كيف فُهم النص القرآني.

المحور الثاني: كيف نفهم النص القرآني.

وقد رُجع في الأوَّل إلى رسول الإسلام المصطفى محمّد صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة المعصومين عليهم السلام، والصحابة الّذين يوافق تفسيرهم تفسير النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة المعصومين عليهم السلام وأقوال العلماء المختصين في التفسير من مفسِّرين وغيرهم.

وأمّا الثاني فُرجع فيه إلى ما أُصِّل من أُصول وقُعِّد من قواعد في هذا العلم؛ كي يعتمد الصحيح منه ويُجتب الخطأ والمشتبه والمحرّم(١).

وجه الحاجة لبحث أُصول التفسير الموضوعي

لقد سبق القول في تعريف التفسير الموضوعي في الفصل الأوّل من هذا البحث: إنّ التفسير الموضوعي تفسير يبحث عن مراد الله من مجموع الآيات القرآنية ذات العلاقة بالموضوع المُعيَّن الواحد كما عرّفناه سلفاً(٢)، وهو بهذا يقع ضمن حدود المحور الثاني: (كيف نفهم النص القرآني)، وكيفية فهم النص القرآني عملية محفوفة بالمحاذير إذا لم تسر وفق أُصول تحفظها من الانحراف، حيث يمكن لها بغياب هذه الأُصول أن تكون من قبيل التفسير المُحرم أو الاستنباط التفسيري أو الهرمونيطيقيا المُحرمة، لذا وجب البحث في أُصول التفسير الموضوعي التي ترشد إلى الطريقة الصحيحة لتفهُّم كتاب الله

(١) انظر: الطيّار، مساعد بن سليمان، فصول في أُصول التفسير، ص: ٧-١١.

(٢) انظر: تعريف جعفر السبحاني ورضائي الأصفهاني للتفسير الموضوعي في الفصل الأوّل.

تعالى وبيان معانيه، وكشف دلالاته ومقاصده الإلهيّة[١].

وقد قُسّم البحث في هذا الفصل إلى أربعة مباحث يتقدمها تمهيد اقتضت الضرورة في منهجية البحث إلى عقده.

وأمّا المباحث فهي:

المبحث الأوّل: مفهوم أُصول التفسير الموضوعي.

المبحث الثاني: أقسام أُصول التفسير الموضوعي.

المبحث الثالث: أُصول التفسير الموضوعي العامّة.

المبحث الرابع: أُصول التفسير الموضوعي المختصّة.

(١) انظر: يونس، محمّد كبير، دراسات في أُصول التفسير، ص: ١٦.

تمهيد

تكمن أهمية عقد هذا التمهيد في الحاجة إلى معرفة جوهر التفسير الموضوعي وآلية العمل فيه، ليتسنى للباحث تحديد مصاديق أُصوله دون غيرها، ويتم ذلك من خلال معرفة الآتي:

أوّلاً: ماهية العمل في التفسير الموضوعي

إنّ ماهية العمل في التفسير الموضوعيّ أمر مركب من جزئين حيويين هما قوامه، ويتوقف أحدهما على فهم الآخر، والجزءان هما: ماهية عمل التفسير، وماهية عمل التفسير الموضوعيّ، وقبل التحدث عن الجزئين ومعرفتهما، لابُدّ من معرفة المراد بالماهية في العمل التفسيري أوّلاً:

إنّ المراد بالماهية هو: «ما يُقال في جواب ما هو، لّما كانت من حيث هي وبالنظر إلى ذاتها في حدّ ذاتها، ولا تأبى أن تتصف بأنّها موجودة أو معدومة، كانت في حدّ ذاتها لا موجودة ولا لا موجودة، بمعنى: أنّ الموجود واللاموجود ليس شيء منها مأخوذاً في حد ذاتها بأن يكون عينها أو جزءها، وإن كانت لا تخلو عن الاتصاف بأحدهما في نفس الأمر بنحو الاتصاف بصفة خارجيّة عن الذات»[1]، والماهية على هذا يتطلّب إدراكها إلى تجريد وتقشير

(١) الطباطبائي، محمّد حسين، نهاية الحكمة، ص: ٧٢.

العوارض عنها[1]، وهي على هذا في محل بحثنا: طبيعي العمل التفسيري المجرد من كُل خصوصية تذكر.

أمّا ماهية عمل التفسير الموضوعي فهي من نوع الماهيات التي تلحظ بخصوصياتها الخارجيّة، أي: ماهية مركبة من الذات والصفات، أو بشرط شيء، أي: «تؤخذ الماهية بما هي مقارنة لما يُلحق بها من الخصوصيات فتصدق على المجموع، كأخذ ماهية الإنسان بشرط كونها مع خصوصيّات زيد فتصدق عليه»[2].

ماهية العمل في التفسير

ذكر محسن العراقي أنّ هناك فروضاً واحتمالات عديدة في تحديد العمل التفسيري[3]، وهي:

أوَّلاً: إنّ القرآن الكريم كلام ملغّزٌ رمزيٌ، أو ما يُعبَّر عنه في لُغة الأُصوليين بالُمجمل، والتفسير عبارة عن محاولة كشف هذه الرموز وفتح مغاليقها وبيان الأسرار الكامنة فيها، وهذا يعني أن اللّه سبحانه وتعالى لم يتّبع في كلامه القرآني الأَساليب المتّبعة بين النَّاس في التفهيم والتفاهم، بل اتّبع طريقة خاصة لا يعرفها إلّا النَّبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم والمخصوصون من أوليائه وأهل بيته الّذين وقفوا على مفتاح هذا الرمز

(١) انظر: مصباح اليزدي، محمّد تقي، المنهج الجديد في تعليم الفلسفة، ج١، ص: ٣٢٤، ترجمة: محمّد عبد المنعم الخاقاني.

(٢) الطباطبائي، محمّد حسين، نهاية الحكمة، ص: ٧٣.

(٣) انظر: مقالة: العراقي، محسن، «ماهية العمل التفسيري»، (ق١: تحديد العمل التفسيري)، مجلّة: التقريب نت، ع٣، ص: ١٠.

واطّلعوا على خفايا هذا السرِّ، إذ يقول تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾[١]، وهذا يعني بعبارة أُخرى: خروج القرآن عن طور الكلام، ودخوله في مقولة الإشارات والرموز غير الموضوعة لمعان أُخرى غير المعاني المتعارفة في اللُغة.

وقد دلّت الأدلّة على أنّ هذا الفرض مُسلَّم البطلان، وذلك لعدم صدوره من النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم نفسه، ولا من الأئمّة عليهم السلام، فضلاً عن مخالفته بصريح القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٢]، وأمثالها من الآيات القرآنيّة، ممَّا يدل على أنّه كلامٌ عربي مبين اتّبع نفس الطريقة المألوفة في التفهيم والتفاهم عند النَّاس، وجرى بنفس الأُسلوب المتّبع في الكلام لدى العرب وهم الّذين نزل القرآن فيهم، وبُعث به الرسول الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم بينهم.

ثانياً: أن يكون العمل التفسيري عبارة عن تحديد ظواهر الألفاظ وتعيين حدود معانيها وفق الأَساليب المتعارفة والمتداولة لاقتناص المعاني من قوالبها اللفظيّة.

وأساس هذا الفرض أنّ القرآن نزل بلغة النَّاس، وقُصد به إلقاء معانيه من خلال ألفاظه وفق الأُسلوب السائد في التفهيم والتفاهم بين عامّة النَّاس.

ويتلخص تحديد العمل التفسيري على ضوء هذا الفرض، بتحديد المعاني التي تسعها القوالب اللفظيّة، وفقاً للأَساليب والقواعد الموضوعة

(١) سورة الواقعة: ٧٧ـ٧٩.

(٢) سورة يوسف: ٢.

والمتعارفة لدى أهل اللُغة.

ولعل الطريقة التي اقترحها المفسِّر محمّد حسين الطباطبائي للعمل التفسيري، القائمة على أساس تفسير القرآن بالقرآن وفهم النص القرآني على ضوء المعنى الّذي يشع منه عند عرضه على سائر النصوص القرآنيّة، تنسجم مع هذا اللون من تحديد العمل التفسيري.

ثالثاً: أن يكون العمل التفسيري عبارة عن محاولة استكشاف المضمون الباطني للقرآن الكامن وراء مضمونه الظاهري، والمراد بالمضمون الباطني ليس أمراً ذهنياً منفصلاً عن الواقع اللفظي للقرآن، ولا منعزلاً عن عالم البيان والتفاهم ولا منفصلاً عن حياة النَّاس ومُمارساتهم المألوفة في الحياة، بل المراد بالمضمون الباطني أن لكُل كلام يصدر عن أي متكلِّم بُعداً ظاهرياً وهو البعد الّذي يتجلّى من خلال الألفاظ والدلالات العُرفيّة المستعملة أثناء الكلام، وبُعداً آخراً يقف وراء هذا المضمون الظاهر وهو ما يمكن تصنيفه إلى أمور هي:

١ـ الدواعي والبواعث والأغراض الأُولى التي دعت المتكلِّم إلى أن يُنشيء هذا الكلام المتضمّن لهذا المعنى الظاهر، فإنّ الكلام يحمل في طيّاته أغراض المتكلِّم عادة، غير أنّ الأغراض القُصوى ليست ممَّا يظهر على السطح أثناء التفاهم الكلامي، وليست ممَّا يتجلّى من خلال القوالب اللفظيّة والدلالات المتعارفة التي يتمّ من خلالها التفاهم والتفهيم، بل يمكن معرفتها من خلال القرائن المحيطة بالكلام.

٢ـ النتائج والعواقب التي تترتب على معنى معيّن يحمله اللفظ، إذ أنّ

اللفظ لا يؤدي أكثر من معناه المتعارف، ولا يفهم النَّاس من هـذا اللفـظ ـ في العادة ـ غير ما يشتمل عليه من المعاني المتعارفة، ولكـن هنـاك القليـل ممـن لـه المعرفة الكاملة بظروف المعنى، وملابساته، يستطيع أن يتفهّم من خـلال المعنـى الظاهري الّذي تدل عليه الألفاظ، النتائج والآثار التي سوف تلحق هذا المعنى وتترتب عليه.

٣ـ تفاصيل المعنى وجزئيّاته، فاللفظ الّذي يدل على معنى، ليس دائمـاً يـدل علـى كُـل تفاصـيل المعـنى وجزئيّاتـه، فالمعـاني لكثرتهـا وعـدم تناهيهـا، والألفـاظ لتناهيهـا وقلتـها، أضـف إلى ذلـك ظـروف التفـاهم والـتفهّم ومـا يُلابسها من القيود والحدود الزمانيّة والمكانيّة، كُـل ذلـك يحـول دون أن تظهـر المعـاني بكُـل تفاصـيلها وجزئيّاتهـا علـى منـصة الألفـاظ والكلمـات، إذ لابُـدّ للألفاظ والكلمات أن تُعبِّر عـن معانيهـا علـى نحـو العمـوم والكُلِّيـة، وتبقـى التفاصيل والجزئيّات لتتمّ الدلالة عليها بدوال أُخرى.

٤ـ إنّ وضوح المعنى أمر مرحلي تشكيكي له مراتب ودرجـات تختلـف باختلاف ظروف السامع النفـسيّة والعقليّـة، فـإنّ المعـنى الواحـد الّـذي يحملـه الكلام الواحد قد يختلف في وضوحه وجلائه بـاختلاف أفـراد النَّـاس حـسب ظروفهم النفسيّة والعقليّة، فمثلاً عندما يكون هنالك شخصان أحدهما يعرف عن مدينة ما شيئاً كثيراً؛ لأنّـه سافر إليها وشاهدها وعاش بين أهلها، والآخر لم يعرف منها إلاّ الشيء اليسير، لم يعرف منها إلّا مـا علمـه مـن خـلال إخبـار المخبر، فلا شك أن المعاني التي يتصورها الشخص الأوَّل أشدّ وضوحاً وجلاءً من المعاني التي يتـصورها الآخـر، وهـذا التفـاوت في الوضـوح يـسبب سـرعة الفهم وجودته وسرعه اليقين ورسوخه بالنسبة إلى هذه الأخبار عند الشخص

الأوَّل، بخلاف الثاني.. وهذا يؤدي إلى أنّ الأوَّل يكون أقدر على ضبط تفاصيل الخبر ونقله إلى الآخرين بخلاف الثاني.

فالمعنى هنا معنى واحد، ولكنّه على درجات في الوضوح والخفاء، وليس المراد بالوضوح والخفاء، هنا، وضوح اللفظ في أدائه للمعنى أو خفائه، بل نعني وضوح المعنى ذاته وخفاءه، فهناك درجة من وضوح المعنى يصل إليها كُل من يطرق سمعه الكلام الّذي يؤدي ذلك المعنى.

وهناك درجات من الوضوح والصراحة لا يبلغها إلّا القليلون ممن شاهد المعنى وعاشه ومارسه مُمارسة ميدانيّة فاعلة، وهذه الدرجات العُليا من وضوح المعنى وصراحته تعتبر أيضاً نوعاً من المضمون الورائي للألفاظ.

والقرآن العظيم كلام اللّه تبارك وتعالى، وفيه تبيان كُل شيء، ولكن لهذا الكلام العظيم - كما لسائر الكلام - مضموناً ورائياً باطناً يقف وراء مضمونه الظاهري، ويعتبر امتداداً له وتفسيراً وتأويلاً له.. لأنّه نفوذ إلى باطن المعنى وغوره، ونفوذ إلى مباديه وخواتمه، وإحاطة بمراحله ودرجاته، ومعرفة بتفاصيله وجزئيّاته.. وهذا النفوذ إلى عمق المعنى ليس من شأن كُل أحد، بل هو من مختصات صاحب الكلام نفسه، أو من هو خبير بأغراض صاحب الكلام وشؤونه بالتفصيل، ومن هو خبير بمضامين المعاني خبرة ميدانيّة فاعلة.. تجعله خبرته محيطاً بالمعنى ظهره وبطنه، تنزيله وتأويله، وتفصيله وتطبيقه، وجزئياته وخصوصياته، وهذا من مختصات الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأئمة المعصومين الّذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

فكُل ما ورد بشأن اختصاص التأويل والتفسير بالمعصومين عليهم السلام، وأنّهم يعلمون جميع حقائق القرآن وعلومه وظاهره وباطنه إنَّما يعني ما ذكرناه.

وملخّص ما ذُكر في هذا الافتراض أن العمل التفسيري هو: الكشف عما وراء الظاهر من المعاني والأغراض، وهذا من مختصات الأئمة المعصومين عليهم السلام وَجَدَهُم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من قبل، إذ يتيسَّر لنا أن نتعرَّف على هذا التفسير من خلال النصوص الواردة عنهم عليهم السلام بهذا الشأن.

وقد خلص ممَّا تقدم أنّ العمل التفسيري يمكن أن يتمّ على مستويين:

١- مستوى تحديد المضمون الأوَّلي للنص، ومصدر هذا النوع من العمل التفسيري مجموعة النُصوص القرآنيّة ونصوص السُنّة الشريفة الواردة بصدد بيان المضمون الأوَّلي للنص القرآني وما ورد في تحديد ظروف النص وملابساته في المصادر التاريخيّة وغيرها.

٢- مستوى تحديد المضمون الثانوي للنص، ومصدر هذا النوع من العمل التفسيري هو السُنّة الشريفة من الروايات والفعل والتقرير المرويّة عن المعصومين عليهم السلام(١).

واستناداً لما تقدّم من القول في ماهية العمل التفسيري، نستطيع القول: إنّ العمل التفسيري هو صرف الكشف عن مداليل الكلام، سواء كان

---

(١) انظر: مقالة: العراقي، محسن، «ماهية العمل التفسيري»، (ق١: تحديد العمل التفسيري)، مجلّة: التقريب نت(مجلّة ألكترونيّة)، ع٣، ص: ١٠.

من الألفاظ الظاهرة أو المستقاة من بطونها على ضوء النصوص القطعيّة الدلالة والصدور عن النَّبيّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، والأئمة المعصومين عليهم السلام، وما يُتحصَّل من نتائج بناءاً على ذلك ما هو إلّا مراد صاحب النص وهو الله تبارك وتعالى، وليس للمفسِّر أي دور في تكوّنه ونشأته، بل إنّ دور المفسِّر دور ميكانيكي فقط.

ماهية العمل في التفسير الموضوعي

من خلال ما تقدم يتبيّن أنّ ماهية العمل التفسيري هي الكشف عن مراد الله تعالى من نصوص القرآن الكريم، والتفسير الموضوعي باعتباره نوع من أنواع التفسير يبحث «وراء الحصول على نظريات قرآنيّة ذات محوريّة خاصة»[1]، وقد مرَّ في الفصل الأوَّل من متن هذا الكتاب أنّه: «تفسير القرآن بحسب الموضوعات الواردة فيه، بمعنى جمع الآيات الواردة في سور مختلفة حول موضوع واحد ثم تفسيرها جميعاً والخروج بنتيجة»[2]، أو هو: التفسير الّذي يقوم المفسِّر فيه «بجمع كُل ما يتعلَّق بالموضوع من آيات ثم يستفيد من طريقة تفسير القرآن بالقرآن، بأن يجعل كُل آية قرينة على فهم الآية الأُخرى ثم الخروج برأي نهائي حول هذا الموضوع القرآني،...»[3]، ممَّا يدل على أنّه نوع تفسير يبحث عن تفسير الآيات القرآنيّة بطريقة تفسير القرآن بالقرآن ونتائجه مداليل الآيات القرآنيّة قد كُشف عنها من القرآن الكريم، وهي كُلِّيّة لا جزئيّة كما هو الحال في التفسير التجزيئي أو الاستنباطي.

(١) معرفة، محمّد هادي، التفسير والمفسِّرون في ثوبه القشيب، ج٢، ص: ١٠٣٧.

(٢) السبحاني، جعفر، مفاهيم القرآن، ج١، ص: ٨.

(٣) رضائي الأصفهاني، محمّد علي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيريّة للقرآن، ص٣١١.

وعليه يظهر أنّ العمل في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم هـو الكـشف عن المداليل أيضاً، وإنَّما يدل هذا على أنّ العمل في التفسير الموضوعي عمـل تفسيري بحت وليس مجرد استنباطات، وحيث يختص البحث فيه في آيات الكتاب المجيد، فهو تفسير قرآني محض.

ومن هنا فإنّ القول في ماهية العمل في التفسير الموضوعي هو ذات القول في ماهية العمل التفسيري العام، باستثناء أنّ العمل فيه ينصب على استكشاف المداليل الكُلِّية لا الجزئيّة.

ثانياً: ارتباط التفسير الموضوعي بالهرمونيطيقيا

إنّ معرفة ارتباط التفسير الموضوعي بالهرمونيطيقيا بعد أن عرفنا ماهيته، يمكن تحديدها بعد معرفة المُراد بالهرمونيطيقيا، وهي:

لفظ أُخذ من الكلمة اليونانيّة «HERMENEUIN»، بمعنى: (التفسير)، وقد استخدمت هذه الكلمة في زمن إفلاطون بمعنى التوضيح وإزالة الغموض عن الموضوع، كما أطلقها على قسم من أقسام كتاب أرغنون (حول منطق القضايا)، وقد يُقال[1] أنّ هناك علاقة بين الاشتقاق اللُغوي لهذا الاصطلاح (الهرمونيطيقيا) وكلمة «هرمس»، وهو الملاك الّذي ينقل رسائل الآلهة وقوانينها إلى الأرض.

وقد اختلفت الآراء في الهرمونيطيقيا وطُرحت لها مفاهيم عديدة منها:

أوَّلاً: المفهوم الّذي طرحه شلير ماخر(Friedrich Schlier Macher) والّذي نظر فيه إلى الهرمونيطيقيا على أنّها بمثابة (فن الفهم)، والتفت إلى سوء

---

(١) انظر: السيفي المازندراني، علي أكبر، دروس تمهيديّة في القواعد التفسيريّة، ج١، ص٩٤.

الفهم: بأنّ تفسير المتن معرّض دائماً إلى خطر سوء الفهم[١]، ولهذا فهو يرى أنّ الهرمونيطيقيا هي: مجموعة القواعد المنهجيّة المستخدمة لرفع هذا الخطر، وقد اعتبر «إنّ هدف التفسير هو الكشف عن نيّة المؤلِّف»[٢]، وذلك بالتأكيد على محورين:

الأوّل: الهرمونيطيقيا اللُغوية: وهي فهم القواعد والقوانين لأنواع العبارات والصور اللُغوية والوسط الثقافي الّذي يعيش فيه المؤلِّف، والّذي يُعيِّن ويُحدِّد تفكيره.

والثاني: الهرمونيطيقيا النفسيّة: وهي الفهم الفني والنفسي للذهنيّة الخاصة للمؤلِّف ونبوغة الخلَّاق.

ثانياً: المفهوم الّذي عرضه ويلهلم ديلثي (WilhelmDilthey)، والّذي اعتبر فيه الهرمونيطيقيا علماً يتكفّل بعرض مناهج العلوم الإنسانيّة وأنّ الهدف الأساسي منها هو الارتقاء برتبة وقيمة العلوم الإنسانيّة والارتفاع بها إلى رتبة العلوم التجريبيّة، فهو يعتمد على التفريق بين الفهم والتبيين[٣].

ثالثاً: المفهوم الّذي عرضه بابنر(Babnar)، وهو من الكُتّاب الألمان المعاصرين، الّذي عرَّف فيه الهرمونيطيقيا بأنّها: (علم الفهم)، وهذا التعريف يتناسب مع الهرمونيطيقيا الفلسفيّة لكُل من هيدغر وهانس جادامر، حيث

(١) انظر: رضائي الأصفهاني، محمّد علي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيريّة للقرآن، ص٣٠٠.

(٢) مقالة: بهشتي، أحمد، «هرمونيوتيك لوازم وآثار»: (فارسي)، وترجمته: (الهرمونيطيقيا لوازم وآثار)، مجلّة: كتاب نقد(وترجمتها: كتاب النقد)، ع٦، ص: ٥٩ فما بعد.

(٣) راجع: أبو زيد، نصر حامد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ص: ٢٠.

ينظرون إلى مطلق الفهم وتحليل طبيعته وتبيين شرائط حصوله، ولا يحصرونه في حدود فهم العلوم الإنسانيّة[١].

وبالتأمّل فيما عُرض أعلاه، يتبيّن أنّ تعدد المفاهيم يشير إلى اتساع هذا البحث واختلاف وجهات النظر فيه، وقد حصلت تطورات كثيرة في المفهوم الاصطلاحي للهرمونيطيقيا بمرور الزمن انتقلت بسببها من مجرد أداة لفهم وتفسير المتون الدينيّة والحقوقيّة، إلى التأمّل الفلسفي في باب ماهية الفهم وشرائط حصوله[٢].

وعليه: فإنّ المفاهيم الاصطلاحية للهرمونيطيقيا لم تتفق على معنى بعينه، فبعضها قال أنّها فهم للنصوص والمُتون بنحو منهجي خاص: وهو قول شلير ماخر، وآخر لم يلحظ وجود نص مفسَّر بل ذكر الهرمونيطيقيا بما هي هي لا بما هي أداة ووسيلة للفهم: وهو قول بابنر، والأخير عدّها من أدوات التبيين لا الفهم وهو خارج عن محل الكلام.

والمحصل: إنّ المفهوم الّذي طرحه شلير ماخر هو المفهوم الّذي يعنينا في هذا البحث(إنّ مفهوم الهرمونيطيقيا هو تفسير النص وهدفه الكشف عن نية المؤلِّف)، وأمّا الآخران فلكل منهما وجهته الخاصة البعيدة عن محل الكلام.

علاقة الهرمونيطيقيا بتفسير القرآن الكريم

إنّ المطلب الأساسي الّذي تدور حوله الهرمونيطيقيا هو: أُسلوب تفسير

---

(١) راجع مقالة: بهشتي، أحمد، «هرمونيوتيك لوازم وآثار»: (فارسي)، وترجمته: (الهرمونيطيقيا لوازم وآثار)، مجلّة: نامه فرهنگ (وترجمتها: رسالة الثقافة)، ع١٤، ص: ١٢٨.

(٢) انظر: واعظي، أحمد، درآمدي بر هرمونتيك: (فارسي)، وترجمته: (مقدمة في الهرمونيطيقيا)، ص: ٢٧ – ٣٠.

المتن، وهو أمر مشترك في كُل العلوم الإنسانيّة ومنها علم التفسير، ولكنّها تختلف في عدم اعتبار كُل أُسلوب لتفسير المتن، لذا تمايزت فيما بينها من هذه الجهة، كما هو الحال في تفسير القرآن الكريم؛ ولأجل إيضاح ذلك لابُدّ من الإطلاع على أهم خصائص التفسير المعتبر ليتبيّن الفرق بينه وبين غيره من أنواع التفسير الأُخرى.

خصائص التفسير المعتبر

إنّ إجمال ما ذكره المختصون في خصائص التفسير المعتبر هو:

أوّلاً: يسعى المفسِّر فيه للحصول على معنى المتن وهو المراد الجدي للمتكلِّم والمؤلِّف، والنصوص المقدّسة هي رسائل وتعاليم إلهيّة للبشر، وهدف المفسِّر هو إدراك المعاني والتعاليم التي يتضمنها المتن.

ثانياً: إنّ الوصول إلى ذلك يكمن في سلوك المنهج المتعارف والعقلائي في فهم النصوص، وذلك على أساس حُجيّة ظواهر الألفاظ، وإنّ دلالة الألفاظ تتبع الوضع اللُغوي والأُصول والقواعد العقلائيّة للمحاورة والتي يستخدمها كُل متكلِّم ومخاطب في جميع اللُغات وعلى أساسها يتكلَّمون ويتفاهمون.

ثالثاً: وقد يصل المفسِّر إلى الفهم التعييني للمتن بصورة ظنّية (فهم الظواهر).

رابعاً: هناك معايير في التفسير المُعتبر لتشخيص أخطاء المفسِّرين منها: قوانين المنطق؛ القواعد العقلائيّة للمحاورة (أُصول الفقه)؛ قواعد التفسير التي جاء بيان بعضها من قبل القدماء مثل: (قاعدة التفسير بالرأي)، وبعضها الآخر دُوّن من قبل بعض العلماء، وأنّ حُجيّة واعتبار التفسير وفهم المتن

يكمن في استخدام هذه القواعد، وعلى هذا الأساس لا يوجد معنى للنسبيّة في فهم المتن؛ لأنّه يمكن تشخّص الفهم الصحيح من غير الصحيح بواسطة هذه القواعد.

خامساً: لا تعتبر الفاصلة الزمانية بين عصر المفسِّر وزمن ظهور المتن مانعاً جدياً دون الحصول على المقصود والمراد الجدي لمتن القرآن.

سادساً: لا يحق للمفسِّر أنْ يُحمِّل النص آراءهُ وأفكاره المسبقة وإلّا فسوف ينتهي به الأمر إلى الوقوع بالتفسير بالرأي المحرّم وغير المعتبر، ولابُدّ أن يكون ذهنه خالياً من أي رأي مسبق (وإن كان هذا غير ممكن بصورة كاملة).

سابعاً: إنّ مصدر القرآن هو الله سبحانه وتعالى وليس للنَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أي دور في تعيين أو تغيير ألفاظ ومحتوى الوحي، وهذا ما أشارت إليه بعض الآيات القرآنيّة ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾[1].

وعليه: فإنّ التفسير المُعتبر هو التفسير المُلتزم بعدم التغيير والتحريف بالقرآن.

وخلاصة القول:

إنّ تفسير القرآن الكريم: هو التفسير الّذي يُبحث فيه عن كشف مراد الله تعالى في آياته الشريفة، وذلك من دون تأثير مسبقات المفسِّر في تغيير المُكتَشف، ويجري ذلك وفق أُصول وقواعد شرعيّة وعقلائيّة ومنطقيّة، لذا فهو فهم للمتن منضبط بأُصول وقواعد.

(١) سورة الحاقة: ٤٤-٤٥.

خصائص التفسير الهرمونيطيقي

يتميّز التفسير الهرمونيطيقي بخصائص عديدة:

أوّلاً: إنّ فهم المتن فيه هو: حاصل تركيب وامتزاج اُفق المعنى للمفسِّر مع افق المعنى للمتن، ولهذا فإنّ دخول ذهن المفسِّر وقبلياته في التفسير ليس أمراً مذموماً فيه، بل هو شرط في حصول الفهم ولا يمكن اجتنابه.

ثانياً: إنّ الإدراك العيني للمتن، لا يعني إمكان الحصول على الفهم المطابق للواقع؛ وذلك لأنّ ذهنية المفسِّر وأفكاره المسبقة شرط في حصول الفهم، ولا يمكن الاستغناء عنه في كُل فهم.

ثالثاً: إنّ فهم المتن هو عمل لا نهاية له، وعلى هذا فإنّ هناك قراءات متعددة للنص؛ لأنّ فهم المتن هو امتزاج أُفق المعنى للمفسِّر مع المتن، وعن طريق تغيير أُفق المعنى للمفسِّر يمكن الحصول على تراكيب غير محدودة وبالتالي تتعدد القراءات للنص.

رابعاً: لا يوجد فهم ثابت ونهائي وغير قابل للتغيير للمتن.

خامساً: إنّ الهدف من تفسير المتن ليس فهم وإدراك مُراد المؤلِّف، فنحن نواجه المتن وليس المؤلِّف، والكاتب هو أحد قرّاء المتن ولا مرجّح له على غيره؛ فالمتن موجود مستقل، والمفسِّر يحاول أن يحصل على فهم النص من خلال الحوار والجدل بينه وبين النص، فليس مهماً عندنا ماذا يقصد المؤلِّف، وأي معنى يحاول إلقاءه[1].

سادساً: القرآن نص لُغوي ومحصول ثقافي، ولسانه مختص بالمخاطبين

(١) أنظر: واعظي، أحمد، درآمدي بر هرمنوتيك، ص: ٥٩.

ولا يمكن فصله عن بيئته وثقافته التي نزل فيها[١]. وأنّ نص القرآن تكوّن عن طريق الواقع التاريخي وثقافة عصره[٢].

سابعاً: إنّ بعض نصوص القرآن تُعتبر شواهد تاريخيّة صدرت تحت شرائط خاصة أمثال: الجن، الشيطان[*]، الحسد، الربا، التعويذ، ولا يمكن سرايتها إلى أزمنة أُخرى[٣].

مناقشة نتائج التفسير الهرمونيطيقي

بعد التدقيق والفحص والملاحظة في الخصائص أعلاه نسجّل الملاحظات التالّية:

الملاحظة الأُولى: إنّ من المسائل الّتي غفل عنها أصحاب الرؤيّة الهرمونيطيقيّة ولها دور مهم في تعيين الموضوع، هو اختلاف القرآن الكريم عن المتون التاريخيّة الأُخرى كالتوراة والإنجيل وملحقاتها؛ فالقرآن نص مقدس من عند الله سبحانه في جميع كلماته وحروفه، ومؤلِّفه ليس انساناً، وهو كلام نقله النَّبيّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم للبشريّة بعد ما نزل إليه وحياً، وليس له الحق في تغيير الوحي بالزيادة أو النقصان أو أي شكل آخر،

---

(١) أنظر: أبو زيد، نصر حامد، مفهوم النص، (دراسة في علوم القرآن)، ص: ٢٤.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٠١.

(*) يعتقد أبو زيد: (إنّ ذكر القرآن لبعض الموجودات مثل: الجن والشيطان ليس بسبب الاعتقاد بوجودها الخارجي، بل إنّ القرآن استعار هذه التعابير من البيئة الجاهلية مجاراةً لهم، وإن الإيمان بالوحي مديون لهذا الاعتقاد الخرافي عند العرب)، انظر: أبو زيد، نصر حامد، نقد الخطاب الديني، ص: ١١٤-١١٨.

(٣) أبو زيد، نصر حامد، مفهوم النص، (دراسة في علوم القرآن)، ص: ٢١٥ – ٢٢٠.

وهذا ما أشارت بعض الآيات القرآنيّة كما مرَّ ذكره، وهو ليس كالإنجيل مثلاً، حيث دُوّن بعد وفاة النَّبيّ عيسى عليه السلام [1]، لذا يمكن أن نجد فيها أثر البيئة الثقافيّة وحتى بعض المسائل الخرافيّة.

الملاحظة الثانية: إنّ من الأُمور المسلَّمة: تأثير القبليات والأفكار المسبقة للمفسِّر، ولا يمكن التغاضي عنها، ولكن يلزم أن يكون ذلك بالمقدار الطبيعي، أمّا إذا ازداد هذا التأثير فسوف ينتهي بالمفسِّر إلى التفسير بالرأي الممنوع.

الملاحظة الثالثة: إنّ القراءات المتعددة وغير المحدودة للنص لها عدة معاني هي:

أوّلاً: إنّ القرآن يشتمل على بطون وسطوح مختلفة للفهم، فإن كان المقصود من تعدد القراءات هذا المعنى فهو يتفق مع طبيعة القرآن، ولا يوجد مانع من تعدد القراءات بهذا المعنى.

ثانياً: إنّ وجود التفاسير المتنوعة للقرآن يعتبر أمراً جيداً ومباركاً؛ لأنّه يؤدي إلى نضج فهم القرآن، أي: أنّه في كُل يوم يزداد الفهم عمقاً ودقة، وتتضح له بطون جديدة.

ثالثاً: إنّ تعدد الفهم في التفاسير لا يعنى عدم وجود معيار لقياس المعاني، بل هناك قواعد وملاكات لتشخيص التفاسير الصحيحة من الباطلة.

الملاحظة الرابعة: إنّ الفهم المتغيّر يعني: نضج وتطور الفهم البشري

---

(١) آيان، باربور، علم ودين: (فارسي)، وترجمته: (العلم والدين)، ص: ١٣٠، ترجمة: بهاء الدين خرّم شاهي.

نتيجة لتطور العلوم البشريّة، وهو صحيح بصورة الموجبة الجزئيّة؛ وإنّ الفهم المتغيّر يدلل على وجود فهم متحوِّل للنصوص، ممَّا يعني وجود أكثر من تفسير للنص، حيث لا ينفي وجود واحد منها الآخر، كما لا يعني أنّه نهائي وغير قابل للخطأ؛ لأنّ العلوم البشريّة وفهم القرآن في حالة تطور وتكامل، وقد شُرط في صحتها واعتبارها القيام على الأُسس والمعايير الصحيحة؛ وإنّ جميع التفاسير وتعدد الفهم البشري في حال تغيّر وتحوُّل، ونفس هذه القضيّة الهرمونيطيقيّة متغيّرة أيضاً، وحينئذ سوف لا يكون الفهم الّذي قبلنا به أيضاً فهماً ثابتاً.

الملاحظة الخامسة: إنّ الفهم الهرمونيطيقي على نحوين:

الأوَّل: فهمٌ يركّز على نيّة المؤلِّف ويحاول فهم المراد الجدي في كلامه، فباعتبار أنّ القرآن الكريم ليس تأليفاً بشرياً، يكون المقصود من التركيز على نيّة المؤلِّف وهو المراد من الكشف عن مراد الله تعالى في الآيات القرآنيّة.

والثاني: فهمٌ لا يركّز على نيّة المؤلِّف، بل يركّز على ما يفهم القاريء من النص، وهذا يمكن إجراؤه في بعض المتون التاريخيّة والأدبيّة بخلاف النصوص المقدسة الإلهيّة، خصوصاً القرآن الكريم؛ لأنّه كتاب جاء لهداية البشريّة، والتلاعُب بمقاصده وتجاهلها يوجب الإضلال.

والاستنتاج:

تبيّن ممَّا تقدّم أنّ التفسير الهرمونيطيقي كتفسير القرآن الكريم نوعان:

الأوّل: ما كان يُبحث فيه عن نية المؤلِّف، الأمر الّذي يعني التفسير والكشف بحسب رأي المفسِّر وهو مُحرّم؛ لأنّه من التفسير بالرأي.

والثاني: يُبحث فيه عن نية المؤلِّف، وهو بهذا المقدار يشترك مع التفسير عُموماً والتفسير الموضوعي خصوصاً، ولكنّ مجال عملهما مختلف، فالتفسير الهرمونيطيقي يناول النصوص بوجه عام سواء كانت مقدسة أو غيرها، بخلاف التفسير أو التفسير الموضوعي يتناول النص القرآني المقدّس، وهذا التفاوت يقتضي أن يكون لكل واحد منهما منهجيته وقواعده المختلفة في الكشف.

ومن هنا يتبيّن أنّ العلاقة بين تفسير القرآن الكريم عُموماً والتفسير الموضوعي خصوصاً والهرمونيطيقيا هي: علاقة العُموم والخصوص المُطلق.

والمُحصل من هذا التمهيد: إنّ التفسير الموضوعي من نوع التفسير القرآني الّذي يسعى لاكتشاف مراد الله تعالى في آياته، وهو على هذا تفسير مشروع وليس من نوع التفسير الّذي يبحث عن مراد نفس المفسِّر في الموضوع (الهرمونيطيقيا)، أي: المحرّم، وحُجيّته قائمة على تحقق استناده للأُصول والقواعد المعتبرة في التفسير المعتبر المشروع.

المبحث الأوَّل: مفهوم أُصول التفسير الموضوعي

إنّ أُصول التفسير الموضوعي عبارة عن مركب لفظي مؤلَّف من جزئين أساسيين هما: الأُصول جمع أصل: وقد مرَّ تعريفه في الفصل الأوّل من هذا المؤلّف بأنّه: الأساس الّذي تُبنى عليه المسائل، والتفسير الموضوعي الّذي عرِّف في الفصل الأوّل من هذا الكتاب أيضاً بأنّه: التفسير الّذي يقوم المفسِّر فيه بجمع الآيات القرآنية المتعلّقة بالموضوع الواحد من عموم القرآن ووضعها إلى جنب بعض، ثمّ يستفيد من منهج تفسير القرآن بالقرآن وطريقته بأن يجعل كل آية قرينة على فهم الأُخرى ثمّ الخروج برأي نهائي حول هذا الموضوع، وقد ذكرت كتب الاختصاص أن أُصول التفسير مركب لا يتسنى معرفته إلّا بمعرفة جزئيه[1].

وأمّا المُركب ففيه أقوال كثيرة منها:

إنّ الأُصول التفسيريّة هي: «المناهج التي تَحُدُ وتبيّن الطريق الّذي يلتزمه المفسِّر في تفسير الآيات الكريمة...»[2].

---

(١) انظر: العبيد، علي بن مساعد بن سليمان، تفسير القرآن الكريم أُصوله وضوابطه، ص: ٢٦.

(٢) العك، خالد عبد الرحمن، أُصول التفسير وقواعده، ص: ٣٠.

وإنّها: «العلم الّذي يبحث عن الأُسس والقواعد العامّة التي تُعِين على فهم القرآن الكريم ومعرفة تفسيره، والتمييز بين الصحيح والباطل منه»(١).

وهي: «الأُصول المسلَّمة التي يعتقد بها المفسِّر للقرآن الكريم»(٢).

وإنّ: «المبادئ التصوريّة والتصديقيّة للتفسير، والتي لابُدّ للمفسِّر من أن يطّلع عليها، ويختار المبنى الموافق لرأيه قبل الشروع بعمليّة التفسير»(٣).

وإنّ أُصول التفسير هي: «الأُسس والمقدّمات العلميّة التي تُعين على فهم التفسير، وما يقع فيه من الاختلاف وكيّفيّة التعامل معه»(٤).

وهي: «القواعد والأُسس التي يقوم عليها علم التفسير، فيُبيّن الطريقة المُثلى في شرح كلام الله تعالى وتفسيره،...»(٥).

كما إنّها: «العلم بالقواعد التي يُتوصّل بها إلى معرفة معاني كتاب الله تعالى واستنباط دقائقه وأحكامه»(٦).

التحقيق في الأقوال:

بعد التأمّل في الأقوال التي ساقها العلماء المختصين في التفسير وعلوم القرآن يتبيّن:

---

(١) يونس، محمّد كبير، دراسات في أُصول التفسير، ص: ١٦.

(٢) مؤدب، سيّد رضا، مباني تفسير قرآن: (فارسي)، وترجمته: (مباني تفسير القرآن)، ص٢٤.

(٣) راجع: رضائي أصفهاني، محمّد علي، منطق تفسير قرآن، ج١، ص: ١٢٥.

(٤) الطيّار، مساعد بن سليمان، فصول في أُصول التفسير، ص: ١١.

(٥) العبيد، علي بن مساعد بن سليمان، تفسير القرآن الكريم أُصوله وضوابطه، ص: ٢٧.

(٦) السمعاني، أبو مظفر، قواطع الأدلّة في الأُصول، ص: ٢٢١.

أوَّلاً: إنّ التعريف الأوَّل أقرب إلى التعريف اللُغوي للمنهج، إذ انّ تعريف المنهج الّذي ذُكر في الفصل الأوَّل من هذا الكتاب، هو: الطريق الواضح للوصول إلى الغايات، وفيه معنى التحديد والتبيين للطريق الّذي يجب أن يلتزمه المفسِّر في عمليّة التفسير، وهو بعيد كُل البُعد عن ما نحن فيه.

ثانياً: إنّ التعريف القائل بأنّ أُصول التفسير هي: العلم بالقواعد التي يُتوصل بها إلى معرفة معاني كتاب الله واستنباط أحكامه، قد خلط بين ما هو أصل وما هو قاعدة، ومن قوله: القواعد التي يُتوصل بها... إلخ، يُفهم أن المُراد بها القواعد دون الأُصول؛ لأنّ العلم بها بمنزلة التكليف الواجب تحصيله على المفسِّر، والّذي تُبنى عليه النتائج التفسيريّة لا قُوام البحث التفسيري.

ثالثاً: إنّ التعريف القائل بأنّ أُصول التفسير علم يُبحث فيه عن الأُسس والقواعد العامة... إلخ، تعريف بالحد الناقص، ولكنّه غير مطابق للواقع، حيث جَعل الأُصول «عِلْمٌ» برأسها في مقابل عِلْمِ التفسير، والحال أنّها جزء منه لا شيء متقابل معه، لذا فإنَّ هذا التعريف خارج عن محل البحث.

رابعاً: الظاهر أن المراد بالمقدّمات العلميّة هو: كُل ما كان له مدخليّة في استقامة التفسير وصحته، ومنها أُصول التفسير، لذا فهو عنوان عام تدخل تحته مصاديق كثيرة، مثل: شروط المفسِّر ومباحث علوم القرآن وقواعد التفسير وغير ذلك، وعليه فالتعريف القائل بذلك تعريف غير مانع من دخول الأغيار.

خامساً: إنّ القول بأن أُصول التفسير هي الأُسس التي يقوم عليها علم

التفسير، خارج عن محل الكلام في هذا البحث؛ لأنّ علم التفسير واسع ويشمل كُل ماله مدخليّة في تفسير آيات كتاب الله المجيد، كالأُصول والقواعد وشروط المفسِّر ومصادر التفسير ومناهجه وأَساليبه واتجاهاته و....

سادساً: إنّ التعريف القائل بأنّ أصول التفسير هي المُسلَّمات التي يعتقد بها المفسِّر للقرآن الكريم، تعريف أشار إلى أُصول التفسير، وهو تعريف بالخاصة، أو بعبارة أُخرى تعريف باللازم، لذا فهو لم يُفصِّل القول، بل أجمله، والتعريف على هذا غير وافي في المقام، والحال أنّ المقام يتطلّب التفصيل بما هو لازم لتحديد المفهوم ومعرفة مصاديقه وتشخيصها.

سابعاً: إنّ المراد بالمبادئ التصوريّة والتصديقيّة هو ما اشتمل على الأُصول والقواعد وشرائط المفسِّر ومصادر التفسير[1]، إلّا أنّ قائله قد فصَّل القول فيها وميّز بينها، وأيضاً بيّن: إنّ فهم القرآن الكريم قائم على مباديء أساسيّة تُطرح في التفسير بعنوان أُصول موضوعة بديهيّة ومسلّمة، لا تُطرح فيه للاستدلال عليها والتسليم بها، بل قد أُثبت ذلك في محلّه، كما أنّه يلزم معرفتها من قبل المفسِّر واختيارها قبل البدء بعمليّة التفسير[2]، ومنه يتبيّن إن الأُصول التي هي المبادئ، ما هي إلّا التصوريّة منها؛ لأنّها الفرضيات التي يجب أن يؤمن بها المفسِّر ويُسلِّم بها، وهذا القول أكثر مناسبة لمعنى الأصل التفسيري من سابقه.

والمحصل:

(١) راجع: رضائي أصفهاني، محمّد علي، منطق تفسير قرآن، ج ١، ص: ١٧.

(٢) راجع: المصدر نفسه، ص: ١٢٥.

إنّ تعريف أُصول التفسير يمكن تحصيله من تعريف: رضا المؤدب، ومحمّد علي رضائي الأصفهاني، وذلك بضمّ أحدهما للآخر؛ ليكمّل أحدهما الآخر، ومنه أمكن القول: بأنّ أُصول التفسير الموضوعي هي نفس أُصول التفسير العام؛ لأنّه ثبت في محله سلفاً، عدم وجود الاختلاف بينه وبين التفسير إلّا في بعض كيفيّاته العمليّة وخصوصياته النظريّة، وأنّ العمل فيه هو نفس العمل في التفسير العام للقرآن الكريم، مع بعض الاختلاف في آليات الاستكشاف والوسائل بالتبع، ومنه أمكن القول: إنّ أُصول التفسير الموضوعي: هي المبادئ التصوريّة المسلَّمة التي يعتقد بها المفسِّر قبل البدء بعمليّة التفسير ويُستند إليها في أصل عملية التفسير؛ وبهذا تميّزت عن القواعد والمصادر التفسيريّة وشروط المفسِّر وغير ذلك ممّا له مدخلية في صحة واعتبار التفسير.

مكانة المفهوم في عملية التفسير

لاشك أنّ علم تفسير القرآن من العلوم المهمّة لفهم كتاب الله العزيز وتدبّر معانيه، وقد حثت الآيات المباركة على تدبّر القرآن الكريم، إذ قال الله تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القرءان أَمْ عَلَى قُلُوب أَقْفَالُهاَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُواْ ءاياتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ الألباب﴾[2]، والتدبّر هو: التأمّل في الألفاظ للوصول إلى معانيها، وهذا إنّما يكون بمعرفة تفسيره، وقد وبّخ الله سبحانه وتعالى أولئك الّذين لا يتدبّرون القرآن وأشار

(١) سورة محمّد: ٢٤.

(٢) سورة ص: ٢٩.

إلى أنّ ذلك من الإقفال على القلوب وعدم وصول الخير إليها؛ لذا عُقدت همة المسلمين على تدبّر آياته وفهم وبيان معانيها، خصوصاً بعد رحلة النَّبيّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن المشكلة التي حدثت بعد ذلك هي:

إنّ التفسير لم يكن على وتيرة واحدة عند المفسِّرين، بل تغايرت كلماتهم، واختلفت وجهات نظرهم في الآيات، وتفاوتت استنباطاتهم على الرغم من امتلاكهم في أغلب الأحيان نفس الأدلّة ووسائل الكشف والاستنباط، وقد سبب هذا الأمر فوضى في فهم كتاب الله لن تُحمد عُقباها مع استمرار وجودها[1].

إنّ استمرار الفوضى المذكورة في علم التفسير، تُودي بثمار علم التفسير وتحوِّله من علم نافع إلى علم مُضر، والعودة به إلى حالته الصحيّة يتطلّب انتظام العمل فيه على أُسس وقواعد سمّاها البعض بأُصول التفسير، وسمّاها البعض الآخر بمباني التفسير، وسمّاها غيرهم بمنطق التفسير، إلّا أنّ التسمية بالمباني أكثر اختصاصاً وأدق ممَّا سبقها ولحقها من التسميات المذكورة؛ لأنّها اختصت بأُصول التفسير فقط، ولم تُدخل معه غيره، حيث اعتبرت الأُولى أنّ الأُصول هي القواعد وعلوم القرآن وشروط المفسِّر ومصادر التفسير على تفصيل ثبت في محلّه، وأمّا الثانية فقد أفرزت ذلك وشخصته وميزته، إلّا أنّها شملتها جميعاً ما خلا علوم القرآن.

واستناداً إلى ما تقدم: ذكر بعض الباحثين أنّ وظيفة أُصول التفسير هي

---

(١) مركز الثقافة والمعارف القرآنيّة، علوم القرآن عند المفسِّرين، ج٣، ص: ٣٥٩-٣٦٧.

وظيفة تنظيميّة لعمليّة التفسير تحفظه من الانحراف وتمنحه الصحة والاعتبار[١]، وقد قال بعضهم: إنّ الأُصول بالنسبة إلى التفسير كعلم أُصول الفقه بالنسبة إلى الفقه، وعلم مصطلح الحديث بالنسبة للحديث[٢]، إلاّ أنّ الفارق بينهما الاختصاص.

ومن خلال ما تقدم أعلاه يتبيّن أنّ أُصول التفسير ممّا تتوقف عليها صحة واعتبار أصل عمليّة التفسير، وأنّ الإقدام عليها من دون الاهتمام بأُصول التفسير يجر المفسِّر إلى التفسير بالرأي أو التفسير الناقص الموجب للإضلال، وهو ما يُعدّ انحرافاً خطيراً في عمليّة التفسير، ومن الموبقات الكبيرة التي لا تغتفر؛ لأنّها تسلب الاعتبار من التفسير[٣]، ومنه كانت مكانة أُصول التفسير الموضوعي في عمليّة التفسير.

ومع ملاحظة طبيعة التفسير الموضوعي وكيفيّة استخراج النتائج فيه، تتأكد هذه الأهمية وتشتد، وذلك لقربها من الانحراف أكثر من غيرها في أنواع التفسير الأُخرى، إذ تقترب من الهرمونيطيقيا والتفسير بالرأي؛ بسبب تشابهها في موقف المفسِّر الإيجابي في عمليّة التفسير كما سلف ذكره، حيث يُجري عمليّة استنطاق للنص القرآني متوسلاً بتجربته البشريّة في ذلك[٤].

(١) راجع: سرور، عبد الحكيم محمّد، السفير في أُصول التفسير، ص: ٢٠، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الرحمن شميله؛ مؤدب، سيّد رضا، مباني تفسير قرآن، ص: ١٥.

(٢) انظر: الصباغ، محمّد بن لطفي، بحوث في أُصول التفسير، ص: ١١؛ الرومي، فهد بن عبد الرحمن، بحوث في أُصول التفسير ومناهجه، ص: ١١.

(٣) انظر: رضائي أصفهاني، محمّد علي، منطق تفسير قرآن، ج١، ص: ١٨.

(٤) راجع: الأزرقي، أحمد، منهج السيّد محمّد باقر الصدر في فهم القرآن، ص: ٣٦٧-٣٦٨.

المبحث الثاني: أقسام أُصول التفسير الموضوعي

تبيّن في المبحث المُتقدم، أنّ أُصول التفسير الموضوعي هي: المبادئ التصورية المسلَّمة التي يعتقد بها لمُفسِّر قبل البدء بعمليّة التفسير ويستند إليها في أصل عملية التفسير، وقد ثبت في محلّه مُسبقاً أن لا فرق بين التفسير العام والتفسير الموضوعي في أصل عملية الكشف وآلياتها، إلّا أنّ التفسير الموضوعي يزيد عليه بما يختص به من خصوصيات في عملية الكشف بالطريقة الخاصة به وآلياتها، لذا فإنّ طريق معرفة أقسام أُصول التفسير الموضوعي مرتبط بمعرفة أقسام أُصول التفسير العام، وعليه فلابُدّ من التطرُق أوَّلاً في البحث إلى أقسام أُصول التفسير العام ثم تناول أقسام أُصول التفسير الموضوعي.

أوّلاً: أقسام أُصول التفسير العام

لقد قسّم بعض المختصين في التفسير وعلوم القرآن أُصول التفسير العام أو ما أُطلق عليه بالاصطلاح الحديث بـ(المباني التفسيريّة) إلى قسمين:

١ـ الأُصول العامّة، وهي الأُصول التفسيريّة المسلّمة عند المفسِّرين مثل: القرآن وحي إلهي؛ سلامة النص الإلهي من التحريف؛ إمكان فهم

القرآن وجوازه؛ القرآن كتاب حكيم؛ و...[1].

٢ـ الأُصول المختصة: وهي الأُصول التي اختلف فيها المفسِّرون ومثالها:

أوّلاً: الأُصول الكلاميّة: وهي التي تمايزت على أساسها الفرق والمذاهب الإسلاميّة مثل: حُجيّة قول وفعل وتقرير المعصوم عند الشيعة، والتي يترتب على أساسها اعتبار سُنّة المعصومين في التفسير، كذلك حُجيّة قول الصحابة وبعض التابعين عند أبناء العامّة واعتبارها في التفسير.

ثانياً: الأُصول المنهجيّة: وهي المناهج التفسيرية التي يختارها المفسِّر ليُجري عمليّة التفسير على أساسها مثل: منهج تفسير القرآن بالقرآن، ومنهج التفسير الروائي، ومنهج التفسير العقلي، وغيرها من المناهج.

ثالثاً: الأُصول الاتجاهية: وهي الاتجاهات التي يتبناها المفسِّر في التفسير ليُجري عمليّة التفسير وفقها مثل: الاتجاه الكلامي، والاتجاه الفقهي، والاتجاه الأدبي، و...

رابعاً: الأُصول الصدوريّة: وهي الأُصول المُتعلِّقة بكيفية صدور الآيات القرآنيّة التي تُثبت قطعية صدور القرآن الكريم من الله تبارك وتعالى مثل: قدسية وإلهية ألفاظ وكلمات القرآن الكريم، وسلامة القرآن من التحريف، و...، وبعبارة أُخرى هي الأُصول المُتعلِّقة بشكل النص القرآني وكيفيته.

خامساً: الأُصول الدلالية: وهي الأُصول التي تُبيّن كيفية فهم وتفسير القرآن الكريم مثل: إمكانية فهم القرآن، وجود الظهر والبطن في القرآن،

---

(١) راجع: رضائي أصفهاني، محمّد علي، منطق تفسير قرآن، ج١، ص: ١٢٥ـ١٧٣.

و...، وبعبارة أُخرى الأُصول المُتعلِّقة بمتن القرآن الكريم[١].

وقسّم البعض الآخر إلى:

١- المباني القطعيّة: وهي المباني التي تستند إلى الأدلّة الكثيرة ولا يرتقي إليها الشك، مثل: القرآن وحي إلهي لفظاً ومعنى، وجود الظهر والبطن في معنى القرآن، الحاجة إلى الروايات القطعية في التفسير، و....

٢- المباني الظنّيّة: وهي المباني التي لا تستند إلى الأدلّة القطعية ولم تكن مورد وفاق وقبول لدى المفسِّرين، مثل: مصادر التفسير، ولُغة القرآن، وكيفية فهم القرآن، و... [٢].

وهناك تقسيم ثالث اختاره محمّد فاكر الميبُدي وهو: تقسيم مباني التفسير (أُصول التفسير) إلى:

١- المباني الصدورية: وقصد بها ما يُثبت صدور القرآن، أي: أنّه كتاب نازل بتمامه من الله تبارك وتعالى، ومثالها:

الأوّل: كون القرآن وحياً صادراً عن الله لفظاً ومعنىً.

والثاني: تلقّى النّبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم الوحي من الله جلّ وعلا من دون أن يُنقص منه أو يزيد عليه.

والثالث: إبلاغ القرآن إلى النّاس من ناحية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بتمامه.

والرابع: صيانة القرآن من أي تحريف وتغيير بعد إبلاغه.

---

(٢) انظر: مؤدّب، سيّد رضا، مباني تفسير قرآن، ص: ٣٧ ـ ٤٠.

(٢) انظر: مؤدّب، سيّد رضا، مباني تفسير قرآن، ص: ٣٧ ـ ٤٠.

والخامس: معرفة موضوع التفسير، أي: القرآن من وجهة الإعجاز، وصدوره عن الله بعنوان أنّه معجزة خالدة؛ لإثبات رسالة النَّبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ونبوّته.

٢- المباني الدلالية: وقصد بها ما تنتظم به عمليّة التفسير ويوجب إعداد منهج التفسير، ومثالها:

الأوّل: الحاجة إلى التفسير.

والثاني: إمكان فهم القرآن وتفسيره.

والثالث: توقيفيّة التفسير وعدمها.

والرابع: مراتب التفسير واختلاف الأفهام.

والخامس: مخاطبة القرآن لعدد خاص.

والسادس: لغة القرآن وكونها لسان المفاهمة.

والسابع: اختصاص تفسير القرآن بعدد خاص وعموميّته.

والثامن: كون التفسير علماً.

والتاسع: غاية التفسير وهدفه.

والعاشر: قصور الترجمة عن تأدية المراد من القرآن.

والحادي عشر: استمداد علم التفسير من العلوم.

والثاني عشر: تعيين مصادر التفسير، أي: ما يكون مفسِّراً للقرآن.

والثالث عشر: ضرورة تعرّف مناهج التفسير وألوانها وأُسلوبها[1].

---

(١) انظر: فاكر الميبُدي، محمّد، قواعد التفسير لدى الشيعة والسُنّة، ص: ٣٤-٣٥.

المناقشة:

إنّ المُلاحظ في هذه التقسيمات أنّها لم تقم على أساس واحد في التقسيم، بل كان لكل واحد منها مقسم خاص به، فالتقسيم الأوّل قام على أساس: (قبول المفسِّر وعدمه)، والثاني قام على أساس: (نوع الدليل الّذي يستند إليه من حيث الإفادة العلميّة)، والثالث قام على أساس: (نوع الوظيفة التي يؤديها الأصل).

وبالتدقيق في هذه الثلاثة نجد أنّ الأوَّل له مدخلية فيما نبحث عنه؛ لأنّه يبحث في مصاديق الأصول المسلّمة وغير المسلّمة عند المفسِّرين، أي: المُشتركة والمُختصة. والثاني خارج عن محل الكلام تخصصاً؛ لأنّ ما نبحث فيه ليس أدلّة تلك الأُصول وما تولده من علم، بل تقسيم نفس الأُصول.

وأمّا الثالث، فهو أكثر انسجاماً وطبيعة المُراد في هذا المبحث؛ لأنّ الأُصول المُقسمة فيه إنّما هي تلك الأُصول التي يحتاجها كل نوع من أنواع التفسير.

ومن خلال ما تقدم يظهر أنّ هناك تقسيمين أساسيين لأُصول التفسير بشكل عام يمكن تصورهما، الأوّل قائم على أساس الاشتراك والاختصاص، والثاني قائم على أساس نوع الوظيفة التي يؤديها الأصل.

ثانياً: أقسام أُصول التفسير الموضوعي

يظهر مما سبق بحسب التقسيم الأوّل أنّ أقسام أُصول التفسير الموضوعي أيضاً قسمان هما:

أًصول التفسير الموضوعي المشتركة مع التفسير العام سواء كانت

صدورية أو دلالية، وأًصول التفسير الموضوعي المختصة.

النسبة بين أُصول التفسير العام وأُصول التفسير الموضوعي

بناءاً على ماتقدم: فإنّ النسبة بين أُصول التفسير الموضوعي وبين التفسير العام من جهة عملية الكشف وآلياتها المشتركة في مرحلة استخراج المداليل الجزئية التفصيلية من الآيات القرآنية المتعلقة بالموضوع الواحد المُعيّن هي التساوي.

وأمّا في مرحلة كشف المداليل الكلّية النهائية، ومرحلة استخراج النظرية القرآنية، فهي العموم والخصوص المُطلق.

المبحث الثالث: أُصول التفسير الموضوعي العامّة

تبيّن ممَّا سبق أنّ الأُصول العامّة للتفسير الموضوعي هي نفس أُصول التفسير العام، ونظراً لتناول هذه الأُصول في كتب التفسير العام وإشباع البحث فيها، وانصباب البحث على أُصول التفسير الموضوعي المُختصة، سوف نكتفي في هذا المبحث بذكر نماذج منها، هي:

١- القرآن كتاب موحى من الله تبارك وتعالى

ذكر الصغير[1]: إنّ النَّبيّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن بدعاً من الرسل، بل كان رسولاً كباقي الرُسُل يُوحى إليه، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْباطِ وَعِيسى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهارُونَ وَسُلَيْمانَ وَآتَيْنا داوُدَ زَبُوراً﴾[2].

وقد أُكِّد في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ* ذي

(١) انظر: الصغير، محمّد حسين علي، تاريخ القرآن، ص: ١٤.

(٢) سورة النساء: ١٦٣.

قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطاعٍ ثَمَّ أَمينٍ﴾[١] على أنّ الرسول الكريم المطاع هُو جبرئيل عليه السلام[٢]، ومعنى ذلك أنّ القرآن الّذي أتى به النَّبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ليس من عنده، بل هو قول رسول كريم، وهو جبرئيل عليه السلام[٣]، وممَّا يؤكد هذه الحقيقة ويؤيّدها قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذا هَوى * ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَما غَوى * وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحى * عَلَّمَهُ شَديدُ الْقُوى﴾[٤].

إذن يتضح ممَّا تقدم أنّ القرآن الكريم كُلُّه قد نزل على النَّبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم بواسطة جبرئيل عليه السلام وهو ما أجمع عليه المسلمون.

وكان رواة المسلمين قد ذكروا روايات كثيرة تؤكد أنّ القرآن وحي إلهي نازل من الله على نبيّه الكريم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، منها ما رواه السيوطي وغيره من العلماء، حيث ذكر: «عن الحاكم وابن شيبة من طريق حسان بن حريث، عن ابن جُبير عن ابن عبّاس قال: فُصِل القرآن من الذِكر، فوُضِعَ في بيت العِزّة من السماء، فجعل جبرئيل ينزل على النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم،...»[٥] ثمّ علّق على الرواية قائلاً: «أسانيدها كُلُّها صحيحة».

---

(١) سورة التكوير: ١٩ـ٢١.

(٢) انظر: مير محمّدي الزرندي، السيّد أبو الفضل، بحوث في تاريخ القرآن وعلومه، ص: ١٢.

(٣) راجع: البحراني، سيّد هاشم، البرهان في تفسير القرآن، ج٥، ص: ٥٩٦.

(٤) سورة النجم: ١ـ٥.

(٥) السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، ج١، ص: ١١٨، رقم ٤٩٥.

ولعل من أهم الأدلّة التي قامت على أنّ القرآن وحي إلهي وليس كلام بشري، هو إعجاز القرآن الكريم في تحديه لأن يأتوا بمثله على مدى أربعة عشر قرن[١]، ولكن لم يتمكن أحد من أن يأتي بمثله، وهذا يعني أنّه إن كان كلام بشر أمكن تحديه.

إنّ القول بأن القرآن كتاب إلهي أُنزل وحياً على النَّبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم له لوازم عديدة نذكر من جملتها:

أوّلاً: إن القرآن في متنه ومحتواه معجزة، لذا فهو فوق كلام البشر.

ثانياً: القرآن كتاب معصوم عن الخطأ.

ثالثاً: القرآن كلام مقدس.

رابعاً: القرآن كلام حق، إذن لا يحتوي على الباطل والكذب[٢]؛ لأنّ هدفه إظهار الواقع.

خامساً: القرآن أكثر المصادر الدينيّة أصالة، ودلالته ومسائله مقدمة على سائر المصادر الدينيّة الأُخرى (مثل: السُنّة)؛ لأنّه يُعدّ أكثر اطمئناناً وثباتاً في المصادر الدينيّة.

سادساً: القرآن حُجّة إلهيّة على البشر، والالتزام بآياته وما فيها من أحكام واجب على النَّاس أجمعين.

إنّ كون القرآن وحي إلهي نازل من الله تعالى مؤثر في فهم وتفسير

---

(١) انظر: سورة البقرة: ٢٣-٣٤؛ سورة يونس: ٣٨؛ سورة هود ١٣-١٤؛ سورة الإسراء: ٨٨.

(٢) يقول تعالى: ﴿لا يَأْتيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزيلٌ مِنْ حَكيمٍ حَميدٍ﴾، سورة فُصّلت: ٤٢.

القرآن؛ لأنّه إذا كان القرآن كلام الله تعالى، فالمفسِّر في التفسير يبحث عن مراد الله تعالى، وإذا كان كلاماً معجزاً ومعصوماً ومظهراً للواقع يعتمد عليه المفسِّر اعتماداً كاملاً، ويكون له المرجع والمقياس في حال حدوث التناقض بين التفسير وكلام الله المجيد، وإذا كان حُجّة إلهيّة فالمفسِّر يبحث فيه عن معارف وأحكام الحياة البشريّة ليتعلَّقوا بها ويُنظموا برنامجهم الحياتي على أساسها.

٢- القرآن كتاب سالم من التحريف

إنّ الدليل على ضرورة النبوة يقتضي وصول الرسالات الإلهيّة للبشر بصورة سليمة غير محرّفة، حتى يمكنهم الاستفادة منها لما فيه سعادتهم الدنيويّة والأُخرويّة، إذن فلا حاجة للبحث عن صيانة القرآن الكريم من حين صدوره حتى إبلاغه للنّاس، كأي كتاب سماوي آخر، ولكن المؤسف أنّ سائر الكتب السماوية إمّا تعرضت للتحريف بعد وصولها لأيدي النَّاس، أو أنّها هُجرت بعد فترة إبلاغها واختفت، كما هو المُلاحظ اليوم، حيث لم يبق عين ولا أثر لكتابي النَّبيّ نوح وإبراهيم عليه السلام، ولا توجد الصورة الأصليّة لكتابي النَّبيّ موسى وعيسى عليه السلام، في حال أنّ كُل من اطلع ولو قليلاً على تاريخ الإسلام والمسلمين، واهتمام الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وخلفائه المعصومين عليهم السلام، بكتابة الآيات القرآنيّة وضبطها، واهتمام المسلمين بحفظ الآيات القرآنيّة، كذلك وكُل من اطلع على التواتر في نقل القرآن خلال أربعة عشر قرناً، والاهتمام بإحصاء آياته وكلماته وحروفه، فإنّ مثل هذا المُطّلع على تاريخ القرآن الكريم لا يخطر في ذهنه أي احتمال عن تحريفه.

وقد استُدل على عدم تحريف القرآن بالإضافة إلى ذلك ببيان مركب من دليل نقلي وآخر عقلي، ولعل من أهم الأدلّة النقليّة على حفظه هو نفس الآيات القرآنيّة كقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1]، إلّا أنّ الاستدلال بها ابتداءً يواجه مشكلة محذور الدور العقلي؛ لأنّها إن كانت تنفي التحريف بالزيادة والنقيصة فإنّها مشمولة به أيضا، لذا لزم الاستدلال أوّلاً بعدم الزيادة والنقيصة ومن ثمّ الاستدلال بالآية على نفي التحريف عن القرآن، والاستدلال يقع في قسمين هما:

الأوّل: عدم الزيادة في القرآن

لقد أجمع المسلمون على عدم الزيادة في القرآن الكريم، اذ لم يطرأ أي حادث أو عامل أدّى إلى احتمال زيادة شيء عليه، ولا يوجد أي شاهد على مثل هذا الاحتمال، ومع ذلك يمكن أن نُبطل افتراض زيادته بدليل عقلي بالتوضيح التالي:

إذا افترضنا زيادة مطلب تام في القرآن الكريم، فإنّ هذا يعني أنّه كان يمكن الإتيان بمثله، ومثل هذا الافتراض لا يتلائم وإعجاز القرآن وعدم قدرة البشر على الإتيان بمثله.

وأمّا إذا افترضنا زيادة كلمة أو آية قصيرة عليه أمثال: ﴿مُدْهَامَّتَان﴾[2] فإنّه يلزم من ذلك اضطراب نظام الكلام واختلال سبكه وخروجه عن صورته الأصليّة والمعجزة، وفي هذه الحالة يمكن تقليده والإتيان

(١) سورة الحجر: ٩.

(٢) سورة الرحمن: ٦٤.

بمثله؛ لأنّ النظام والسبك المعجز للعبارات القرآنيّة مرتبط أيضاً باختيار الكلمات والحروف، وبعروض التغيير عليها يخرج عن حالته الإعجازيّة.

وفي حال افتراضنا أنّ الزيادة تمت بإضافة سورة كاملة، فإنّ إعجازه الموضوعي يأبى ذلك.

إذن، فنفس الدليل الّذي يُثبت إعجاز القرآن الكريم، هو الّذي يُثبت صيانته عن الزيادة.

والثاني: عدم النقيصة في القرآن

لقد صرّح كبار علماء الإسلام من الشيعة وأبناء العامّة، وأكّدوا عدم تعرض القرآن الكريم للنقيصة كما لم يتعرض للزيادة، وجاءوا بأدلّة كثيرة على هذه الحقيقة، ولكن مع الأسف، ونتيجة لنقل بعض الروايات الموضوعة في كتب الحديث لدى الفريقين، والتفسير الخاطيء والفهم المنحرف لبعض الروايات المعتبرة، احتمل البعض بل ربما ذهبوا إلى حذف بعض الآيات من القرآن الكريم، ولكن بالاضافة إلى وجود الدلائل والشواهد التاريخيّة المسلّمة على صيانة القرآن الكريم عن أي تحريف، سواء كان بنحو الزيادة أو كان بنحو النقيصة، وبالإضافة إلى بطلان الحذف المؤدي لاختلال النظام والسبك القرآني المعجز بدليل الإعجاز يمكن أن نثبت اعتماداً على القرآن الكريم نفسه بصيانته من حذف آية أو سورة مستقلة، يتبيّن بطلان القول بالنقيصة.

وبعد أن أثبتنا أنّ كُل ما في القرآن المتداول اليوم هو كلام الله تبارك وتعالى، ولم يتعرض للزيادة، فستكون محتويات آياته حُجّة من أقوى الأدلّة والحُجّج النقليّة والتعبديّة، على عدم تحريفه.

وأمّا الاستدلال بالآية السابقة الذكر فهو:

إنّ الاية الشريفة تتألف من جملتين، الأُولى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ وتعني أنّ القرآن الكريم كتاب نازل من الله تعالى، ومقتضى ذلك أنّه لم يتعرض حين نزوله لأي تغيير أو تلاعب وإلّا فهو خلاف الحكمة من نزوله، وفي الثانية: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ حيث استُخدم فيها من جديد أدوات التأكيد، والهيئة التي تدل على الاستمرار، وقد أكد الله تبارك وتعالى فيها تعهده بحفظ القرآن الكريم عن أي تحريف إلى الأبد.

وهكذا تثبت صيانة القرآن الكريم عن التحريف في الزيادة والحذف ببيان مركب من دليل عقلي، ودليل نقلي[١].

وبعد أن ثبت أنّ كُل ما في القرآن المتداول اليوم هو كلام الله تعالى، ولم يتعرض للزيادة والنقيصة، تكون محتويات آياته من أقوى الأدلّة والحجج النقلية والتعبدية، التي بُني عليها التفسير واستند إليها في موضوعاته وأحكامه.

٣- القرآن كتاب ظواهر آياته حُجّة

إنّ من الركائز المهمّة جداً في فهم القرآن الكريم وتفسيره حُجيّة ظواهره، وأهم دليل أُقيم على ذلك هو: بناء العقلاء؛ لأنّ العقلاء جرت عادهتم في محاوراهتم ومكاتباهتم الاعتماد على ظاهر كلام المتكلّم في تعيين مراده ومقصوده، ولم يصدر من الشارع ردع ومنع عن تلك السيرة، كما لم يأت بطريقة جديدة بدلاً عنها[٢].

---

(١) راجع: مصباح اليزدي، محمّد تقي، دروس في العقيدة الإسلاميّة، ج٢، ص: ١٣١-١٣٤.

(٢) انظر: الخراساني، محمّد كاظم، كفاية الأُصول، ص٣٢٣، تحقيق، مؤسسة النشر الإسلامي.

إذن فهو أمضى هذه السيرة وأقرّها، ونفسها ستكون حُجّة في فهم القرآن وتفسيره، وقد نُسب إلى بعض الإخباريين المناقشة في حُجيّة ظواهر القرآن الكريم، وقد طُرحت هذه المسألة في علم أصول الفقه[1] بشكل مفصَّل، حيث ذُكرت أدلّة الإخباريين والردود عليها هناك.

ومن الواضح جداً تأثير القول بحُجيّة ظواهر القرآن، والقول بعدم حُجيّتها في فهم جزء عظيم من الآيات وفي تفسيرها، بحيث إنّ عدم القول بحُجيّتها سيسوق التفسير نحو التفسير الروائي المحض، أي: أنّ كشفه يتحدد بكشف الرواية الظاهري، بمعنى أنّ مالم تكشفه الروايات من مداليل لا يمكن الوصول إليه، فتبقى الكثر من المرادات الإلهيّة طي الكتمان وهو خلاف حكمة وجود القرآن الكريم بين ظهراني الأُمّة.

وطبقاً لهذا المبنى لا يمكن الاستفادة من ظاهر القرآن دون الرجوع إلى الأحاديث الواردة في ذلك، وعلى هذا الأساس اتخذت بعض التفاسير هذا النحو من التفسير، كما هو الحال في تفسير البرهان للمحدث هاشم البحراني، ونور الثقلين للحويزي.

أمّا إذا كان المفسِّر يقول بحُجيّة الظواهر القرآنيّة، فإنّه لا يقتصر في تفسيره على القرائن النقليّة (ظواهر الآيات والروايات) وحسب، بل سيلجأ إلى القرائن العقليّة أيضاً بُغية التوصُّل إلى فهم الآيات ويشرع بالتفسير الاجتهادي، وبالخصوص في تلك الموارد التي لا توجد فيها رواية، فإنّه لا يقف عندها، بل يَقدِم على تفسير ظاهر الآية بناء على حُجيّة الظواهر.

---

(١) انظر: المصدر نفسه.

٤- شموليّة القرآن وعالميّته وخلوده

إن القرآن الكريم كتاب قد أُنزل لجميع الأُمم ولكُل الأزمنة، فهو كتاب هداية للجميع[1]؛ والقرآن الكريم كتاب جامع قد تناول كُل أبعاد الحياة البشريّة في الدنيا والآخرة، فبيّن الكُلِّيات المُتعلِّقة بالهداية، وأحياناً حتى جزئيات الأُمور، فمن جملتها مباحث العقائد مثل: المبدأ والمعاد والنبوة والإمامة وهكذا الأبحاث الأخلاقيّة وقصص وحوادث الأُمم السابقة، كما بيّن القرآن كثيراً من القوانين المُتعلِّقة بالزواج والطلاق والسياسة والحرب والصُّلح والعبادات وغيرها.

فالقرآن كتاب سماويٌ مبيّن لكُل شيء، يقول تعالى ذكره: ﴿... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ...﴾[2]، وطبعاً المعني في الآية الأشياء التي لها دور في تحقيق هدف القرآن وهو هداية النَّاس إلى الله تعالى، فلذا علينا أن لا نتوقع من القرآن أن يكشف لنا كُل جزئيات العلوم التجريبية (مثل الفيزياء والكيمياء وغيرها)، والعلوم العقليّة والنقليّة (مثل جزئيات التاريخ)، وهذا لا يُقلل من شأن القرآن ومنزلته؛ لأنّه يحتوي على الكُلِّيات التي يحتاجُها الإنسان حتى يهتدي إلى الصواب، وبعض جزئيات الأحكام، وهكذا قامت السُنّة والتي تعتبر مفسِّرة ومبيِّنة للقرآن ببيان بعض منها.

كما أنّ هناك الكثير من المطالب وعلى طول الزمان كانت تُستنبط من القرآن الكريم بحسب حاجة الإنسان وما تواجهه من موضوعات جديدة من

(١) يقول الله تعالى: ﴿وَما هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ﴾، سورة القلم: ٥٢، ومثلها: سورة الأنعام: ٩٠.

(٢) سورة النحل: ٨٩.

خلال بطون القرآن وقاعدة الجري والتطبيق، إذ يُستفاد في ذلك من العقل والسُنّة، وهذا ما أشارت إليه الأحاديث الشريفة عن أئمة الهدى المعصومين (سلام الله عليهم أجمعين)، ومنها:

ما رُوي عن الإمام الباقر عليه السلام:

«ظهره تنزيله وبطنه تأويله، منه ما مضى ومنه ما لم يكن بعد، يجري كما يجري الشمس والقمر»(١).

وما رُوي عن أبي عبد الله عليه السلام: **«لو كانت إذا نزلت آية على رجل ثمّ مات ذلك الرجل ماتت الآية، مات الكتاب، ولكنّه حيٌّ يجري فيمن بقي كما جرى فيمن مضى»**(٢).

فشموليّة القرآن الكريم وجامعيّته رمز خلوده وعالميّته وحياته من الأُصول الموضوعة للتفسير، التي لها تأثير بالغ في فهم الآيات وتفسيرها واستنطاقها وتطبيقها على الموضوعات الجديدة، وإن لم نلتفت إلى هذا الأصل فيصبح القرآن مجرد كتاب تاريخي خاص بزمان ومكان معيّن وثقافة أمة محددة.

٥- القرآن الكريم كتاب حكيم

أكدت الآيات القرآنيّة على أنّ القرآن كتاب حكيم(٣) نزل من عند

---

(١) العيّاشي، محمّد بن مسعود، تفسير العياشي، ج١، ص: ٢٩، تحقيق: سيّد هاشم الرسولي المحلّاتي؛ المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٨٩، ص: ٩٧، ح٦٤.

(٢) الكُليني، محمّد بن يعقوب، أُصول الكافي، ج١، ص: ١٩٢، ح٣.

(٣) راجع: سورة النور: ١٨و٥٨ـ٥٩.

حكيم[1] وأُنزلت فيه الحكمة[2]؛ والحكمة هي: «العلم الّذي يرفع الإنسان عن فعل القبيح، وهو مستعار من حكمة اللجام وهو ما أحاط بحنك الدابة يمنعها الخروج. والحكمة: فهم المعاني، وسُمّيت حكمة لأنّها مانعة من الجهل. قيل: ومنه الآية وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ»[3].

إنّ من تبعات واستلزامات القول بأنّ القرآن الكريم كتاب حكيم:

١ ـ الانسجام الداخلي في القرآن وعدم وجود الاختلاف والتضاد بين آياته، وبيان ذلك:

لا يخفى أنّ الحالات الروحيّة لأي إنسان في تغيّر مطّرد ـ وقانون التكامل يحيط بالإنسان فكراً وروحاً في حالة وجود ظروف طبيعية، وعدم حصول وضع استثنائي، فهو يحدث على مرِّ الأيام والشهور والسنين تحوُّلاً مستمراً في ألسنة البشر وأفكارهم وأحاديثهم، وإذا ألقينا نظرة فاحصة على تصانيف أحد الكتب فسوف لن نجدها على نسق واحد إطلاقاً، بل لابُدّ من وجود تفاوت في بداية الكتاب ونهايته، خاصة إذا ما كان الإنسان واقفاً أمام موجة من الأحداث الكبيرة والساخنة، فهو مهما سعى وأراد أن يكون كلامه على سياق ونسق واحد ومعطوفاً على سابقة، لا يقوى على ذلك وخاصة إذا ما كان أُمي أو ناشيء في محيط متخلف جداً.

أمّا القرآن فقد نزل على حسب الاحتياجات والمتطلبات التربويّة

---

(١) راجع: سورة هود: ١؛ سورة النمل: ٦ وسورة فُصّلت: ٤٢ وسورة الجاثيّة: ٢ والأحقاف: ٢.

(٢) راجع على سبيل المثال: سورة البقرة: ٢٣١ وسورة النساء: ١١٣.

(٣) الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، ج٦، ص: ٤٥.

للمجتمع في ظروف وملابسات مختلفة طيلة ثلاثة وعشرين عاماً، فهو الكتاب الّذي تحدث عن مواضيع متنوعة، وهو ليس كسائر الكتب التي تواكب أحد البحوث الاجتماعيّة أو السياسيّة أو الفلسفيّة أو...، بل أحياناً يتحدث عن التوحيد وأسرار الخلقة، وأحياناً عن الأحكام والقوانين والآداب والسنن، وتارةً يتحدث عن الأُمم السابقة وقصصهم المثيرة، و....

وهذا دليل على أنّه لو لم يكن صادراً من قبل اللّه تعالى لوقع فيه الاختلاف والتضاد، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة في الآية المباركة: ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فيهِ اخْتِلافاً كَثيراً ﴾(١).

٢ـ عقلائيّة القرآن، بمعنى أنّه كتاب يدعو إلى العقل والتعقل، وهو أمر بديهي؛ لأنّ ما يصدر عن الحكيم لا يكون إلّا كذلك، وقد دلّت على ذلك آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذي يُحْيي وَيُميتُ وَلَهُ اخْتِلافُ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾(٢)، وقوله: ﴿ أُفٍّ لَكُمْ وَلِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾(٣)، وآيات أُخرى.

فالقرآن الكريم لم يصف الله سبحانه بالعاقل، ولم يصف نفسه بالمعقول، أمّا في موارد كثيرة شوّق الإنسان إلى التعقل والتفكير بالعقل واستخدامه في جميع جوانب حياته، إذ يقول الله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آياتِهِ

(١) سورة النساء: ٨٢.

(٢) سورة الأنفال: ٨٠.

(٣) سورة الأنبياء: ٦٧.

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[١]، ويقول: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[٢].

وقد استخدم القرآن الكريم هذا المنهج في الاستدلال على وجود الله تعالى كما في قوله سبحانه: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[٣]، وهكذا في بقيّة الموضوعات.

وعقلائية القرآن لها أثر في تفسيره، ففي حال إذا أردنا استنباط معرفة العالم أو الإنسان أو المجتمع أو التربية أو...، من القرآن الكريم، لا نستطيع أن نستنبط شيئاً خارج عن الحكمة أو العقل أو خلافه؛ لأنّ نظرة القرآن إلى الإنسان والمجتمع والتاريخ و... نظرة عقلائيّة وتبعث على التفكر[٤].

٦- إمكان فهم وتفسير القرآن

القرآن الكريم كتاب أُنزل من الله تعالى لهداية النَّاس وسعادتهم، وفهمه وإدراكه وتفسيره مقدمة لتحقيق ذلك الغرض، وقد قامت الأدلّة العقليّة والنقليّة على إمكان ذلك مشروطاً، وقد دلّ على ذلك القرآن الكريم، حيث جاءت فيه دعوة القرآن الكريم الإنسان إلى التدبّر والتفكر والتعقل بآياته، فلو كان غير قابل للفهم لصارت هذه الدعوات دعوات لَغويةٌ، واللَغوُ خلاف الحكمة ولا يصدر من الله الحكيم جلّ جلاله، ومثال هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً

---

(١) سورة البقرة: ٢٤٢.

(٢) سورة يوسف: ٢.

(٣) سورة الأنبياء: ٢٢.

(٤) راجع: رضائي أصفهاني، محمّد علي، منطق تفسير قرآن، ج١، ص: ١٢٧-١٢٩.

كَثِيراً﴾[(١)]، وقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[(٢)].

ويدل على ذلك أيضاً آيات التحدي كقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[(٣)]، ولو لم يكن القرآن قابلاً للفهم والتفسير، فلا معنى للتحدي والمواجهة ويصبح ذلك غير معقول.

٧- عدم قابلية افتراق القرآن عن السُنّة المُطهرة

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[(٤)]، وقد عُد هذا القول الإلهي تصريح قرآني بأصالة حُجيّة سُنّة النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في بيان كتابه المجيد، إذ أنّ بيانه صلى الله عليه وآله وسلم لو لم يكن حُجّة لكان لغواً ومخالفاً للحكمة الإلهيّة، والله الحكيم لا يأمر بشيء يخالف الحكمة، وهذا ما صرّح به كبار المفسِّرين في ذيل تفسيرهم للآية المذكورة[(٥)].

والجدير ذكره أنّ المختصين بالتفسير قد بحثوا في سعة دائرة هذه الحُجيّة هل تشمل القول والفعل أم أحدهما؟ وقد خرجوا بنتيجة مفادها، أنّ النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قد قام بتفسير القرآن قولاً وعملاً، وأمر المسلمين

---

(١) سورة النساء: ٨٢.

(٢) سورة ص: ٢٩.

(٣) سورة البقرة: ٢٣.

(٤) سورة النحل: ٤٤.

(٥) انظر: الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١٢، ص: ٢٦١.

بإتباعه في جزئيات أحكام الصلاة والحج وغيرها، وهذا يعني تفسير القرآن بسُنّة النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعمله، وعليه فإنّ من الواضح أن سُنّته صلى الله عليه وآله وسلم تشمل قوله وفعله وتقريره؛ لأنّ التقرير جزءٌ من الفعل، وقد تركنا الكلام في اثباتاتها لخروجها عن اختصاص البحث في هذا الفصل.

وعلى هذا الأساس سيكون بيان أهل البيت المعصومين عليهم السلام للآيات حُجّة في التفسير أيضاً، وقد دلّ على ذلك حديث الثقلين المتواتر لفظاً ومعنى بلفظه: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً حتى يردا علي الحوض»(١).

إذن عدم الالتفات إلى سُنّة النَّبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته المعصومين عليهم السلام غير جائز في التفسير؛ وهذا أحد الأُصول الموضوعة للتفسير، حيث يُلقي بظلاله على تفسير كُل الآيات.

٨- الواقعية وحُجيّة التفسير

إنّ واحدة من مميزات لُغة القرآن وخصائصها: بيانها الواقع؛ لأنّه لا مجال في القرآن للباطل(٢)، بل هو القول الحق(٣) المطابق للواقع.

ولكن يقع الكلام في التفسيرات التي يُقدّمها مفسِّرو القرآن هل هي حق ومطابقة للواقع دائماً أم لا؟ بالخصوص عند مُلاحظة وجود المتشابه والناسخ

---

(١) الفيروز آبادي، مرتضى الحسيني، فضائل الخمسة من الصحاح الستة، ج٢، ص ٥٢-٦٠.

(٢) انظر: سورة فُصّلت: ٤٢.

(٣) انظر: سورة الإسراء: ١٧.

والمنسوخ والأبحاث المعقدة في القرآن فهل أنّ تفسير المفسِّرين يكون حُجّة ومعتبراً؟

وجواب هذا السؤال واضح؛ لأننا شاهدنا على طول التاريخ ونشاهد أخطاء المفسِّرين المتكررة في فهم القرآن وتفسيره، بل من الأُصول المسلَّمة وقوع الفكر البشري بالأخطاء لا في التفسير وحسب، بل في كُل العلوم البشريّة فالكُل مُعرضون للخطأ والاشتباه عدا المعصومين عليهم السلام.

إذن لا يمكن القول أنّ كُل استفادات المفسِّر حق ومطابقة للواقع دون أي خطأ، كما لا يمكن تخطئة الاستنتاج والاستنباط إذا كان طبق الضوابط العلميّة دون دليل؛ لأنّ آلة ذهن الإنسان توصله بصورة طبيعية إلى الواقع إلّا إذا ثبت خطأه، وهذا يجري في التفسير وفي غيره وفي كُل العلوم العمليّة.

ويمكن بحث الاستنتاج التفسيري للمفسِّر من عدة جهات:

الجهة الأُولى: بالنسبة لشخص المفسِّر:

فعندما يكون المفسِّر متمتعاً بالشروط اللازمة للتفسير ولا يقدم على التفسير إلّا بعد المطالعة الدقيقة والالتفات إلى الضوابط ومُلاحظة القرائن، ليس لنا اتهامه دون دليل بالخطأ؛ لأنّ احتمال الخطأ قائم في جميع العلوم البشريّة، والطريقة العقلائيّة في هكذا موارد هي: أن يكون لدى العلماء اطمئنان نسبي في النتائج العلميّة التي يتوصلون إليها؛ لأنّ ذلك يورث العلم العادي.

إذن فاستفادت المفسِّر توجب اطمئنانه وتكون حُجّة معتبرة، وهذا المطلب هو نفسه كبرى حُجيّة ظواهر القرآن التي تُبحث في أصول الفقه.

يعني إذا كانت الاستفادة أو الاستنباط من آية أحكام فيجب عليه العمل طبقاً لها، ولو عمل خلاف ما استنبط فإنّه يستحق العقوبة، ولو اكتشف بعد ذلك خطأه فسيكون معذوراً.

أما بالنسبة للآيات المتشابهة والناسخ والمنسوخ والمسائل المعقدة فقد اقتُرحت لعلاجها طرق مناسبة تمكن المفسِّرين بعد التدقيق والتأمل من حل المشكلة.

ومن البديهي أن يتفاوت المفسِّرون في مراتب فهمهم وقوة استنباطهم، كما أنّ صعوبة الآيات ليست متساوية أيضاً، ولكن على أية حال بعد سعي المفسِّر واجتهاده الباعث على الاطمئنان يكون استنباطه معتبراً وحُجّة بالنسبة له.

الجهة الثانية: بالنسبة للآخرين:

إذا قدّم المفسِّر بعد رعايته ضوابط ومعايير التفسير تفسيراً معتبراً، يكون مصدراً جيداً للمطالعة والاستفادة والنقد والمناقشة من قبل الآخرين، ولكن لا يحق للمفسِّرين تقليده؛ لأنّ التقليد في التفسير حرام، إذ أنّه سيكون من الأخذ بغير علم في التفسير ونسبة ذلك للقرآن هو نوع من الافتراء على الله تعالى.

إذن تفسير كُل مفسِّر غير معصوم ليس بحُجّة على الآخرين.

المبحث الرابع: أُصول التفسير الموضوعي المختصة

بعد أن تناولنا في المبحث المتقدم أُصول التفسير الموضوعي العامّة، نعقد البحث في هذا المبحث لذكر القسم الثاني من أُصول التفسير الموضوعي، ونريد بها ما تنتظم به عمليّة التفسير الموضوعي، وهي:

أوّلاً: وجود الحاجة للتفسير الموضوعي

بيّن المختصون والباحثون القرآنيون في التفسير الموضوعي، أنّ الهدف من وجوده والتأكيد عليه، هو وجود الحاجة إليه، وقد اختلفت وجهات نظر المختصين في ذلك على الرغم من وجود الإيماءة فيها إلى محور واحد لا يمكن عنونته بعنوان معيّن؛ لاعتماد التعبير على فهم المسمي وذوقه الأدبي، ولكن يمكن قراءة خصائصه من خلال:

الأُولى: حاجة القرآن

فالقرآن الكريم كتاب نزل لتبيان كُل شيء: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، وبيانه يختلف

(١) سورة النحل: ٤٤.

عن بقيّة الكتب العقائديّة والأخلاقيّة والقانونيّة والأدبيّة، كما أنّ بيانه شامل للأحكام والموضوعات المختلفة، فتراه يجمل في موضع ويفصّل في آخر و...، وطبيعة القرآن هذه اقتضت ضرورتها أن يكون مفسِّره عالماً به وخبيراً بطبيعته وأَساليبه في عرض الأحكام أو الموضوعات، ومن هنا كان الجمود على منهج واحد في تفسيره مشكلة من مشاكله، وما حركة التطور التفسيريّة ونشوء المناهج والاتجاهات وتغيير الأَساليب في التفسير، إلاّ مظهرٌ من مظاهر التغلّب على هذه المشكلة وحلّها، وقد نُقل أنّ النَّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قد قام بنموذجين مختلفين من التفسير، أحدهما ما يُعرف اليوم بالتفسير الموضعي، ومثاله تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[1]، بأنّه: «نهر في الجنّة أشد بياضاً من اللبن وأشد استقامة من القدح، حافّتاه قباب الدُر والياقوت، ترده طير خضر لها أعناق كأعناق البُخت...»[2]، والآخر ما صنّفه البعض على أنّه البدايات الأُولى للتفسير الموضوعي، ومثاله: ما نُقل من أنّ النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قد فسَّر (الظُلم) في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[3]،

بالشرك في قوله تعالى: ﴿... إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[4]، وقد ذكرت ذلك جملة من كتب التفسير[5].

---

(١) سورة الكوثر: ١.

(٢) العروسي الحويزى، عبد على بن جمعه، تفسير نور الثقلين، ج٥، ص: ٦٨٠، ح٣.

(٣) سورة الأنعام: ٨٢.

(٤) سورة لقمان: ١٣.

(٥) راجع: الطبري، محمّد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، ج٧، ص: ١٦٧؛ الطبرسي، ←

وإذا ما أخذنا وظيفة المفسِّر(الكشف عن الدلالات والمقاصد وبيان المعان) بنظر الاعتبار إلى جنب تنويع النَّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في أُسلوب التفسير، يصبح واضحاً أن القرآن الكريم بحاجة إلى أكثر من منهج وأُسلوب للكشف عن دلالاته ومقاصده، وما ظهور التفسير الموضوعي للوجود إلاّ ضمن هذا الإطار.

الثانية: طبيعة العلم في التطور

فإنّ العلم أياً كان، له أهداف يسعى لتحقيقها، ولكن لا يتيسر له تحقيق تلك الأهداف ما لم يصل إليها، لذا فإنّ العلوم من دون استثناء تملك منظومة كبيرة ومختلفة من الوسائل والأدوات للوصول إلى أهدافها، وقد اقتضت طبيعة العلم التطور لمواكبة الاحتياجات والوصول إلى تحقيق الأهداف والغايات بنحو أفضل وأحسن وأدق وأعمق وأسرع، لذا فإنّ وسائلها وأدواتها تتطور تبعاً لذلك بمرور الأيام وتقادم الزمان، وعلم التفسير لا يخرج عن هذه القاعدة أيضاً؛ لأنّه علم يمتلك المناهج والأَساليب والأدوات المختلفة للكشف عن المراد الإلهي وهو هدفه الّذي يسعى لتحقيقه، وهي متغيّرة ومتطورة أيضاً بتطور الزمان وتقادم الأيام، ولا فرق بينه وبين العلوم الأُخرى إلّا في ضرورة كون وسائل الكشف الحديثة وسائل مشروعة وموصلة للمطلوب، وعليه فإنّ ظهور المناهج الحديثة وتجديدها وتطويرها كظهور التفسير الموضوعي، هو من متطلبات طبيعة العلم في حاجته للتطور.

→ الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٤، ص: ٥٠٦؛ العروسي الحويزي، عبد على بن جمعه، تفسير نور الثقلين، ج١، ص: ٧٣٩، ح١٥٧.

الثالثة: قصور التفسير الموضعي

ذكر محمّد علي رضائي الأصفهاني في بيان أوجه الاختلاف بين التفسير الموضوعي والتفسير التجزيئي: إنّ التفسير التجزيئي يبيّن مدلول الآية بصورة مستقلة عن بقيّة الآيات، وإنّه ينظر إلى زاوية من زوايا الموضوع ويُعطي رؤية ناقصة حول الموضوع، وهي مسألة في غاية الخطورة، إذ تؤدي بالأفراد إلى الخطأ في فهم آيات الله تعالى وبروز الخلافات المذهبية وأشباهها[1]، وهذا الأمر يعني جزئيّة النتائج المترتبة عليه، وهو معنى القصور، لذا فإنّ من الطبيعي أن يبحث المفسِّر القرآني عن منهج أكثر قابليّة، وخلاف ذلك ستبقى الكثير من المقاصد والدلالات القرآنيّة من دون استكشاف، الأمر الّذي يعني عدم الوصول إلى الهدف من نزول القرآن المجيد وهو: تبياناً لكُل شيء، ومنه كان المنهج المطلوب لدفع هذا الإشكال هو التفسير الموضوعي؛ لأنّه منهج يجعل كُل آية قرينة على فهم الآية الأُخرى ويوصل الآيات بعضها مع البعض الآخر ضمن سياقها العام والخاص، ثم الخروج برأي نهائي حول هذا الموضوع القرآني.

الرابعة: مواكبة الاحتياجات البشريّة

ذُكر في كتب الاختصاص أنّ من فوائد التفسير الموضوعي تلبيته للاحتياجات البشريّة في مختلف الجوانب الحياتيّة، وهذه الخاصيّة تكفي في ثبوت الحاجة إليه وجوداً واستمراراً.

---

(١) انظر: رضائي الأصفهاني، محمّد علي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيريّة للقرآن، ص: ٣١٤.

واستناداً لما تقدم فإنّ هذه الخصائص المنظورة على أنّها أسباب أدّت إلى قيام الحاجة في ظهور التفسير الموضوعي ووجوده، وتأثير ذلك في عمليّة التفسير الموضوعي، هو أنّ التفسير الموضوعي مع احتمال وجوده من دون احتياج، يكون وجوده وجوداً لَغوياً، والعمل به عملاً عبثياً، وباستمراره البحث فيه يصبح البحث خالياً من كُل ثمار أو نتائج، ويتحوَّل البحث فيه إلى مجرد ترف علمي لا يُسمن ولا يُغني من جوع.

ثانياً: إمكانيّة استخراج النظريّة القرآنيّة

إنّ الهدف الأساسي للتفسير الموضوعي كما صرّح به المختصون بالتفسير وعلوم القرآن هو: الخروج برأي نهائي للقرآن الكريم في موضوع معيّن[1]، وقد قال محمّد باقر الصدر في ذلك: «... فالدراسة الموضوعيّة هي التي تطرح موضوعاً من موضوعات الحياة العقائديّة أو الاجتماعيّة أو الكونيّة.. وتتجه إلى درسه وتقييمه من زاوية قرآنيّة للخروج بنظريّة قرآنيّة بصدده،...»[2]، وتحقيق هذا الهدف يتوقف على وجود النظريّة القرآنيّة أساساً في الموضوع، وإلاّ سيكون الأمر من قبيل السالبة بانتفاء الموضوع، وقد أثبت هذا الوجود قوله تعالى: ﴿... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ...﴾[3]، فلفظ **(كُل)** في الآية الشريفة من ألفاظ العموم، وهي لفظة تدل بالوضع على العُموم والشُمول لجميع أفراد مدخولها[4].

(١) انظر: المصدر السابق، ص: ٣١٣.

(٢) الصدر، محمّد باقر، المدرسة القرآنيّة، ص: ١٣.

(٣) سورة النحل: ٨٩.

(٤) المظفر، محمّد رضا، أُصول الفقه، ج١، ص: ١٤٠.

وأمّا معنى الشيء، فقد قال الشريف الجرجاني: «الشيء: في اللُغة: هو ما يصُح أن يُعلم ويُخبر عنه، عند سيبويه.

وقيل: الشيء: عبارة عن الوجود، وهو اسم لجميع المكوِّنات، عرضاً كان أو جوهراً، ويصُح أن يُعلم ويُخبر عنه.

وفي الاصطلاح: هو الموجود الثابت المتحقق في الخارج»(١).

ولا خلاف في أنّ القرآن الكريم تبيانٌ للعباد في أُمور دينهم ومعاشهم، ولكن على تفصيل يظهر من رواية الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام التي نقلها الكُليني قائلاً: «عن عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمّد بن سنان، عن يونس بن يعقوب، عن الحارث بن المغيرة وعدة من أصحابنا منهم عبد الأعلى وأبو عُبيدة وعبد الله بن بشير الخثعمي، سمعوا أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّي لأعلم ما في السماوات وما في الأرض، وأعلم ما في الجنّة وأعلم ما في النار - وأعلم ما كان وما يكون-، ثم مكث هُنيئة فرأى أن ذلك كَبُر على من سمعه منه - فقال: علمت ذلك من كتاب الله عزّ وجلّ- إنّ الله يقول: فيه تبيان كُل شيء»(٢)، وتحليل الكلام في هذه الرواية يدل على أنّ منشأ العلم الأساسي في هذه الدنيا ومصدره هو القرآن الكريم، وحيث إنّ تفصيل علم الإمام الصادق عليه السلام جزئي ومستوعب لكُل ما يمكن أن يكون من أحكام الموضوعات في السماوات والأرض كإشارة لعالم المادّة، والجنّة والنّار كإشارة لعالم المعنى، وإنّ القرآن الكريم بتعداد آياته وألفاظ كلماته لا يُعطي هذه الوسعة من العلم؛ لخروج الكثير من موضوعات العلوم عن

(١) الشريف الجرجاني، علي بن محمّد بن علي، كتاب التعريفات، ص: ٩٣، رقم: ٨٤٨.

(٢) الكُليني، محمّد بن يعقوب، أُصول الكافي، ج١، ص: ٢٦١، ح٢.

اختصاصه كعلم الكيمياء والفيزياء وما أشبه، وهو أمر صحيح على نحو الموجبة الجزئيّة، ولكن مقتضى قول تبياناً لكُل شيء هو الموجبة الكُلِّية، ولا شك أنّ هذا الأمر يستلزم التناقض الواضح والبيّن، وقد صرّح بعض المختصين بأنّ ظاهر آيات القرآن الكريم كتاب لا تدل على جميع العلوم البشريّة، وإنَّما هناك إشارات إلى بعض العلوم والمباحث العلميّة التي وردت بشكل عرضي واستطرادي، وليست بشكل أساسي[١].

وبناءاً على هذا يمكن أن نلحظ صنفين من العلوم في القرآن الكريم، هي:

الصنف الأوَّل: العلوم الدينيّة، وهو ما ورد في تفسير الآية المباركة الآنفة الذكر[٢].

الصنف الثاني: العلوم المُتعلِّقة بالأُمور الماديّة والتي تُسمّى بالعلوم التجريبيّة كالفلك والرياضيات وما أشبه، وقد دلّت على ذلك آيات كثيرة في القرآن الكريم مثل: قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ * وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ * وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ * وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[٣].

---

(١) راجع: رضائي أصفهاني، محمّد علي، درآمدي بر تفسير علمي قرآن، ص: ١٦١-١٧٧.

(٢) راجع: الطبري، محمّد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، ج١٤، ص: ١٠٨؛ الطوسي، محمّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج٦، ص: ٤١٨ و٥٨٦.

(٣) سورة الأنبياء: ٣٠-٣٣.

واستناداً لما تقدم يتبيّن أنّ القرآن الكريم كتاب يحتوي على جميع العلوم بالتفصيل الّذي سبق للتوّ، وهذا يعني أنّه شامل للنظريّة أيضاً في جميع العلوم وبمختلف الموضوعات.

ونتيجة القول أنّه ثبت مسبقاً إمكانية تفسير القرآن الكريم وجوازه، وهنا ثبت وجود النظريّة في القرآن الكريم، إذن يمكن استخراج النظريّة من القرآن الكريم، وهو عمل لا يتحدد بنوع الموضوع ومكان وجوده.

ثالثاً: وجود الوحدة الموضوعيّة في القرآن الكريم

إنّ التفسير الموضوعي تفسير قائم على جملة من الخصوصيات الخاصة به، منها: وجود الوحدة الموضوعيّة في القرآن الكريم، إذ أنّ وظيفته كتفسير هي: الكشف والبيان والإظهار للمقاصد والدلالات، وكتفسير موضوعي هي: الكشف عن النظريّة القرآنيّة في الموضوع الواحد من الآيات القرآنيّة ذات العلاقة في عموم القرآن الكريم، وهو ما يُسمّى بالوحدة الموضوعيّة في القرآن، فالوحدة الموضوعيّة عنوان مركب من جزئين هما: الوحدة والموضوع، وقد عُرِّفت الوحدة بأنّها: «الانفراد، والواحد في الحقيقة هو الشيء الّذي لا جزء له البتّة، ثمّ يُطلق على كُل موجود حتى إنّه ما من عدد إلّا ويصحّ أن يُوصف به، فيُقال: عشرة واحدة، ومائة واحدة، وألف واحد،...»[1].

وقد ذكر أبو البقاء الكفوي في الكُلِّيات: «كُل مركب فله اعتباران: الكثرة والوحدة، فالكثرة باعتبار أجزائه، والوحدة باعتبار هيئته الحاصلة في

---

(١) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمّد، المفردات في غريب القرآن، ص: ٨٥٧.

تلك الكثرة والأجزاء الكثيرة تُسمّى مادة، والهيئة الاجتماعيّة الموحدة تُسمّى صورة»[١]، ومنه يظهر أنّ للوحدة تفسيرين: أحدهما الانفراد، والآخر الاتحاد أو صيرورة الاثنين فما فوقهما واحداً، فيُقال وحدة الدولتين أو وحدة القوانين مثلاً، وقد تعيّن هذا المعنى الأخير بالاستعمال[٢].

وأمّا الموضوعيّة فقد مرَّ الكلام عنها في مقدّمات هذا الكتاب بأنّها لفظة صيغت على وزن المصدر الصناعي من اسم المصدر (موضوع) المأخوذ من (الوضع).

وذكر محمّد محمود الحجازي، أنّ الوحدة كمركب وصفي تعني: «اتحاد الموضوع الّذي ذُكر متناثراً من دون تباين أو اختلاف، بل يؤلّف وحدة موضوعيّة كاملة له كقولنا بعبارة أُخرى وحدة الموضوع»[٣]، وأمّا الوحدة الموضوعيّة في القرآن الكريم كاصطلاح، فقال عنها: هي «البحث عن القضايا الخاصة التي عرض لها القرآن الكريم في سوره المختلفة، ليُظهر ما فيها من معان خاصة تتعلّق بالموضوع العام الّذي نبحثه لتحقق الهدف، وهو الوحدة الموضوعيّة في القرآن الكريم»[٤]، ولو تتبعنا موضوعات القرآن الكريم يتبيّن لنا، أنّ المعاني الخاصة المُتعلِّقة بالموضوع العام هي أجزاء ذلك الموضوع العام المتكون منها، فلو أخذنا مثلاً حُرمة شُرب الخمر، فإننا سنجد أنّ القرآن

---

(١) الحسيني الكفوي، أيوب بن موسى، الكُلِّيات (معجم المصطلحات والفروق اللُغويّة)، ص:٨٢٨، تحقيق: عدنان درويش ومحمّد المصري.

(٢) راجع: الحجازي، محمّد محمود، الوحدة الموضوعيّة في القرآن الكريم، ص: ٢٨.

(٣) انظر: المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

الكريم تناولها في أربعة سور قرآنيّة هي: سورة البقرة، وآيتها: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا...﴾[1]، وسورة المائدة، وآياتها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[2]، وسورة النساء وآيتها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ...﴾[3]، وسورة النحل، وآيتها: ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[4].

فنلاحظ في الآيات أعلاه أنّ القرآن الكريم بيّن في كُل آية جانباً من جوانب الموضوع، ففي سورة البقرة بيّن جانب النفع والضرر فيه، وفي سورة المائدة بيّن جانب ماهيّته وحدّد الموقف الشرعي منها، وفي سورة النساء ذكر أنّه سبب للعداوة والبغضاء بين النّاس، وبين النّاس وبين الله تبارك وتعالى بترك الصلاة التي هي حبل الوصل بين العبد وربّه، وفي سورة النحل بيّن آثار الخمر السلبيّة والتي من أبرزها سلب العقل من الإنسان والإدراك، وفي الآية الأخيرة بين مادته الأوَليّة وما تعطيه من نتائج سلبيّة وإيجابيّة يحددها نفس الإنسان، كذلك بيّن مكانته الاقتصاديّة، وإذا ما جُمعت ورُتبت وسُلسلت

(١) سورة البقرة: ٢١٩.

(٢) سورة المائدة: ٩٠-٩١.

(٣) سورة النساء: ٤٣.

(٤) سورة النحل: ٦٧.

هذه النتائج الجزئيّة بشكل منطقي فستحصل على نظرة قرآنيّة نهائيّة متكاملة بشأن الخمر، وهذا إن دلّ على شيء فإنَّما يدل على وجود الوحدة الموضوعيّة في القرآن الكريم، إذ أنّ ما أمكن إثباته في موضع من القرآن أمكن إثباته في جميعه، حيث إنّ البحث يدور حول دائرة الوجود والعدم.

إذن فالوحدة الموضوعيّة موجودة في القرآن الكريم وثابتة فيه، ولكن على الرغم من وضوح هذه الحقيقة إلاّ أنّ البعض يُنكرها، وقد ذكر البيومي أنّ سبب الإنكار كان لأنّ المنكرين ذهبوا إلى أنّ نظام التأليف عند النَّاس غيره في كتاب الله تعالى، حيث لا يخضع الكتاب المبين إلى قواعد بشريّة يُراعيها الكُتّاب في عصر ما، ثم يأتي جيل جديد فيرى من القواعد ما يُخالف ما تقدّمه، فإذا تعددت الموضوعات في السورة الواحدة فلأمر يُريده جلّ ذكره ويراه[1].

وقد ردّ بعض الباحثين القرآنيين والمفسِّرين بأنّ عدم تبويب الكتاب بشكل موضوعي كما هو المعمول به في الكتب البشريّة، لا يعني عدم وجود الوحدة الموضوعيّة؛ لأنّ «القرآن الكريم لم يُجمع بشكل موضوعي.. أي لم يوضع كُل موضوع منه في فصل مستقل.. بل إنّ الآيات المُتعلِّقة بموضوع واحد تقاسمتها عشرات السور...»[2]، لذا فهو «ليس كالمؤلَّفات البشريّة تذكر موضوعاً واحداً وتلتزم به، بل نسيج وحدة، فقد يُذكر الموضوع في جملة واحدة أو طرف منه في موضوع وأطراف في أُخرى، ومسهباً هنا ومقتضباً هناك، وقد يُكرر أجزاءً هناك»[3]، وقد اُسند سبب ذلك إلى أنّ القرآن الكريم

(١) البيومي، محمود رجب، إسلاميات، ج٣٧، ص: ٩٩.

(٢) الحسيني الشيرازي، محمّد رضا، التدبّر في القرآن، ج١، ص: ١١٨-١١٩.

(٣) محمّد، عبد السلام محمّد، دراسات في القرآن الكريم من التفسير الموضوعي، ص: ٢٣.

كتاب نزل بحسب احتياجات البشريّة المختلفة نجوماً، ومنه كان غير محدود بزمان أو مكان خاصين[1]، وكان ضرورياً على كُل من يريد أن يخرُج بـ: (رؤية قرآنية متكاملة) حول موضوع ما أن يُمارس (النظرة الشموليّة) للآيات المرتبطة بذلك الموضوع.

وخلاصة القول:

إنّ ثبوت وجود الوحدة الموضوعيّة في القرآن الكريم أمر مفروغ منه، إذ لو لم تكن هذه الوحدة موجودة فيه، لما أمكن المفسِّر الموضوعي من الخروج بنتيجة نهائيّة حول ذلك الموضوع من خلال جمع الآيات المتناثرة في عموم الكتاب المجيد لعدم وجود الرابط والارتباط فيما بينها.

رابعاً: اتخاذ التفسير الترتيبي قاعدةً للانطلاق في التفسير الموضوعي

لقد بيّن محمّد باقر الحكيم في كتابه المجتمع الإنساني في القرآن الكريم: إنّ التفسير الموضوعي وُلد في أحضان المنهج الترتيبي (التجزيئي) في التفسير منذ بدايات تكوّن علم التفسير، ولم يكن آنذاك شاملاً لكُل القرآن الكريم، وإنّما كان المفسِّرون يقفون أحياناً وأثناء تفسيرهم الترتيبي عند موضوع من الموضوعات القرآنيّة كـ: (الإلوهية) أو (التقوى) أو (الشفاعة)، فيفردون له بحثاً مستقلاً، محاولين بذلك استكشاف النظريّة القرآنيّة الخاصة به، من خلال عرض وتفسير كُل الآيات التي أشارت له، وفي مختلف المواضع.

«وقد تطور هذا المنهج في عصرنا الحاضر -تبعاً للحاجة إليه- حتى

---

(١) انظر: إيزدي مباركة، كامران، شروط وآداب تفسير ومفسِّر، ص: ٣٦٨.

أصبح منهجاً مستقلاً في البحث والتدوين، وشاملاً لكُل القرآن الكريم»[1].

وذكر محمّد باقر الصدر أن تطور هذا الأُسلوب وترجيحه على الأُسلوب التجزيئي كان بسبب أربعة مبررات:

الأوَّل: المبرر العلمي: وهو حالة التفاعل مع الواقع الخارجي، إذ إنّ المفسِّر يبدأ من خلاله بالواقع الخارجي ثم ينتقل إلى القرآن الكريم، ثم يعود إلى الواقع الخارجي مرة أُخرى بنتاج بحثه داخل القرآن، وهو أوسع أُفقاً وأرحب وأكثر عطاءً، باعتبار أنّه يتقدم خطوة على التفسير بما تقدمه من مواد، ومن هنا تبقى للقرآن قدرته الدائمة على القيمومة والعطاء المستجد الّذي لا ينفد... وهو الطريق الوحيد للحصول على النظريات الأساسيّة للإسلام وللقرآن تجاه الموضوعات سواء كانت قرآنية أو حياتيّة.

الثاني: المبرر الروائي: وهو ظاهرة الاستنطاق القرآنيّة، حيث أشار الصدر في بحوثه القرآنيّة إلى كيفية معالجة الواقع في ضوء النص الإسلامي، فذهب إلى أن القرآن الكريم الممثل للنص الإسلامي، يكون بمثابة الإطار الّذي تُعرض عليه وقائع الحياة، ليقول رأيه ويُبدي تفسيره، فهناك إذن نص سماوي، وهناك واقع يختزن التجربة البشريّة بكُل أبعادها، ولا يمكن الفصل بين هذين الواقعين: (النص والتجربة البشريّة).

وقد اعتمد محمّد باقر الصدر على هذا المبرر في ترجيح المنهج الموضوعي في التفسير على المنهج التجزيئي، استناداً لكلام الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قاله وهو يتحدث عن القرآن الكريم: «ذلك القرآن

(١) الحكيم، محمّد باقر، المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، ص: ٩.

فاستنطقوه ولن ينطق، ولكن أُخبركم عنه: ألا إنّ فيه علم ما يأتي، والحديث عن الماضي، ودواء دائكم، ونظم ما بينكم»[١].

وأمّا وجه الاستدلال بكلام الإمام عليه السلام فيكمن في التعبير بالاستنطاق الّذي جاء في كلامه عليه السلام، حيث اعتبر عمليّة التفسير الموضوعي بوصفها حواراً مع القرآن الكريم استنطاقاً له، وطرحاً للمشاكل الموضوعيّة عليه بقصد الحصول على الإجابة القرآنية عليها.

والجدير ذكره أنّ عمليّة الاستنطاق التي تحدثت عنها رواية الإمام لم تحدد كون الموضوع من خارج القرآن الكريم أو داخله.

الثالث: المبرر العملي: والمراد به أن شوط التفسير التقليدي شوط طويل جداً؛ لأنّه يبدأ من سورة الحمد وينتهي بسورة النَّاس، وهذا الشوط الطويل بحاجة من أجل إكماله إلى مدة زمنية طويلة أيضاً، ولهذا لم يحظ من علماء الإسلام الأعلام إلاّ عدد محدود بهذا الشرف العظيم، بينما يحل التفسير الموضوعي هذه المشكلة في التفسير التجزيئي بزمن أقصر[٢].

الرابع: المبرر العيني: والمراد به المقارنة التي عقدها الشهيد الصدر بين الاتجاه الّذي سارت عليه الأبحاث الفقهية والاتجاه الّذي سارت عليه الأبحاث التفسيريّة، حيث انتشر الاتجاه الموضوعي والتوحيدي على الصعيد الفقهي، وما خطاه من خطوات كبيرة في هذا المجال أدت إلى نموه وتوسعه وإثرائه، فالفقه هو بمعنى من المعاني تفسير للأحاديث الواردة عن النَّبيّ صلى الله عليه

---

(١) الكُليني، محمّد بن يعقوب، أُصول الكافي، ج١، ص: ٦١، ح٧.

(٢) انظر: الصدر، محمّد باقر، المدرسة القرآنية، ص: ٤٤.

وآله وسلم والأئمة المعصومين عليهم السلام، بينما سيطر الاتجاه التجزيئي في التفسير على الساحة وعلى الصعيد القرآني عبر ثلاثة عشر قرناً تقريباً.

وقد ذكر الصدر نوعين من الكتب الفقهية: كتباً فقهية شرحت الأحاديث حديثاً حديثاً، وكتباً فقهية أُخرى لم تتجه هذا الاتجاه -وهي تشكِّل القسم الأعظم- بل صنّفت البحث إلى المسائل وفقاً لوقائع الحياة ومثالها: كتاب جواهر الفقه للقاضي عبد العزيز بن السرّاج الطرابلسي، وهو من أعلام القرن الخامس الهجري، حيث كان عبارة عن شرح لروايات الكتب الأربعة، ولكنّه ليس شرحاً يبدأ بالكتب الأربعة رواية رواية، وإنَّما يصنّف روايات الكتب الأربعة وفقاً لمواضيع الحياة: كتاب البيع، كتاب الجعالة، كتاب إحياء الموات، كتاب النكاح، ثم يجمع تحت كُل عنوان من هذه العناوين الروايات التي تتصل بذلك الموضوع ويشرحها ويقارن فيما بينها ويخرج بنظريّة؛ لأنّه لا يكتفي بأن يفهم معنى هذه الرواية فقط بصورة منفردة، ومعنى هذه الرواية بصورة منفردة؛ إذ مع هذه الحالة من الفردية لا يمكن أن يصل إلى الحكم الشرعي، وإنَّما يصل إلى الحكم الشرعي عن طريق دراسة مجموعة من الروايات التي تحمل مسؤوليّة حكم واحد أو باب واحد من أبواب الحياة(١).

وقد نوقشت هذه المبررات من قبل بعض المختصين، **فقيل في المبرر الأوَّل:** إنّه لا يمكن اعتبار خصوصيّة مُلاحظة الواقع الموضوعي القائم والإثارات التي يثيرها هذا الواقع، وتساؤلاته ومحاولة الحصول على الإجابة

---

(١) نظر: المصدر السابق، ص: ٢٥ – ٢٦.

والمعالجة لهذا الواقع من خلال القرآن ميزةً ومُرجّحاً للتفسير الموضوعي على التفسير التجزيئي؛ لأنّ هذا المُرجّح قائم وموجود في التفسير التجزيئي أيضاً.

وبمراجعة كتب التفسير لمختلف العصور نجد أنّ هذه المعالجة للواقع الموضوعي الخارجي في التفسير قائمة وموجودة، وغاية ما في الأمر أن مستوى هذه المعالجة قد يختلف باختلاف المفسِّر والإثارات التي يثيرها الواقع الموضوعي وقدرة المفسِّر على معالجة الموضوعات والقضايا المختلفة.

وعلى هذا، فإنّ هذا المُرجّح أمر مشترك وميزة مشتركة يمكن أن تنعكس على كلا الأُسلوبين، ولا ينبغي للفظة الموضوع هنا أن تحدد ارتباط مسألة التفاعل مع الواقع الخارجي ومحاولة الإجابة عن التساؤلات والإثارات التي يطرحها هذا الواقع من خلال القرآن، بمنهج التفسير الموضوعي وحده دون التفسير التجزيئي(١).

ولكن على الرغم من صحة الإشكال، إلّا أنّه غيٌّ مستحكم؛ لأنّ الميزة قد تكون مشتركة - ميزة الإثارت التي يثيرها الواقع من خلال التجربة البشريّة - بين الأُسلوبين في التفسير، ولكنّها في التفسير التجزيئي تكون بشكل ثانوي وغير مقصودة بالذات، وهي أبحاث جزئيّة قد يلجأ إليها المفسِّر لمعالجة قضية من القضايا، أو مشكلة محددة، بينما في التفسير الموضوعي نجدها من الركائز التي يعتمد عليها المفسِّر في استكشاف النظريّة القرآنيّة للوصول إلى مركب قرآني.

وقيل في المبرر الثاني: إن التعبير بالاستنطاق يشمل كلا الأُسلوبين في

---

(١) انظر: الحكيم، محمّد باقر، تفسير سورة الحمد، ص: ١٠٠- ١٠١.

التفسير، إذ لو كان هذا التعبير دالاً على التفسير الموضوعي فقط، ولا علاقة له بالتفسير التجزيئي، لانحصر تفسير القرآن بالتفسير الموضوعي لا محالة، فلا معنى للتفسير التجزيئي من الأساس، ولا معنى لكون القرآن متحدثاً، والمفسِّر التجزيئي مستمعاً ومسجّلاً، ولا معنى لكون القرآن معطياً والمفسِّر آخذاً، إذ التعبير الأخير للسيّد الصدر ينفي ما قاله من الدور السلبي للتفسير التجزيئي وإثبات الدور الإيجابي للقرآن؛ لأنّ إصغاء المفسِّر واستماعه، إنما هو فيما إذا كان القرآن ناطقاً ومتحدثاً.

ويمكننا أن نفهم من الحديث المتقدم أنّ المراد بالاستنطاق، عمليّة الحوار مع القرآن وعمليّة الاستماع إليه، وهي بلا شك تشمل كلا التفسيرين التجزيئي والموضوعي؛ نعم هي في التفسير الموضوعي أوضح ومن أبرز المصاديق التي تنطبق عليها عمليّة الحوار؛ لأنّ المفسِّر الموضوعي يُجري عمليّة حوار واستنطاق مع القرآن؛ للخروج بوجهة نظر محددة إزاء قضية من القضايا، في حين أنّ المفسّر التجزيئي قد يلجأ إلى عمليّة الحوار في بعض الأحيان وإذا اقتضت الضرورة؛ فلا يمكننا أن نفهم من كلام الصدر أنّه حصر الحديث المبارك في التفسير الموضوعي، بل قال: إنّ التعبير بالاستنطاق هو أروع تعبير عن عمليّة التفسير الموضوعي بوصفها حواراً مع القرآن الكريم وطرحاً للمشاكل الموضوعيّه عليه بقصد الحصول على الإجابة القرآنية عليها.

وبما أنّ المنطلق في التفسير الموضوعي هو الواقع الخارجي فالحوار بين المفسِّر والقرآن يظهر كمحور لفهم القرآن، ولكن الحوار في التفسير الترتيبي هو أمر هامشي يتعلّق باتجاهات المفسِّر وليس ضرورة منهجيّة كما هو الحال في التفسير الترتيبي.

ولم يُناقش في المبرر العملي، إلّا أنّه يبدو من خلال كلام أحمد الأزرقي أنّه مقبول، حيث قال: «وهذا أمر مسلَّم، وأكبر الظن أنّ الشهيد الصدر قدّم هذا المُرجّح؛ لأنّه كان ينعى نفسه ويتوقع الشهادة في الأيام المحدودة والمتبقية من عمره الشريف، وهذا ما بيّنه في قوله: (ونحن نشعر بأن الأيام المحدودة المتبقية لا تفي بهذا الشوط الطويل، ولهذا كان من الأفضل اختيار أشواط أقصر لكي نستطيع أن نكمل عدة أشواط من هذا الجولان في رحاب القرآن الكريم)»[1].

وقيل في المبرر العيني أنّه: قد يُقال إنّ الفرق بين الفقه والقرآن واضح، إذ الأحاديث لا تكون أمراً واحداً مدوناً من قبل النَّبيّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أو الأئمة المعصومين عليهم السلام ولا تكون ذات اتصال واحد، بل صدرت في طيّات الزمان وفق حاجة المسلمين وأسئلتهم، بخلاف القرآن فإنّه مع نزوله في أكثر من عشرين سنة يكون أمراً واحداً منسجماً، ذا أجزاء متصلة، لاسيّما إذا قلنا إنّ تدوين القرآن إنَّما كان في عهد النَّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، لهذا لا يجوز تغيير ترتيب القرآن من حيث ترتيب الآيات بل ومن ترتيب السور أيضاً، مع أن تغيير تدوين الأحاديث أمر ممكن.

ويرد على هذا الكلام بأنّه لا فرق بين الأحاديث والقرآن من هذه الجهة فكما أنّ الأحاديث صّدرت في طيّات الزمان وفق حاجة المسلمين وأسئلتهم، كذلك الحال في القرآن الكريم، فقد نزل بشكل تدريجي على النَّبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وكان أغلب ما نزل منه وفقاً لوقائع محددة ومسائل

(١) الأزرقي، أحمد، منهج السيّد محمّد باقر الصدر في فهم القرآن، ص: ٣٧٧.

تعرّض لها النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كانت تتطلب الإجابة على بعض ما يتعرض له من أسئلة، أما قضية الانسجام أو قضية ترتيب الأحاديث وترتيب المصحف الشريف فلا علاقة لها بعمليّة إمكان تغيير الترتيب وعدمه؛ لأننا نفترض في التفسير الموضوعي اختيار موضوع من موضوعات الحياة، وطرحه على القرآن الكريم، ومحاولة التوصل إلى نظريّة قرآنيّة في هذا الموضوع، وهكذا الحال بالنسبة للفقه؛ فإنّ العمليّة واحدة في كلا الاتجاهين.

وقد نبّه محمّد باقر الصدر على أنّ ترجيح التفسير الموضوعي على التفسير التجزيئي لا يعني الاستغناء عن الأخير، بل تبقى الحاجة قائمة له[1]، على الرغم من أنّ الفصل بين الاتجاهين ليس حدياً على المستوى العملي.

وقد بيّن أيضاً: إنّ الفصل بين الاتجاهين ليست هي دعوة لاستبدال منهج بآخر، بل هي عمليّة ضم منهج إلى آخر، ولكن الاتجاهين على أي حال يظلّان على الرغم من ذلك مختلفين في ملامحهما وأهدافهما وحصيلتهما الفكرية.

فالتفسير الموضوعي ليس إلا خطوة للأمام بالنسبة إلى التفسير التجزيئي، ولا معنى للاستغناء عن التفسير التجزيئي بالاتجاه الموضوعي، إذ قال ما نصه: «فالتفسير الموضوعي في المقام هو أفضل الاتجاهين في التفسير، إلّا أنّ هذا لا ينبغي أن يكون المقصود منه الاستغناء عن التفسير التجزيئي، هذه الأفضليّة لا تعني استبدال اتجاه باتجاه وطرح التفسير التجزيئي رأساً والأخذ بالتفسير الموضوعي، وإنَّما إضافة اتجاه إلى اتجاه، لأنّ التفسير

---

(١) انظر: الصدر، محمّد باقر، المدرسة القرآنيّة، ص: ٣٧.

الموضوعي ليس إلاّ خطوة إلى الأمام بالنسبة إلى التفسير التجزيئي ولا معنى للاستغناء عن التفسير التجزيئي باتجاه الموضوعي»[١].

وإذا ما نظرنا إلى آليّة عمل المفسِّر الموضوعي فإنّ عدم الاستغناء يصبح واضحاً؛ لأنّ المفسِّر الموضوعي لا يستطيع الوصول إلى النتيجة النهائيّة ما لم يجمع خيوط نتائجها الجزئيّة، وذلك لايتأتى له إلّا إذا أجرى عمليّة التفسير التجزيئي للآيات المرتبطة به، وتعريف التفسير التجزيئي خير دليل على ذلك؛ لأنّه يُشير إلى هدفه، وهو الوقوف على الدلالات الجزئيّة للآيات القرآنيّة عموماً، وذات العلاقة بالموضوع الواحد خصوصاً.

إذن خلاصة ما تقدم في هذا الأصل:

إنّه لا غنى للتفسير الموضوعي عن التفسير التجزيئي لسببين رئيسيين: **الأوَّل:** ركنيّة التفسير التجزيئي في التفسير الموضوعي؛ **الثاني:** إنّ التفسير الموضوعي لم يأت ليحل محل التفسير التجزيئي أساساً، بل أتى ليعضد التفسير التجزيئي ويسد النقص الحاصل من طبيعته الكشفيّة، وعليه فإنّ مسألة الاستبدال سالبة لانتفاء موضوعها.

خامساً: مواكبة القرآن لحاجات البشر في جميع الأزمنة والمواقع

إنّ هذا الأصل يتكئ على حقيقة قرآنية قائلة بمواكبة القرآن الكريم لكُل عصر وزمان، كما يمكن تطبيقه في كُل مكان، وعُبِّر عنها في علوم القرآن بخاصيّة خلود القرآن الكريم[٢].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الحكيم، سيّد رياض، علوم القرآن دروس منهجيّة، ص: ٢٧.

وقد استدلوا لذلك بعدة أُمور هي:

١ـ طبيعة آيات القرآن ومحتوياته، فهو بين آيات مرتبطة بالعقائد، وبين دعوة إلى مكارم الأخلاق، وبين تشريعات في مختلف المجالات منسجمة مع الفطرة الإنسانيّة وصالحة لترتيب شؤون الإنسان وتنظيم علاقاته مع الآخرين.

نعم هناك مجموعة من الاعتراضات والتساؤلات حول بعض التشريعات القرآنية والإسلاميّة بشكل عام ومدى انسجامها مع تطور المجتمعات، وقد تصدى العلماء للإجابة عليها وتوضيح انسجام تلك التشريعات مع تطور الإنسان، ولسنا بصدد استيعابها هنا، لأنّ مجالها كتب العقائد وفلسفة التشريع.

٢ـ ما يشهد أنّ شريعة الإسلام آخر الشرائع وأنّ حلال محمّد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة، ونحو ذلك، حيث من الواضح أنّ القرآن الكريم هو الثقل الأكبر الّذي تضمن كثيراً من أصول الإسلام وتعاليمه وتشريعاته، فمن دوام الإسلام وخلوده نعرف دوام القرآن وخلوده.

٣ـ النصوص الكثيرة في السُنّة التي تأمر المسلمين ـ بأجيالهم المتعاقبة ـ بالأخذ بالقرآن والتأمّل فيه وعظمته ونحو ذلك، ويقف في مقدّمتها حديث الثقلين المروي بطرق عديدة والمسلَّم عند جميع المسلمين، حيث تضمّن وصيّة النَّبيّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم للمسلمين بأجيالهم المتعاقبة بالتمسّك بالكتاب والعترة.

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «سمعت رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إنّها ستكون فتن، قلت: وما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله، فيه خبر ما قبلكم وما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، هو الّذي لا تزيغ به الأهواء ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة رد، ولا تنقضي عجائبه..»(١).

وإذا ما رجعنا إلى سبب حضور هذا الكتاب المجيد الظاهرة من آياته الشريفة بين ظهرانينا كقوله تعالى: ﴿... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾(٢)، وغيرها من الآيات النازلة لبيان هذا الغرض، وضممنا إليها خاصية خلود القرآن يتبيّن جلياً أنّ هذا الكتاب المجيد جاء ليُلبي حاجات البشر على مر العصور من دون فاصلة وانقطاع وتخصيص(٣).

سادساً: ثبوت نظام القرآن وبناؤه

لا شك أنّ المفسِّر الموضوعي يبحث عن المعاني الجزئيّة في الآيات القرآنيّة المجموعة من عموم القرآن والمُتعلِّقة بالموضوع الواحد، للحصول على نتائج جزئيّة تمهيداً لجمعها واكتشاف النتيجة النهائيّة الكُلِّية من مجموعها، وهنا يهتم المفسِّر الموضوعي بأن تكون نتائجه صحيحة ودقيقة، وتحديد صحة النتائج ودقتها يرتبط بمجموعتين من العوامل، إحداها يتعلَّق بنفس المفسِّر من

---

(١) النوري، الميرزا حسن، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ج٤، ص: ٢٣٩– ٢٤٠، ح٤٥٩٥، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التُراث.

(٢) سورة النحل: ٨٩.

(٣) راجع: الرومي، فهد بن عبد الرحمن، خصائص القرآن، ص: ٧٦.

أُمور علميّة وفنيّة مسلكيّة، وهي خارجة عن محل الكلام، والأُخرى تتعلَّق بنفس النص المفسِّر، أي: متن القرآن الكريم، وهو المراد.

وقد بُحث في علم الأُصول في تركيب الأُلفاظ والجمل وما تعطيه من معاني وتغيّرها بحسب التأليف وخلصوا بنتيجة مفادها: إنّ تركيب وتأليف وانتظام الحروف في الكلمات، والكلمات في الجمل، والجمل في المقاطع، و...، يتعلَّق بشكل التأليف ونوعه، فإن كانت بصورة صحيحة، أي: أنّ كُل حرف وكلمة وجملة ومقطع في محلّه ضمن التركيب، فسوف تعطي معنى مفهوم وواضح وصحيح ودقيق، وإلّا فالعكس صحيح[1].

وقد أطلقوا على النوع الأوَّل من التراكيب اسم: المعنى الإسمي، أي: المعنى الّذي يُعطي معنى واضحاً ومفهوماً يُتكأ عليه، وعلى الآخر اسم: المعنى الحرفي، أي: المعنى الّذي لا يُعطي معنى واضحاً ومفهوماً يُتكأ عليه[2].

ومنه يتبيّن أنّ نظم الألفاظ والتراكيب والجمل له أثر مباشر في نوع المعنى المستفاد منها، فهو إما يكون مفهوماً وواضحاً أو خلاف ذلك.

أمّا تناسق الألفاظ في الجمل، وكذلك التراكيب حتى على مستوى السورة القرآنيّة، فله أثر في وجهة المعنى، إذ أنّ التركيب يتبع إرادة ناظم الكلام.

وهكذا فإنّ في كلا القسمين التغيّر مؤثر في نتائجهما، وعدم ثباته يعني لا نتائج ثابتة في البين يُستند إليها، كما أنّ استمراره يعني عدداً غير محدود من

---

(١) راجع: الصدر، محمّد باقر، دروس في علم الأُصول، ج١، ص: ٨٣-٨٥.

(٢) راجع: المصدر نفسه.

النتائج، والتفسير إذا وصل إلى هذه المرحلة فإنّه يدخل في مصافي الهرمونيطيقيا، إضافة إلى أنّه يستلزم الإضلال للعباد نتيجة للخطأ في النتائج وتغيّرها الدائم وهو خلاف الحكمة والهدف من نزوله.

وقد ذكر محمّد علي رضائي الأصفهاني في الجزء الأوَّل من كتابه المُسمّى بـ: **(منطق تفسير قرآن)** المطبوع (باللُغة الفارسيّة) أنّ من أُصول التفسير العام الانسجام البنائي للقرآن الكريم، وعنى بذلك الترتيب الإلهي والمنطقي للكلمات والآيات، وبالطبع أصبح واضحاً لم يقيّد الترتيب بالإلهي بعد ما بيّنّا في السطور أعلاه علاقة الترتيب والنظم بالمعنى المراد.

وحريٌ بنا هنا أن نذكر المراد بالنظم ثم نشير إلى مواضعه التي يجب أن يلحظها المفسِّر الموضوعي في عمله فنقول:

النظم في اللُغة هو: «النون والضاء والميم أصلٌ واحد يدل على تأليف شيء وتكثيفه...»[١]، وذكر ابن منظور أنّه: «التأْليفُ،... وكُلُّ شيءٍ قَرَنْتَه بآخر أو ضَمَمْتَ بعضَه إلى بعض، فقد نَظَمْته. والنَّظْمُ: المَنْظومُ، وصف بالمصدر»[٢]، وذكر الطريحي أنّ النظم هو: «ونظمت الأمر فانتظم، أي: أقمته فاستقام. وهو على نظام واحد أي على نهج واحد غير مختلف، ونظم القرآن: تأليف كلماته مترتبة المعاني متناسقة الدلالات، بحسب ما يقتضيه العقل»[٣].

---

(١) ابن فارس، أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللُغة، ص: ٩٩٦.

(٢) ابن منظور، جمال الدين محمّد بن مكرم، لسان العرب، ج١٢، ص: ٥٧٨.

(٣) الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، ج٦، ص: ١٧٦.

وأمّا في الاصطلاح فهو: «تأليف الكلمات والجمل مترتبة المعاني متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل»(١)، وقد قال عبد القاهر الجرجاني: «إنّ نظم الكلم هو النظم الفني وهو ما تقتفيه في نظم الكلم من آثار المعاني وترتيبها حسب ترتيب المعاني في النفس، أي: التناسق في الدلالة والتلاقي في المعاني على الوجه الّذي يقتضيه العقل»(٢).

ويبدو أنّ المعنى اللُغوي لا يخرج كثيراً عن دائرة المعنى الاصطلاحي حيث لم يُلحظ فيه المعنى الخاص كما هو الحال في القرآن الكريم، لذا يمكن القول أن المراد بالنظم القرآني هو: طريقة تأليف حروفه، وكلماته، وجمله، وسبكها مع أخواتها في قالب محكم، ثم طريقة استعمال هذه التراكيب في الأغراض مع أخواتها في قالب محكم، ثم طريقة استعمال هذه التراكيب في الأغراض التي يتكلّم عنها، للدلالة على المعاني بأوضح عبارة وفي أعذب سياق وأجمل نظم، ولعل هنا يمكننا أن نلمس الفرق بين الأُسلوب والنظم، حيث إنّ دائرة الأُسلوب أوسع وأشمل، ولا يدرك الأُسلوب بالجملة الواحدة، بينما النظم يمكن إدراكه في الجملة الواحدة بل وحتى في الكلمة الواحدة.

ويمكن أن نلحظ نظم القرآن في:

أوّلاً: الترابط بين المفردات؛ فعند وضع المفردات إلى جانب بعضها البعض تتكون الجمل، إذ يعتبر الربط بين المفردات أمراً ضرورياً ليكون للجمل معنى تدل عليه، فلا تخلو النصوص عادة من وجود ارتباط بين مفرداتها، فلا

(١) الشريف الجرجاني، علي بن محمّد بن علي، كتاب التعريفات، ص: ١٦٧، رقم: ١٥٥٤.

(٢) الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز، ص: ٣٥.

تجد كلمة في القرآن دون معنى، حتى لو كانت حروفاً مقطعةً، وعلى هذا فإنّ مفردات القرآن تتمتع بالانسجام المعنوي والقولي.

ثانياً: الارتباط بين الجمل والآيات؛ فإنّ كُل نص متكون من جمل يتوقف معناه عليها وعلى الارتباط القائم بينها، وإن جاءت فيه أحياناً بعض الجمل المُعترضة، ولكن الأصل الأوَلي الحاكم على كُل النصوص هو وجود الترابط بين جمله.

ويُحكى بخصوص القرآن الكريم أنّ النَّبيّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم كان يشخّص مواضع الآيات في القرآن[1] وهو ما قد استلهمه من الوحي الإلهي طبعاً.

هذا كُلُّه من جانب، ومن جانب آخر هناك جمل وآيات تشكِّل مع بعضها السور وكُل سورة من سوره معجزة، وهذا يعني توقف إعجاز القرآن ومعاني جمله على ارتباط الجمل والآيات مع بعضها.

وقد أشار المحققون إلى لزوم الانسجام الهيكلي في القرآن وآياته[2]، فيما أشار بعضهم الآخر إلى عدم لزوم الارتباط بين الآيات.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك آيات جاءت في القرآن الكريم كجمل معترضة مثل: آية (إكمال الدين)، وآية (التطهير)، ولكن هذا لا يمنع ولا يخدش في حكومة الأصل العام المتقدم القائل بلزوم وجود الارتباط والاتصال والانسجام الهيكلي في القرآن.

---

(١) راجع: السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، ج١، ص: ١٦٧و ١٦٩، رقم: ٧٧٩ـ٧٩٦؛ معرفة، محمّد هادي، التمهيد في علوم القرآن، ج١، ص: ٢٧٦.

(٢) انظر: التمهيد في علوم القرآن، مصدر سابق، ج١، ص: ٢٨٠.

ثالثاً: الترابط بين سور القرآن؛ فهناك رأيان في خصوص ترتيب سور القرآن وتنظيمها فيما بينها: الرأي **الأوَّل:** أنّه تم ترتيب السور وجمعها في مصحف في عصر النَّبيّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم بأمره أو بإشرافه[١].

وأمّا الرأي الثاني: أنّه تم ترتيب السور وجمعها في مصحف في عصر عثمان بن عفان[٢]، وبناءاً على هذا القول لا يكون وجود الانسجام والاتصال بين السور لازماً؛ لأنّ ترتيبها الحالي لم يكن من الوحي، كما أنّ بعض المفسِّرين كالطبرسي في تفسير مجمع البيان سعى أن يوجد ارتباط بين آخر كُل سورة مع بداية السور التي بعدها، ولكن لم يصل إلى نتيجة وسار أكثر المفسِّرين على هذه الطريقة.

أمّا بناءاً على الرأي الأوَّل فإنّ ترتيب الآيات وصفِّها كان على أساس حكمة خاصة، إذ لا شك في وجود الاتصال والانسجام الهيكلي(النظم) بين سور القرآن بدأً بصياغة مفرداتها في جُمل، والجُمل في آياتها، والآيات في السور.

والالتفات إلى هذا النظم والانسجام الهيكلي ذو تأثير هام في فهم القرآن وتفسيره؛ لأنّ معنى جمل القرآن يتوقف على ارتباط المفردات والآيات السابقة

---

(١) انظر: الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، ص: ٢٥٧ و٢٧٨؛ السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، ج١، ص: ١٦٠، رقم: ٧٤٧؛ الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج١، ص: ١٥.

(٢) انظر: معرفة، محمّد هادي، التمهيد في علوم القرآن، ج١، ص: ٢٨٠؛ الزرقاني، محمّد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج١، ص: ٣٢٠.

واللاحقة وتعد قرينة لفهم وتفسير الآية، وهكذا سياق الآيات يتوقف هو الآخر على الارتباط بين الجمل والآيات.

وممّا تقدم تبيّن أنّ القرآن الكريم ذو نظم متقن للمفردات والجُمل والآيات والسور، وقد أشار الله تبارك وتعالى إليه في قوله تعالى: ﴿الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[1]، والإحكام لا يشمل فقط الأحكام وعدم التضاد مع الآيات الأُخرى أو بين الموضوعات، بل شامل أيضاً إلى كُل شيء في ذات الآية ومنها النظم، ولعل مسألة ثبوته أوضح من الشمس في رابعة النهار؛ لأنّ الناظم هو العالم الّذي لا تنفذ خزائن علمه، والحكيم الّذي لا يُناقض حكمته، والخبير الّذي لا يفوته ولا يعزب عنه شيء، ومعنى التغيّر فيه مخالفة للحكمة والخبرة واستلزام نسبة الجهل في العلم الإلهي.

سابعاً: إمكانيّة التوحيد بين التجربة البشريّة والقرآن

إنّ أوّل من طرح مسألة التوحيد بين التجربة البشريّة والقرآن هو محمّد باقر الصدر، وفهم معنى ذلك يتأتى باحسن وجه بمراجعة كلماته في هذه الأمر حيث بيّن في كتابه: **«المدرسة القرآنيّة»** وظيفة المفسِّر الموضوعي بأنّه مفسِّر لا يبدأ في عمله من النص بل من واقع الحياة فيركز نظره على موضوع من موضوعات الحياة العقائديّة أو الاجتماعيّة أو الكونيّة ويستوعب ما أثارته تجارب الفكر الإنساني حول ذلك الموضوع من مشاكل وما قدمه الفكر الإنساني من حلول وما طرحه التطبيق التاريخي من أسئلة ومن نقاط فراغ، ثم

---

(١) سورة هود: ١.

يأخذ النص القرآني لا ليتخذ من نفسه بالنسبة إلى النص دور المستمع والمسجّل فحسب، بل ليطرح بين يدي النص موضوعاً جاهزاً مشرقا بعدد كبير من الأفكار والمواقف البشريّة، وهكذا يبدأ مع النص القرآني حواراً، المفسِّر يسأل والقرآن يجيب، وعلى ضوء الحصيلة التي استطاع أن يجمعها من خلال التجارب البشريّة النافعة وهو يستهدف من ذلك أن يكتشف موقف القرآن الكريم من الموضوع المطروح والنظريّة التي بإمكانه أن يستلهمها من النص من خلال مقارنة هذا النص بما استوعبه الباحث عن الموضوع من أفكار واتجاهات، ومن هنا كانت نتائج التفسير الموضوعي نتائج مرتبطة دائماً بتيار التجربة البشريّة؛ لأنّها تمثل المعالم والاتجاهات القرآنيّة لتحديد النظريّة الإسلاميّة بشأن موضع من مواضيع الحياة، ومن هنا أيضاً كانت عمليّة التفسير الموضوعي عمليّة حوار مع القرآن الكريم واستنطاق له، وليست عمليّة استجابة سلبية، بل استجابة فعالة وتوظيفاً هادفاً للنص القرآني في سبيل الكشف عن حقيقة من حقائق الحياة الكبرى[1].

وقد استند الصدر في ذلك إلى قول الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام السالف الذكر وهو يتحدث عن القرآن الكريم: «ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق، لكن أُخبركم عنه، ألا أنّ منه علم ما يأتي والحديث عن الماضي ودواء دائكم ونظم ما بينكم»، معلقاً عليه بقوله: «التعبير بالاستنطاق الّذي جاء في كلام ابن القرآن عليه السلام أروع تعبير عن عمليّة التفسير الموضوعي بوصفها حواراً مع القرآن الكريم وطرحاً للمشاكل

(١) انظر: الصدر، محمّد باقر، المدرسة القرآنيّة، ص: ١٩ـ ٢٢.

الموضوعيّة عليه بقصد الحصول على الإجابة القرآنيّة عليها»[١].

وممَّا سبق يتبيّن أنّ وظيفة التفسير الموضوعي في كُل مرحلة وفي كُل عصر هي: حمل كُل تراث البشريّة الّذي عاشه المفسِّر الموضوعي، وأفكار عصره، والمقولات التي تعلّمها من تجربته البشريّة ثم وضعها بين يدي القرآن الكريم الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ليحكم على هذه الحصيلة بما يمكن لهذا المفسِّر أن يفهمه من خلال مجموعة آياته الشريفة، وهنا يلتحم القرآن مع واقع الحياة؛ لأنّ التفسير يبدأ من الواقع وينتهي إلى القرآن الكريم، لا أنّه يبدأ من القرآن وينتهي في القرآن فيكون التفسير عمليّة منعزلة عن الواقع، بل هذه العمليّة تبدأ من الواقع وتنتهي بالقرآن بوصفه القيّم والمصّدر الّذي يجدد على ضوئه الاتجاهات الربانيّة بالنسبة إلى ذلك الواقع ومن هنا تبقى للقرآن حينئذ قدرته على القيمومة والعطاء المستجد بشكل دائم، فالقرآن الكريم دلّت الروايات على أنّه لا ينفد وصرّح القرآن نفسه بأنّ كلمات الله لا تنفد، وعطاءه لا ينفد.

وممَّا تقدم يبين أنّ عمليّة التفسير الموضوعي عمليّة ذات طرفين أساسيين، أحدهما المفسِّر الموضوعي بما يحمل من أفكار ومعلومات وأسئلة حصل عليها من الواقع الخارجي في الموضوع المعني، والآخر القرآن الكريم، إذ يُجيب على كُل ما يُطرح عليه من أسئلة بخصوص ذلك الموضوع المعني والتي منشأها الواقع الخارجي.

وبناءاً على ذلك فعل المفسِّر في عمليّة التفسير الموضوعي هو التوحيد،

---

(١) المصدر نفسه، ص: ٢١.

إذ أنّه يُلاقح بين التجربة البشريّة والقرآن، وملاحقته لا تعني التأثير على آليّة بيان المقاصد والدلالات القرآنيّة، بل هي الأساس لجهة الكشف، بمعنى أنّ عمليّة التفسير الموضوعي تؤثر في تحديد موضوع الحكم.

وأمّا نفس الحكم فتحدده عمليّة التفسير بمقتضياتها الشرعيّة والعلميّة والفنيّة بشكل عام.

ثامناً: تعيين المنهج الصحيح في الكشف الموضوعي

لقد ذكرنا في مقدمة هذا المبحث أنّ المباني أو الأُصول الدلاليّة في التفسير هي التي تنتظم بها عمليّة التفسير؛ ومن الأُمور التي تحقق ذلك، تعيين المنهج الصحيح بعد الفراغ من ضرورة وجوده التي أشرنا إليها في الفصل الأوَّل من متن هذا الكتاب.

إنّ تعيين المنهج في التفسير الموضوعي، يُرجَع فيه إلى آلية عمله، فالتفسير الموضوعي أُسلوب خاص في التفسير يستخدم المرحليّة في العمل، وهو على مرحلتين: مرحلة كشف المداليل الجزئيّة، ومرحلة كشف المداليل الكُلِّية واستكشاف النظريّة القرآنيّة، وبالرجوع إلى تعريف التفسير الموضوعي الّذي اعتمدناه في هذا الكتاب بنظر الاعتبار، وهو: «جمع كُل ما يتعلَّق بالموضوع من آيات ثم يستفيد من طريقة تفسير القرآن بالقرآن، بأن يجعل كُل آية قرينة على فهم الآية الأُخرى ثم الخروج برأي نهائي حول هذا الموضوع القرآني»[1]، فإننا نلمس أنّ المنهج في التفسير الموضوعي نقلي، وهو تفسير القرآن بالقرآن، ولكنّنا بالتدقيق والنظر نلحظ أنّ ذلك صحيح في المرحلة

---

(١) رضائي الأصفهاني، محمّد علي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيريّة للقرآن، ص٣١١.

الأُولى من مراحل التفسير الموضوعي ولا يشمل المرحلة التالية منه، هذا بالإضافة لعدم كفايته؛ إذ قيل في التفسير التجزيئي أنّ المنهج الصحيح في التفسير هو المنهج المتكامل الّذي يستخدم جميع المناهج التفسيريّة بحسب الاقتضاء والحاجة إليها في عمليّة التفسير(١).

وأمّا المرحلة الثانية منه فلم يُذكر لها منهج خاص بها.

وبناءاً على ما تقدم يتضح أنّ المنهج الصحيح في التفسير الموضوعي هو نفس المنهج المتكامل المستخدم في التفسير التجزيئي، ويُكتفى في التفسير الموضوعي بهذا؛ لأنّه أساس التفسير الموضوعي في مرحلته الأُولى.

---

(١) راجع: المصدر السابق، ص: ٢٥.

الفَصْلُ الرَابِع

قَوَاعِدُ التَفْسِيرِ المَوْضُوعي

مدخل الفصل

يعتبر علماء التفسير وعلوم القرآن قواعد التفسير بمثابة الميزان والضابط المانع من الخطأ في التفسير، بل والمصحح له في بعض الأحيان، كما هو شأن الموازين في العلوم الأُخرى: كعلم المنطق وهو ميزان الفكر، وعلم النحو وهو ميزان النطق الصحيح، وعلم الأُصول وهو ميزان الفقه.

ونظراً للدور المهم الّذي تلعبه قواعد التفسير في صحة فهم النص القرآني وكشف مراده ومقاصده، لم يخلُ أي قسم من أقسام التفسير منها، لاسيّما التفسير الموضوعي

وبناءاً على أهمية القواعد في التفسير بمختلف أقسامه ومنها التفسير الموضوعي، كان لابُدّ من بحثها في هذا الفصل والّذي قسّمنا البحث فيه إلى أربعة مباحث هي:

المبحث الأوَّل: بحوث تمهيديّة في قواعد التفسير الموضوعي

ذُكر في مقدّمات هذا الكتاب أنّ التفسير الموضوعي: تفسير للقرآن الكريم بحسب الموضوعات، بمعنى جمع الآيات الواردة حول الموضوع في السور المختلفة، ثمّ تفسيرها جميعاً والخروج بنتيجة قرآنيّة[1].

وبناءاً على هذا فإنّ عمل المفسِّر الموضوعي لا يتعدى الكشف عن المعاني والمقاصد والدلالات في الآيات القرآنيّة، لكن بمجموعها لا بمفردها، الأمر الّذي يعني أنّ التفسير الموضوعي كالتفسير العام لا فرق بينهما إلّا في أُسلوب الكشف والاستخراج، خصوصاً إذا نظرنا إلى تقسيم المختصين للتفسير، مثل: محمّد باقر الصدر[2]، ومحمّد هادي معرفة[3]، ومحمّد علي رضائي الأصفهاني[4]، إذ اعتبروه على الرتيب اتجاهاً ولوناً وأُسلوباً وطريقة في علم التفسير.

وسنقسم الحديث في هذا المبحث إلى عدة مطالب:

---

(١) راجع: الفصل الأوّل من هذا الكتاب: تعريف التفسير الموضوعي لجعفر السبحاني ومحمّد علي رضائي الأصفهاني.

(٢) راجع: الصدر، محمّد باقر، المدرسة القرآنية، ص: ٩.

(٣) راجع: معرفة، محمّد هادي، التفسير والمفسِّرون في ثوبه القشيب، ج٢، ص١٠٣٥.

(٤) راجع: رضائي الأصفهاني، محمّد علي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيريّة، ص٢٩.

المطلب الأوّل: تعريف قواعد التفسير الموضوعي

تتألّف كلمة قواعد التفسير الموضوعي من جزئين رئيسيين هما:

أوّلاً: قواعد التفسير:

ذكر بعض المختصّين، أنّ قواعد التفسير لقب لفنّ معيّن من العلم[1]، وهو علم تفسير القرآن الكريم، وتعريفها له مقدّمات لابُدّ من المرور بها، وهي: تعريف القاعدة، وتعريف التفسير، ثم تعريف المركب (قواعد التفسير)، وقد مرَّ تعريف القاعدة في الفصل الأوّل من هذا البحث على أنّها: «المفاهيم التصوريّة الكُلِّية التي يتوصل بها إلى استخراج حكم معيّن»، والتفسير على أنّه: «تبيين المعنى الاستعمالي لآيات القرآن وإظهار مرادها الجدّي، استناداً إلى قواعد اللُغة العربيّة وأُصول المحاورات العقلائيّة، وبالاعتماد على المصادر والقرائن المعتبرة».

أمّا المركب فقد ذُكرت له عدة معاني:

١ـ ما ذكره خالد بن عثمان السبت بأنّه: «الأحكام الكُلِّية التي يتوصل بها إلى استنباط معاني القرآن العظيم ومعرفة كيفيّة الاستفادة منها»[2].

وقد أوضح السبت في شرح التعريف، أنّ المراد بالكُلِّي ليس الكُلِّي العقلي، وإنَّما الكُلِّي الاستقرائي الّذي تنطوي تحته جزئياته، ويُتوصل به إلى استنباط معنى القرآن العظيم وتوفّر القابليّة بالقوّة لذلك، وهذا القيد يُخرج

---

(١) السبت، خالد بن عثمان، قواعد التفسير جمعاً ودراسة، ج١، ص: ٣٠؛ فاكر الميُبدي، محمّد، قواعد التفسير لدى الشيعة والسُنّة، ص: ٣٣.

(٢) السبت، خالد بن عثمان، قواعد التفسير جمعاً ودراسة، ج١، ص: ٣٠.

القواعد التي لا يُتوصل بها إلى الاستنباط من القرآن، كبعض قواعد الأُصول واللُغة التي لا تمتّ للموضوع بصلة، مثل: قواعد المنطق والهندسة و....

أمّا ما يراد بـ: (معرفة كيفيّة الاستفادة منها) فيُدخل القواعد الترجيحيّة في التعريف، وهذا القيد يُذكر أيضاً في تعريف أُصول الفقه ليدخل به باب: التعارض والترجيح[1].

٢- ما قاله محمّد فاكر الميبدي في قاعدة التفسير بأنّها: «قضيّة كُلِّية، أو أمر كُلِّي ينطبق على أُمور جزئيّة في عمليّة التفسير، ويمكن أن نُعرِّفها في سياق التعريفات فنقول: قاعدة التفسير: هي القضيّة الكُلِّية التي يُتوصّل بها إلى استنباط معاني القرآن»[2]، وقد بيّن أنّ قيد التوصّل بها إلى الاستنباط، يعني: أنّها قابلة لذلك ومعدّة له، وهو قيد أُخرج به ما لا يُتوصَّل به إلى الاستنباط من القرآن.

٣- ما كتبه السّيفي المازندراني من أنّ القاعدة التفسيريّة هي: «قاعدة ممهدة لتحصيل الحُجّة على استكشاف مراد الله تعالى من الآيات القرآنيّة»[3]، وكلامه اشتمل على وظيفة القاعدة والنتائج المترتبة على استخدامها ولم يُبيّن ما هيَ، والتعريف بهذا الشكل تعريف باللازم.

٤- ما بيّنه مجموعة من الباحثين في كتاب روش شناسي تفسير قرآن، وترجمته: (معرفة مناهج تفسير القرآن) المطبوع(باللُغة الفارسيّة): من أنّ

---

(١) انظر: المصدر نفسه، ص: ٢٣-٢٤.

(٢) فاكر الميبُدي، محمّد، قواعد التفسير لدى الشيعة والسُنّة، ص: ٣٣.

(٣) السيفي المازندراني، علي أكبر، دروس تمهيديّة في القواعد التفسيريّة، ج١، ص: ١٦٤.

قواعد التفسير: هي قواعد متقنة مستمدة من البديهيّات العقليّة، والمسلّمات والقطعيّات، والارتكازات العقلائيّة التي تُبنى عليها طريقة التفسير[١].

٥ـ ما استنتجه رضائي الأصفهاني من مجموع ما قيل في قواعد التفسير بعد التأمّل فيها[٢]، أنّ قواعد التفسير هي: (القوانين الكُلِّية التي تقع واسطة في الاستنباط ولاتختص بآية أو سورة خاصة)، وذكر: إنّ هذه القوانين الكُلِّية، تقع كحد وسط وكبرى قياس حال الاستنباط من الآيات القرآنية، ومثّل لذلك بمثال قال فيه:

إنّ في حال استخدام قاعدة: (إرجاع المتشابهات إلى المُحكمات) المستمدة من الآية السابعة في سورة آل عمران المباركة: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ...﴾ لفهم آيات القرآن الكريم، تقع القاعدة حداً وسطاً في القياس، فالآية المباركة: ﴿... يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ...﴾[٣] آية متشابهة، وبإرجاعها إلى الآية المُحكمة: ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ...﴾[٤] يتضح المعنى المقصود من (اليد) أنّها: ليست الجسمانيّة، بل يد القدرة.

أمّا شكل القياس فهو كالتالي:

الكبرى: كُل آية متشابهة ترجع إلى آية محكمة.

---

(١) بابائي، علي أكبر، عزيزي كيا، غلام علي، روحاني راد، مجتبى، روش شناسي تفسير قرآن: (فارسي)، وترجمته: (منهج تفسير القرآن)، ص: ٦٣.

(٢) انظر: رضائي أصفهاني، محمّد علي، منطق تفسير قرآن، ج١، ص: ٢٥٠ـ٢٥١.

(٣) سورة الفتح: ١٠.

(٤) سورة الشورى: ١١.

الصغرى: (يد الله فوق أيديهم) آية متشابهة.

النتيجة:

بحذف الحد الوسط (آية متشابهة) ينتج: أنّ يد الله فوق أيديهم ترجع إلى آية محكمة، وهي آية: ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ...﴾.

والمُحصَل ممَّا تقدم:

إنّ العلماء لم يختلفوا في مفهوم القاعدة التي عنت عندهم: أحكام أو قضيّة أو قوانين كُلِّية، وكُلُّها مسمّيات لوجه واحد يتسم بالكُلِّية التي تضم تحت لوائها جزئيات كثيرة تقع في طريق الاستنباط واسطة فيه ككبرى القياس وحده الوسط، ولكنّهم اختلفوا في عباراتهم التي أحدثت بعض اللبس وقرّبت المعنى من وجه وأبعدته من وجوه.

لذا نرى أنّ ما استنتجه محمّد علي رضائي الأصفهاني، فيه من الجودة بمكان ما نستطيع القول عنه: أنّه في مصافي الإتقان المعبّر عن الواقع العملي والكاشف عنه.

وعليه فإنّ قواعد التفسير هي: القوانين الكُلِّية التي تقع واسطة في الاستنباط ولا تختص بآية أو سورة خاصة.

ثانياً: التفسير الموضوعي:

لقد تبيّن في الفصل الأوّل من هذا المؤلّف في تعريف التفسير الموضوعي، أنّ التعريف الأنسب للتفسير الموضوعي هو الّذي يشير إلى حقيقة التفسير الموضوعي وماهيّته، ولم يُشَر إلى ذلك إلّا في قول السبحاني: «تفسير القرآن حسب الموضوعات الواردة، بمعنى جمع الآيات الواردة في سور مختلفة

حول موضوع واحد ثم تفسيرها جميعاً والخروج بنتيجة»[١]، ومحمّد علي رضائي الأصفهاني: إنّه التفسير الّذي يقوم المفسِّر فيه «بجمع كُل ما يتعلَّق بالموضوع من آيات ثم يستفيد من طريقة تفسير القرآن بالقرآن، بأن يجعل كُل آية قرينة على فهم الآية الأُخرى ثم الخروج برأي نهائي حول هذا الموضوع القرآني،...»[٢]، لذا يمكن اعتماد قوليهما كتعريف للتفسير الموضوعي.

والنتيجة:

بناءاً على ماتقدم أعلاه، فإن قواعد التفسير الموضوعي هي أيضاً تلك القوانين الكُلِّية التي تقع واسطة في الاستنباط، ولكنّها هنا لا تختص بآية أو سورة خاصة من القرآن الكريم، وإنَّما تختص بمجموع الآيات المصنَّفة حول الموضوع الواحد في القرآن الكريم، وعليه فلا يوجد فرق بين قواعد التفسير الموضوعي وبين قواعد التفسير إلاّ في موضوعها، فموضوعُ القاعدة في التفسير الموضوعي كُلِّي، بخلاف التفسير العام الّذي تكون مواضيعه جزئية في أغلب الأحيان.

ومن هنا فإنّ الفصل بين قواعد التفسير العام والتفسير الموضوعي يصبح في بعض الحالات عسيراً؛ لتقاربها أو اشتراكها في موضوع الحكم، ففي استنباط الأحكام من القرآن الكريم مثلاً، تجمع الآيات القرآنية تمهيداً لاستخراج الحكم منها، ويُعرف هذا الجمع بـ: (الجمع الاستنباطي)، إذ ينصبّ استخراج الحكم فيه على المجموع، وبهذا يكون موضوع القاعدة

(١) السبحاني، جعفر، مفاهيم القرآن، ج١، ص: ٨.

(٢) رضائي الأصفهاني، محمّد علي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيريّة للقرآن، ص٣١١.

المستخدمة في استخراج الحكم: مجموع الآيات القرآنيّة المُتعلِّقة بالموضوع، وهذا الأمر لا يختلف عمّا هو في التفسير الموضوعي؛ لأنّ موضوع القاعدة التفسيريّة فيه أيضاً مجموع الآيات القرآنيّة المُتعلِّقة بالموضوع الواحد، لذا فإنّ المفسِّر في الجمع الاستنباطي يمكن له أن يستخدم نفس القاعدة المستخدمة في التفسير الموضوعي مادامت تؤدي نفس الغرض، ومنه كان التمييز بينهما في مقام العمل صعب وعسير، واستناداً لهذا لا يتميّز النوعان إلّا في المبادئ والأهداف، وهو خارج تخصصاً عمّا نحن فيه.

والخلاصة:

إنّ قواعد التفسير الموضوعي هي: (تلك القوانين الكُلِّية التي تقع واسطة في استنباط الأحكام الكُلِّية في الموضوع الواحد من مجموع آياته في عموم القرآن الكريم).

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الأحكام المستنبطة وإن كانت كُلِّية إلّا أنّها قد تكون جزئية تحت موضوعها العام؛ لاعتبار أنّ طبيعي الموضوع يتكون من مجموعة الأجزاء، وهو من قبيل الجنس الّذي يضمّ تحته أنواعاً كثيرة.

ولم نعثر خلال بحثنا على من ذكر تعريفاً لقواعد التفسير الموضوعي من المتقدمين والمتأخرين، وجلّ ماذُكر في الموضوع هو تعداد للقواعد مع شيء من التوضيح اليسير فقط والّذي لا يُغني ولا يُسمن من جوع، وقد كان من بين الكتب والدراسات الجامعيّة والمقالات العلميّة التي وقعت بين أيدينا خلال مسيرة البحث، كتاب: «المدخل إلى التفسير الموضوعي» لعبد الستار فتح الله

سعيد، حيث ذكر فيه خمسة قواعد للتفسير الموضوعي، تبنّاها صلاح عبد الفتاح الخالدي في كتابه: «التفسير الموضوعي بين النظريّة والتطبيق»، وكتاب: «قواعد التفسير لدى الشيعة والسُنّة» للأُستاذ محمّد فاكر الميبدي، وقد ذكر فيه اثنتا عشرة قاعدة.

المطلب الثاني: الفرق بين القاعدة والضابطة

انقسم العلماء في بيان الفرق بين القاعدة التفسيريّة والضابطة، ففريق ذهب إلى أنّهما لفظان لمفهوم واحد، والآخر ذهب إلى أنّهما لفظان لمفهومين مختلفين اشتركا في أنّ كُل منهما كُلِّي منطبق على أجزائه[١]، وكان ممن مال إلى عدم وجود الفرق: الفيومي في المصباح[٢]، والسبت في قواعد التفسير[٣]، والتهاوني في كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم[٤]، ومحمّد رضا المؤدب في كتاب مباني تفسير القرآن المطبوع (باللُغة الفارسيّة)[٥].

أمّا من مال إلى القول بالتفريق بينهما: جلال الدين السيوطي، إذ قال: «ممَّا اشتمل عليه الكتاب.. في الضوابط والاستثناءات والتقسيمات، وهو مرتب على الأبواب لاختصاص كُل ضابط ببابه، وهذا هو أحد الفروق بين الضابط والقاعدة، لأنّ القاعدة تجمع فروعاً من أبواب شتى، والضابط يجمع

(١) تقي الدين الحصيني، أبو بكر بن محمّد بن عبد المؤمن، كتاب القواعد، ج١، ص: ٢٤، تحقيق: جبريل بن محمّد بن حسن البُصيلي وعبد الرحمن بن عبد الله الشعلان.

(٢) راجع: الفيومي، أحمد بن محمّد، المصباح المنير، ج٢، ص: ٥١٠.

(٣) راجع: السبت، خالد بن عثمان، قواعد التفسير جمعاً ودراسة، ج١، ص: ٣٢.

(٤) راجع: التهاوني، محمّد علي، كشّاف اصطلاحات الفُنون والعُلوم، ج٣، ص: ١١٧٦.

(٥) راجع: مؤدب، سيّد رضا، مباني تفسير قرآن، ص: ٣٠.

فروع باب واحد، وقد تختص القاعدة بالباب، وذلك إذا كانت أمراً كُلِّياً منطبقاً على جزئياته...»[١]، وتبعه في ذلك أبو البقاء الكفوي في قوله: «والضابط يجمع فروعاً من باب واحد»[٢].

وقد ذكر خالد السبت أهم الفروقات التي ذُكرت بين القاعدة التفسيريّة والضابطة، وهي:

«١- القاعدة تجمع فروعاً في أبواب شتى والضابط يجمعها في باب واحد.

٢- الخلاف الواقع في الضابط من حيث قبوله أو ردّه أكثر من الخلاف الواقع في القاعدة؛ لأنّ الخلاف في القواعد يقع في بعض تفاصيلها لا في أصلها. أمّا الضوابط فالخلاف يقع كثيراً في أُصولها، وذلك لكونها محدودة، فهي كالأجزاء بالنسبة للقاعدة.

٣- إنّ المسائل التي تشذّ عن القواعد وتُستثنى منها أكثر بكثير من المسائل التي تشذّ عن الضوابط، لما مضى من سعة القواعد وضيق مجال الضوابط»[٣].

ونقل فاكر الميبدي ما ذكره خالد السبت معلّقاً عليه بقوله: «مثل القول بأنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؛ فإنّها تختص بباب أسباب النزول مثلاً»[٤].

---

(١) السيوطي، جلال الدين، الأشباه والنظائر في النحو، ج١، ص: ١٩٢.

(٢) الحسيني الكفوي، أيوب بن موسى، الكلّيات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص: ٧٢٨.

(٣) السبت، خالد بن عثمان، قواعد التفسير جمعاً ودراسة، ج١، ص: ٣١-٣٢.

(٤) فاكر الميبُدي، محمّد، قواعد التفسير لدى الشيعة والسُنّة، ص: ٣٧.

والظاهر أنّ المتقدمين لم يكونوا يشدّدون على التفريق بين القاعدة والضابطة، بل كانوا يشيرون مجرد إشارة للتنبيه على الفرق، وقد ذكر ذلك الحصيني مستشهداً بكلام السبكي بعد ذكر تعريف القاعدة، أنّه قال: «ومنها ما لا يختص بباب كقولنا اليقين لا يرفع الشك، ومنها ما يختص كقولنا كُل كفّارة سببها معصية فهي على الفور»[1].

وبناءاً على ماتقدم يتبيّن: إنّ القواعد والضوابط باعتبارها أمر كُلِّي ينطبق على جزئياته، لها مجال تُطبّق فيه، ومجالها مقدار ما أمكن إعمال القاعدة أو الضابطة فيه، وقد وجد بناءاً على ذلك في مقام العمل أنّ القواعد أوسع مجالاً من الضوابط؛ وبعد أخذ ما نقله خالد بن عثمان السبت في قواعد التفسير من الفروق المهمّة بين القاعدة والضابطة بنظر الاعتبار، يتبيّن أن هناك أمراً آخراً يجعل التفريق بينهما قائماً، وهو: كثرة الخلاف في الضوابط بالنسبة للقواعد، فالإشكال في الضوابط جاري في أُصولها، بينما في القواعد يقع في بعض تفاصيلها، والسبب في ذلك: إنّ القواعد كثيرة الفروع بخلاف الضوابط فهي محدودة؛ لأنّها كالأجزاء بالنسبة للقاعدة.

ومن هنا يظهر أنّ الواقع العملي فضلاً عن النظري يُثبت أنّ هناك فرقاً بين القاعدة والضابطة، والفرق يكمن في نقطتين رئيسيتين:

الأُولى: إنّ القاعدة تجمع فروعاً في أبواب شتى، بينما الضابطة تجمع فروعاً في باب واحد.

---

(١) تقي الدين الحصيني، أبو بكر بن محمّد بن عبد المؤمن، كتاب القواعد، ج١، ص: ٢٤.

الثانية: إنّ مجال تطبيق القواعد أوسع من مجال تطبيق الضوابط، لذا فهي أعمّ.

وهذان الفرقان الرئيسيان جاريان في جميع أنواع العلوم ومنها علم التفسير، أي: أنّ قواعد التفسير أعمّ من ضوابطه، وكذا قواعد التفسير الموضوعي؛ لأنّها جزء لا يتجزأ من علم التفسير.

المطلب الثالث: الفرق بين قواعد التفسير الموضوعي والتفسير الموضوعي

مرَّ سابقاً أنّ التفسير هو: تبيين المعنى الاستعمالي للآيات القرآنيّة وإظهار مرادها الجدي استناداً إلى قواعد اللُغة العربيّة وأُصول المحاورات العقلائيّة، بالاعتماد على القرائن والمصادر المعتبرة.

وشرح وتبيين المعنى الاستعمالي لا يظهر دائماً من ظاهر اللفظ القرآني، بل في كثير من الأحيان يظهر من خلال عمليّة استنباط واستكشاف بناءاً على أساس القرائن والأدلّة المعتبرة.

وعمليّة استخدام الأدلّة والقرائن في الاستكشاف، تارةً تتمّ وفق هوىً شخصي أو نوعي خاص، كما هو الحال في التفسير بالرأي والتفسير الّذي يجر النفع العقائدي أو الفقهي لفرقة أو طائفة معيّنة، وأخرى وفق أسس ومبادئ عمليّة صحيحة وموضوعيّة، وكما هو معروف فإنَّ النتائج التفسيريّة المعتمدة، هي النتائج التي تستند إلى أُسلوب استخراج واستكشاف صحيح، وهذا الأخير يتوقف على أدوات الكشف والبيان، وهي القواعد فيما نحن فيه.

فمثلاً لو أراد المفسِّر أن يفسّر قولَهُ تعالى: ﴿...يَدُ اللَّهِ فَوْقَ

أيدِيهِمْ... ﴾[١]، فهو أمّا أنّ يُفسّر العبارة من دون استخدام القواعد فيكون ناتج التفسير بناءاً على ذلك فاسداً، وهو القول بأنَّ اليد في الآية الشريفة هي اليد الجسمانيّة، ممَّا يُفضي إلى عقيدة باطلة اسمها «التجسيم».

وأمّا أن يستخدم القواعد فيرجع في تفسيرها إلى قاعدة إرجاع المتشابهات إلى المُحكمات المشار إليها في الكتاب المجيد في الآية السابعة من سورة آل عمران، فيكون ناتج التفسير بناءاً على ذلك صحيحاً، وهو القول بأنَّ اليد في الآية الشريفة هي يد القدرة الإلهية، ممَّا يُفضي إلى عقيدة حقة اسمها: (التوحيد).

ومن هنا يظهر أنَّ وجود القاعدة في عمليّة التفسير وجوداً وظيفياً يساعد على الكشف والبيان والتبيين: إذ لولا وجودها لا يكون التفسير صحيحاً ومقبولاً.

ومنه يتبيّن الفرق، وهو أنَّ التفسير: نفس عمليّة الكشف والبيان لمدلول الآيات القرآنيّة ومقاصدها(المراد الإلهي)، بينما قواعد التفسير هي الثوابت والموازين التي تضبط الفهم لكلام الله عزّ وَجلّ، وتمنع المفسِّر من الوقوع في الخطأ في تفسيره[٢].

واستناداً لما تقدم، فإنّ الفرق بين قواعد التفسير والتفسير جاري في التفسير الموضوعي أيضاً؛ لاشتراكهما في الأُسلوب والغاية.

(١) سورة الفتح: ١٠.

(٢) انظر: السبت، خالد بن عثمان، قواعد التفسير جميعاً ودراسة، ج ١، ص: ٣٣؛ فاكر الميُبدي، محمّد، قواعد التفسير لدى الشيعة والسُنّة، ص: ٣٨ – ٣٩؛ السيفي المازندراني، علي أكبر، دروس تمهيديّة في القواعد التفسيريّة، ج١، ص: ١٦٤.

المطلب الرابع: أهمية البحث في قواعد التفسير الموضوعي

راج التفسير ومنذ القدم بأَساليب ومناهج مختلفة اعتمد بعضها على جمع الروايات ذات العلاقة وتفسير الآيات القرآنيّة بها، وهو ما يُعرف اليوم بـ: (المنهج الروائي)، والآخر اعتمد على العقل إلى جنب الرواية في تفسير الآيات القرآنيّة، وسُمّي منهجه بـ: (المنهج العقلي)، وقسم اعتمد على بيان النكات الأدبيّة في الآيات القرآنيّة، وهو (المنهج الأدبي)(1)، وهكذا بقيّة المناهج التي زاد عددها بمرور الزمان وتطور التفسير، وقد شكَّل هذا التنوع نقطة إيجابية من جهة، وسلبية من جهات، إذ سبب اختلاف المفسِّرين في بيان مفاهيم الآيات القرآنيّة ومراد الله تعالى منها، وقد أبرز هذا الاختلاف أخطاء واشتباهات المفسِّرين، وبقاء الأمر على ماهو عليه من شأنه أن يفتح الباب أمام المتطفّلين والجهلة ليُقدِموا على تفسير القرآن الكريم وفق ما يشتهون، لذا كان من الضروري إيجاد حلّ يغلق الباب في وجه هؤلاء، ويقوّم العمليّة التفسيريّة للمفسِّرين فيُصحح الاشتباهات والأخطاء في كلماتهم، ويجمعهم على رأي واحد في القضايا المسلَّمة على أقل تقدير، وقد روى المجلسي في ذلك قول الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، للزنديق المدعي للتناقض في القرآن الكريم: «إياك أن تفسر القرآن برأيك، حتى تفقهه عن العلماء، فإنّه رُبّ تنزيل يُشبّه بكلام البشر، وهو كلام الله، وتأويله لا يشبه كلام البشر، كما ليس شئ من خلقه يشبهه، كذلك لا يشبه فعله تعالى شيئاً من أفعال البشر ولا يشبه شئ من كلامه بكلام البشر، فكلام الله تبارك وتعالى صفته وكلام البشر أفعالهم فلا تُشبّه كلام الله بكلام البشر، فتهلك

---

(١) تقي الدين الحصيني، أبو بكر بن محمّد بن عبد المؤمن، كتاب القواعد، ج١، ص: ١٢-١٣.

وتضل»[١]، حيث يكشف هذا القول بعد التأمّل فيه، عن ضرورة الرجوع إلى أهل الخبرة في التفسير وتجنب القول في كتاب الله تعالى بدون علم ولا دراية.

فكانت القواعد التفسيريّة المبنيّة على البديهيّات العقليّة والقطعيّات والمسلّمات الشرعيّة والإرتكازات العقلائيّة.

وقال في هذا المجال أياس بن معاوية: «مثل الّذين يقرؤون القرآن وهم لايعلمون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلاً وليس عندهم مصباح، فتداخلتهم روعة، ولايدرون ما في الكتاب، وَمَثل الّذي يعرف التفسير كمَثل رجل جاءهم بمصباح فقرؤوا ما في الكتاب»[٢].

ومن هنا أفتى بعض الفقهاء بوجوب تدريس القرآن الكريم في الحوزات العلميّة وجوباً كفائياً، وأن يفسّر تفسيراً إجمالياً يُطلَب فيه بيان مقاصده الرفيعة[٣].

وممَّا سبق يظهر أنّ أهمية البحث في قواعد التفسير تكمن في:

أوَّلاً: أيجاد ضمانة تبعد المفسِّر عن التفسير بالرأي، وهو مصداق من مصاديق التفسير المنهي عنه في الشريعة (المحرّم)، فمع عدم وجود القواعد التفسيريّة تكون مساحة اجتهاد المفسِّر برأيه أكثر ممَّا لو وجدت القواعد، وهو معنى الضمان وعدمه، وعليه يكون وجود القواعد ضرورة في التفسير؛ لأنّها شرط أساسي من شروط التفسير الصحيح المعتبر للقرآن الكريم.

---

(١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٨٩، ص: ١٠٧، ح٢.

(٢) القُرطبي، محمّد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج١، ص: ٢٦.

(٣) راجع: الحسيني الشيرازي، سيّد محمّد، الفقه، (كتاب حول القرآن)، ج٩٨، ص: ١٧.

ثانياً: الدور الّذي تلعبه قواعد التفسير وتأثيرها في النتائج التفسيريّة، فاستخدامها بشكل صحيح يحوّل النتائج من نتائج خاطئة أو مشتبهة إلى نتائج صحيحة أو أقل خطأً واشتباهاً.

ومن هنا فإنّ ضرورة البحث في قواعد التفسير وأهمّيته تستند بشكل أساسي إلى كونها ضمانة في التفسير من الإنحراف، وأداة في استكشاف المراد الإلهي وبيان المقاصد والدلالات في الآيات القرآنيّة في الأعم الأغلب، وكما أنّ هناك ضرورة وأهمية لبحثها في التفسير العام، كذلك هي في التفسير الخاص، أي: التفسير الموضوعي، فالإثنان يشتركان في نفس المراد والغاية.

المبحث الثاني: أقسام قواعد التفسير الموضوعي

إن معرفة أقسام قواعد التفسير الموضوعي يمر عبر معرفة أقسام قواعد التفسير العام؛ لأنّ النسبة بينهما العموم والخصوص المطلق، وعليه نقول:

لقد قسّم أصحاب الاختصاص القواعد التفسيريّة إلى أقسام عدة، وكان من جملتهم:

أوّلاً: عبد الرحمن بن ناصر السعدي في كتاب: «القواعد الحسان لتفسير القرآن»، حيث دوّن إحدى وسبعين قاعدة لم يتخذ في تدوينها نظم خاص، وقد بدأ بكيفيّة تلقي التفسير، ثمّ قواعد أسباب النزول وبعض القواعد الأدبيّة، ثمّ بعض القواعد المُتعلِّقة بمحتوى القرآن، وختم بالآيات التي تشتمل ألفاظها على جوامع المعاني.

ثانياً: خالد بن عثمان السبت في كتاب: «قواعد التفسير جمعاً ودراسة»، حيث جمع فيه ثلاثمئة وثمانين قاعدة تفسيريّة وفق نظم خاص، وصنّف تلك القواعد في واحد وعشرين قسماً هي: قواعد نزول القرآن، منهج التفسير، القواعد اللغوية، القواعد المرتبطة بوجوه المخاطبين، القواعد

المرتبطة بالإظهار والإضمار و...، القواعد المرتبطة بالوسائل التي يحتاجها المفسِّر، قواعد الضمائر، أسماء القرآن، العطف، الوصف، التأكيد، الترادف، القسم، الأمر والنهي، النفي في القرآن، الاستفهام، العام والخاص، المطلق والمقيّد، المنطوق والمفهوم، المحكم والمتشابه، النص والظاهر والمؤول، المجمل والمبيّن، معرفة الفواصل، الموارد الموهمة للاختلاف والتضارب والتكرار في القرآن، مبهمات القرآن، النسخ، علم المناسبات، القواعد العامّة.

وبملاحظة ماذكره خالد بن عثمان السبت أعلاه نسجّل الملاحظات التالية:

١- إنّ الكثير من الموارد أعلاه يمكن جمعها تحت عنوان كُلّي عام، مثل عنوان قواعد الأُصول أو القواعد الأدبيّة.

٢- بعض الموارد أعلاه خارجة عن موضوع قواعد التفسير، مثل مبحث مناهج التفسير على الرغم من أنّ بعض القواعد يستفاد منها في قواعد التفسير، أمّا نفس مبحث مناهج التفسير فهو خارج عن بحث قواعد التفسير.

ثالثاً: خالد عبد الرحمن العك في كتاب: «أُصول التفسير وقواعده» الّذي فصل فيه مباحث مقدّمات التفسير عن قواعده، ثم قسّم قواعد التفسير إلى عدة أقسام هي: قواعد التفسير في بيان دلالات النظم القرآني، مثل: المحكم والمتشابه والإعجاز القرآني والغريب والمعرب والمترادف و...، وقواعد التفسير في حالات وضوح الألفاظ القرآنيّة، مثل: قواعد الدلالات الواضحة والمبهمة ودلالة الألفاظ على الأحكام، قواعد التفسير في حالات شمول الألفاظ القرآنيّة كالعام والمشترك والخاص.

وقد تقدم العك على أقرأنّه في تنظيم قواعد التفسير، إلّا أنّه يرد عليه أيضاً: إنّ بعض الموارد خارجة عن موضوع قواعد التفسير، مثل: (إعجاز القرآن)، فضلاً عن مواجهة بعض تقسيماته للمشاكل.

رابعاً: مؤلِّفوا كتاب: «روش شناسي تفسير قرآن» وترجمته باللُغة العربيّة: (منهج معرفة تفسير القرآن)، إذ فصلوا مباحث أُصول التفسير ومصادره عن قواعد التفسير، ولكنّهم لم يدوّنوا قواعد التفسير فيه وفق نهج أو نظم خاص، بل ذكروا سبع قواعد تفسيريّة بجانب بعض هي: قاعدة اعتماد القرآءة الصحيحة؛ اعتماد معنى الكلمات في زمن النزول؛ اعتماد قواعد اللُغة العربيّة؛ اعتماد القرائن الصارفة والمعيّنة والاتصال اللفظي وغيره وعدم الاتصال والظروف المحيطة بالآيات في زمن النزول؛ اعتماد أصل حُجيّة القاعدة؛ اعتماد أنواع الدلالات؛ الاحتراز من ذكر بطون الآيات.

خامساً: محمّد علي رضائي الأصفهاني في كتاب: «منطق تفسير القرآن»، حيث فرّق بين الأُصول والقواعد، وقسّم القواعد التفسيريّة إلى قسمين رئيسيين هما: القواعد المشتركة، وتضم: القواعد المشتركة بين التفسير وأُصول الفقه مثل: قواعد الأمر والنهي والمجمل والمبيّن والمفهوم والمنطوق و...، والقواعد المشتركة بين التفسير والمنطق مثل: قاعدة لزوم التوجه لدلالات الكلام، والقواعد الأدبيّة كقاعدة الحصر والإظهار والإضمار والتقديم والتأخير و...، والقواعد المشتركة بين التفسير واللُغة كقاعدة حُجيّة قول اللغوي في فهم معاني مفردات القرآن ولزوم التوجه للوجوه والنظائر و...، قاعدة معرفة الخطاب القرآني، والقواعد المشتركة بين التفسير وعلم المعاني والبيان، والقواعد المشتركة بين التفسير وعلم القرآءة، والقواعد

المشتركة بين التفسير وعلوم القرآن كقاعدة النسخ وإرجاع المتشابهات إلى المحكمات و...

والقواعد المختصة بالتفسير وقيّدها بقيد (غالباً)، وتضم ست عشرة قاعدة منها: السياق، الجري والإنطباق، حرمة استخدام الإسرائيليات، وجود الترابط في القرآن، تأثير أهداف القرآن والسور في التفسير، و... .

ويلحظ في القسم الأوّل: إنّ محمّد علي رضائي الأصفهاني قد صنّف القواعد المشتركة تحت عناوين كُلِّية أشار كُل منها إلى جهة.

سادساً: محمّد فاكر الميبدي في كتاب: «قواعد التفسير لدى الشيعة والسُنّة»، إذ ميّز فيه بين القواعد والأُصول، ووزّع القواعد على بابين:

الأوَّل: باب القواعد العامّة، وشملت: القواعد المشتركة بين العلوم وضمت قواعد عديدة منها: العناية بلغة العرب، مراعاة النحو والإعراب، العناية بالتمييز بين الحقيقة والمجاز، العناية بالإشتراك في الألفاظ، و...، والقواعد المشتركة بين التفسير وعلم الفقة ومثالها: قاعدة حُجيّة الظواهر، وقاعدة اعتبار الأُصول اللفظية، وقاعدة العناية بالعام والخاص، وقاعدة ضرورة تبيين مجمل القرآن بمبيّنه، و... .

الثاني: القواعد الخاصة بالتفسير، وقد قسّمها بدورها إلى قسمين: أحدهما: القواعد الخاصة بالتفسير مطلقاً مثل: قاعدة حُجيّة ظواهر القرآن، وقاعدة اعتبار السياق، وقاعدة الجري والانطباق، و...، والآخر: القواعد الخاصة بالتفسير الموضوعي، ومثالها: قاعدة الإلتزام التام بعناصر القرآن الكريم، وقاعدة العناية بالتفسير التجزيئي والموضعي، العناية بالتفسير

التحليلي و... .

وقد قُسِّمت قواعد التفسير أيضاً بناءاً على المصادر التي استخرجت منها، والعلوم التي استخدمت فيها.

نتيجة المبحث:

يلحظ ممَّا تقدم أنّ التقسيمات المشار إليها أعلاه، هي تقسيمات منطقيّة وليست طبيعيّة، لذا كان لكُل واحد منها مقسم خاص به، فمنها من قسّم بناءاً على (المصادر التي استخرجت منها قواعد التفسير)، ومنها من قسّم بناءاً على: (الموضوع الّذي اختصت به القاعدة التفسيريّة)، ومنها من قسّم بناءاً على: (العموم والخصوص في مجال الاستخدام).

والملاحظ في هذه الثلاثة، أن جهة كُل منها متباينة مع الأُخرى وغير متداخلة مع بعضها البعض، لذا يمكن للباحث في قواعد التفسير تعيين الجهة المناسبة في التقسيم بحسب غرضه.

وقد أشرنا سابقاً إنّ الغرض في عقد هذا الفصل هو بيان قواعد التفسير الموضوعي، لذا فإنّ غرضنا يتناسب والتقسيم على مقسم العام والخاص، أي: إن أقسام قواعد التفسير الموضوعي هي:

أوَّلاً: القواعد العامّة للتفسير الموضوعي.

ثانياً: القواعد المختصة بالتفسير الموضوعي.

المبحث الثالث: القواعد العامّة للتفسير الموضوعي

نظراً لأنّ النسبة بين التفسير العام والتفسير الموضوعي هي نسبة العموم والخصوص المطلق، فإنّ القواعد العامّة له هي نفس القواعد العامّة للتفسير العام، ونظراً لوسعة البحث في هذه القواعد سوف نقتصر على ذكر نماذج منها تحاشياً للاطناب والخروج الموضوعي، والنماذج هي:

١- قاعدة تفسير الآيات القرآنيّة على أساس الأُسلوب التفسيري الصحيح، ولزوم رعاية أُصول المحاورات العرفيّة والعقلائيّة في تفسيرها

توضيح القاعدة

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ..﴾[1]، أي: بلغتهم، بحيث لا يحتاجون إلى من يترجمها لهم[2]، بل يفهمونها مباشرة، وعليه فإنّ لغة القرآن الكريم لا تختلف مع لغة العرب التي نزل بها، وجرت بنفس مجراها، إلاّ أنّها لا تطابقها في كُل شيء، إذ بيّن الطباطبائي في تفسيره

(١) سورة إبراهيم: ٤.

(٢) انظر: الطوسي، محمّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج٦، ص: ٢٧٣.

بأنّ[1] : القرآن وإن لم يسلك في بلاغته مسلكاً بدعاً، ولم يتخذ نهجاً مخترعاً جديداً في استعمال الألفاظ وتركيب الجمل ووضع الكلمات بإزاء معانيها، بل جرى في ذلك مجرى غيره من الكلام.

الفارق بين كلام القرآن وكلام العرب

إنّ الفارق بين كلام القرآن الكريم وكلام العرب، هو أنّ القرآن يمتاز بـ: دقته ومتانته وبلاغته وإحاطته بالمعاني عامِّها وخاصِّها ومطلقِها ومقيَّدِها و...، ولكن معاشر المتكلِّمين من البليغ وغيره، إنَّما يبنون الكلام على أساس ما عقلوه من المعاني، والمُدرك منهم للمعاني، إنَّما يدرك بفهم مكتسب من الحياة الاجتماعيّة التي اختلقت بالفطرة الإنسانيّة الاجتماعيّة، والتي من شأنها الحكم بالقياس، وعند ذلك افتتح باب المسامحة والمساهلة على أذهانّهم فأخذوا الكثير مكان الجميع، والغالب موضع الدائم، وفرضوا كُل أمر قياسي أمراً مطلقاً، وأَلحقوا كُل نادر بالمعدوم، وأجروا كُل أمر يسير مجرى ما ليس بموجود فيقول قائلهم: كذا حسن أو قبيح، وكذا محبوب أو مبغوض، وكذا محمود أو مذموم، وكذا نافع أو ضار، وفلان خير أو شر، إلى غير ذلك، وإنَّما هو كذلك في بعض حالاته وعلى بعض التقادير، وعند بعض النَّاس، وبالقياس إلى بعض الأشياء لا مطلقاً، لكن القائل إنَّما يُلحق بعض التقادير المخالفة بالعدم تسامحاً في إدراكه وحكمه، هذا فيما أدركه من جهات الواقع الخارج، وأمّا ما يغفل عنه لمحدوديّة إدراكه من جهات الكون المربوطة فهو أكثر، فما يُخبر به الإنسان ويحدثه عن الخارج وخيلت له الإحاطة بالواقع إدراكاً وكشفاً فإنَّما هو مبني على التسامح في بعض الجهات، والجهل في بعض آخر، وهو

(١) راجع: الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج٥، ص: ٣٨١-٣٨٢.

من الهزل إن قدرنا على أن نحيط بالواقع ثم نطبق كلامه عليه، فهذا حال كلام الإنسان المبني على ما يحصل عنده من العلم، وأمّا كلام الله سبحانه فمن الواجب أن نُجلَّه عن هذه النقيصة، وهو المحيط بكُل شيء علماً، وقد قال تعالى في صفة كلامه: ﴿أنّه لَقَوْلٌ فَصْلٌ * وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾[1]، لذا قيل في القرآن الكريم: أنّه عربي اللسان لا الصفات[2].

وقد كان السبب في نزول القرآن بلغة القوم هو البيان لهم بواسطتها غير منحصر فيها[3]، ومن أجله جُعل عربياً؛ ومنه يظهر أنّ التعامل مع القرآن الكريم في فهم نصّه المقدّس هو نفس التعامل مع اللُغة العربيّة في فهم نصوصها.

ومنه قيل: إنّ أُسلوب فهم القرآن الكريم ذات الطريقة العقلائيّة والعرفيّة في فهم النصوص العربيّة، إذ لم يخص القرآن الكريم نفسه بطريقة خاصة في فهم نصوصه، كما أنّه لم يمنع من استخدام الطريقة العقلائيّة والعرفيّة في فهمه[4].

واستناداً لهذا، فإن طريقة فهم وتفسير أيات القرآن الكريم تجري وفق أُصول المحاورات العرفيّة والعقلائيّة، كالعام والخاص، والمطلق والمقيّد، وحُجيّة ظواهر القرآن، و... ممَّا يُبحث في علم أُصول الفقه.

ويبدوا ممَّا تقدم أنّ الأُسلوب الصحيح لتفسير القرآن الكريم، هو

---

(١) سورة الطارق: ١٣-١٤.

(٢) راجع: فاكر الميبُدي، محمّد، قواعد التفسير لدى الشيعة والسُنّة، ص: ٦٠.

(٣) انظر: الصادقي، محمّد، الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج١٦، ص: ١٤.

(٤) انظر: رضائي أصفهاني، محمّد علي، منطق تفسير قرآن، ج١، ص: ٥٠٤.

الأُسلوب القائم على الفهم الـصحيح، وهـو لا يتـأتى إلّـا وفـق الاسـتناد إلى القواعد الصحيحة والأدلّة المعتبرة سواء كانت نقليّة أو عقليّة، لذا كـان لزامّـا على المفسِّر أن يجتنب في التفسير بعض أَساليب التفسير التي لا تقوم على دليل أصلاً، أو تقوم على دليل غير معتبر كبعض طرق التفسير الإشـاري والعلمـي والتفسير بالرأي[١]، وقد قال رسول الله محمّد صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم في ذلـك أحاديـث عديـدة منـها: «... مَـن تكلَّـم في القـرآن برأيـه فأصـاب فقـد أخطأ»[٢]، ويبدو من خلال هذا الحديث وأمثاله أنّ الأُسلوب الصحيح لتفسير القرآن الكريم له موضوعيّة، بمعنى: إنّ المفسِّر لو استخدم الأُسـلوب الخـاطيء في التفـسير ووصـل إلى نتـائج صـحيحة فيـه، فهـو مـع ذلـك غـير معتـبر؛ لأنّ الأُسلوب خاطيء، وقد أشار الطباطبائي إلى ذلك في ذيل الرواية الآنفة الذكر أعلاه بقوله: «فالتفسير بالرأي المنهي عنه أمر راجـع إلى طريـق الكـشف دون المكشوف، وبعبارة أخرى إنَّما نُهى عن تفهـم كلامـه علـى نحـو مـا يـتفهم بـه كلام غيره وإن كان هذا النحو من التفهم ربما صادف الواقـع، والـدليل علـى ذلك قوله: مَن تكلَّم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ- فـإنّ الحكـم بالخطـأ مع فرض الإصابة- ليس إلاّ لكون الخطأ في الطريق»[٣].

ومنه تتبيّن ضرورة رعاية أُصول المحاورات العرفيّـة والعقلائيّـة في تفـسير الآيات القرآنيّة؛ لأنّ مع عدم أخذها بنظر الاعتبار تنتفـي صـحة التفـسير وإن كانت نتائجه صحيحة لقيامها على أساس خاطيء.

---

(١) رضائي الأصفهاني، محمّد علي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيريّة، ص: ٢٦.

(٢) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٨٩، ص: ١١١، ح٢٠.

(٣) الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج٣، ص: ٧٦.

مثال تطبيقي

قال الله تعالى في كتابه المجيد: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ...﴾[1].

وقال: ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ...﴾[2].

والمراد بتحريم الدم الإطلاق في الحُرمة كما هو ظاهر من الآية[3]، إلا أنّ هذا الإطلاق مقيّد بالآية الثانية التي ذكرت أنّ المحرّم من الدم هو ماخرج من بدن الحيوان لا مطلق الدم منها، إذ يبقى جزء منه في الذبيحة بعد الذبح[4]، وهو ما عنته الآية بلفظ (المسفوح) في قوله: ﴿... أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا...﴾.

فتلاحظ أنّ الوصول إلى هذه النتيجة الصحيحة كان بفضل استخدام الأُسلوب الصحيح في التفسير، ورعاية أُصول المحاورات العرفيّة والعقلائيّة، والتي من خصوصياتها أن تستخدم الإطلاق والتقييد في كلامها.

---

(١) سورة البقرة: ١٧٣.

(٢) سورة الأنعام: ١٤٥.

(٣) راجع: الطبري، محمّد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، ج٢، ص: ٥٠؛ الطوسي، محمّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج٢، ص: ٨٤؛ الراوندي، قطب الدين، فقه القرآن في شرح آيات الأحكام، ج٢، ص: ٢٥٨؛ القرطبي، محمّد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج٢، ص: ٢١٦.

(٤) راجع: الثعالبي، عبد الرحمن بن محمّد، جواهر الحسان في تفسير القرآن، ج١، ص: ٣٥٨؛ رضائي أصفهاني، محمّد علي، منطق تفسير قرآن، ج١، ص: ٢٨٦.

٢- قاعدة الجري والتطبيق

توضيح القاعدة

ذكر فاكر الميبدي: «إنّ الجري في مصطلح المفسِّرين عبارة عن انطباق ألفاظ القرآن وأياته على غير ما نزل فيه»[(١)]، وأمّا التطبيق فهو: انطباق الآية على فرد خاص هو الأتم من بين مصاديق الآية القرآنيّة المعيّنة[(٢)]؛ لذا فإنّ المقصود بقاعدة الجري والتطبيق هو: العناية بإمكان الوصول إلى ما خفي من المعاني أو ما خفي من المصاديق بعد التوجّه إلى المعاني الظاهرة الحاصلة من الألفاظ المفردة وتراكيبها، ومن ثم بيان بعض التأويلات ورفض بعضها.

وقد نشأ هذا الاصطلاح من استعمال مادّة: (الجري) فيما ورد من النصوص عن أهل البيت عليهم السلام، كقول الإمام الباقر عليه السلام: **«ولكن القرآن يجري أوّله على آخره ما دامت السماوات والأرض»**[(٣)]، وقوله عليه السلام: **«ظهره تنزيله وبطنه تأويله، منه ما مضى ومنه ما لم يكن بَعْدُ يجري كما يجري الشمس والقمر، كُل ما جاءَ منه شيءٌ وقع»**[(٤)].

والجدير ذكره أنّ هذا المصطلح موجود في تفاسير أبناء العامّة أيضاً، مثل: ما ذكره السيوطي في تفسير قوله تعالى: ﴿الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[(٥)] قال: «وأخرج عبد بن حميد وابن جريج وابن أبي حاتم وابن عدى وابن عساكر من

---

(١) فاكر الميبُدي، محمّد، قواعد التفسير لدى الشيعة والسُنّة، ص: ٣٠١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الفيض الكاشاني، ملّا محسن، تفسير الصافي، ج ١، ص: ٢٤.

(٤) البحراني، سيّد هاشم، البرهان في تفسير القرآن، ج١، ص: ٤٦، ح١٠.

(٥) سورة الحمد: ٦.

طريق عاصم الأحول عن أبي العالية في قوله: ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: هو رسول الله صلّى الله عليه وسلم وصاحباه من بعده، قال: فذكرنا ذلك للحسن فقال: صدق أبو العالية ونصح»[١].

وقد قسّم السيّفي المازندراني هذه القاعدة إلى قسمين: أحدهما عام، وهو: «جريان كبريات الآيات القرآنيّة وسريان المفاهيم الكُلِّية المستفادة منها في جميع مصاديقها العرضيّة المتحققة في زمان الوحي والطوليّة الحادثة في عمود الزمان، وشمول إطلاقاها وعمومالها لتمام الأفراد المستحدثة في خلال القرون وطي الأعصار إلى يوم القيامة، وعدم اختصاص مداليلها الكُلِّية بموارد وأسباب نزولها ولا بزمان نزول الوحي وعصر النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والصحابي»[٢]، وأضاف على قوله: «هذا، مضافاً إلى ما علمناه بضرورة الشرع من كون الإسلام آخر الأديان، وأنّ القرآن آخر الكتب السماوية، وأنّ نبيّنا محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النَّبيِّين؛ فإذا كان القرآن يجب الأخذ والعمل به على النَّاس إلى يوم القيامة، فلابدّ من دوام ندائه وبقاء أحكامه إلى يوم القيامة وعدم انقطاعه بحوادث الدهر ولا تغيّر المضامين المستفادة منها بموت الأفراد وانقراض الأجيال، وهذه الخصوصية لا تلائم إلّا قاعدة الجري بهذا المعنى العام»[٣].

وبيّن السيّفي المازندراني: إنّ للقاعدة بمعناها العام خصائصاً عديدة، وهي:

(١) السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور في تفسير المأثور، ج١، ص: ١٥.

(٢) السيفي المازندراني، علي أكبر، دروس تمهيديّة في القواعد التفسيريّة، ج١، ص: ٢٠٩.

(٣) انظر: المصدر نفسه.

١ـ ابتناءُ هذه القاعدة على كون العبرة في تفسير الآيات القرآنيّة بعموم ألفاظها وشمول كبريات مضامينها الكُلِّية، لا بخصوص أسبابها ولا بخصوصية أهل زمان نزولها.

٢ـ إنّ الجري بهذا المعنى داخل في مجرى أصالة الظهور، وإنّ المعنى الظاهر من الكلام أو المتن في مجرى هذه القاعدة، هو الطبيعي القابل للصدق على كثيرين.

٣ـ إنّ مرجع البحث في قاعدة الجري بهذا المعنى العام – يراجع إلى الأُصول اللفظية – إلى ما سبق آنفاً من البحث عن حُجيّة ظواهر القرآن، ولذلك تدخل في القواعد التفسيريّة العامّة.

والآخر خاص، وهو: «سريان بطن القرآن وجريان المعنى المراد من متشابهات الآيات في مصاديقها الطوليّة الحادثة بعد عصر الوحي في طي القرون والأعصار، وهذا المعنى إنَّما يُستكشف ببيان المعصومين في النصوص المفسَّرة الواردة عنهم عليهم السلام، ويطلق عليه التأويل وبطن القرآن في قبال التنزيل وظهر القرآن.

وقاعدة الجري بهذا المعنى تختص بمتشابهات الآيات وما استفيد تأويله ببيان المعصومين عليهم السلام من الآيات القرآنيّة الظاهرة في مضامينها.

وهي في الحقيقة مبنى التأويل المقابل للتنزيل المشار إليه في النصوص، ومرجعه إلى تطبيق الإمام معنى بطن الآيات المتشابهة المعلوم له عليه السلام على مصاديقه الطوليّة»[1].

(١) دروس تمهيديّة في القواعد التفسيريّة، مصدر سابق، ج١، ص: ٢١١.

وقال إنّ تعريف الجري بناءاً على ذلك هو: «جريان تأويل الآيات القرآنيّة ببيان الأئمّة المعصومين عليهم السلام»[١].

وقد شُخِّصت لهذه القاعدة خصوصيتان[٢]:

١ـ اختصاص العلم بمجاريها بالمعصومين عليهم السلام.

٢ـ إنّ كشف المعاني المرادة من الآيات المتشابهة منوط بإعمال قاعدة الجري بالمعنى الثاني ابتداءً من جانب الإمام عليه السلام بتأويل متشابه الآيات؛ لأنّه ما دام لم نعلم تأويلها الوارد في النصوص بلسان الإمام المعصوم عليه السلام، لا نتمكّن من استكشاف مراد الله تعالى من هذه الآيات.

وقد استُند في اعتبار هذه القاعدة إلى الروايات الشريفة عن أهل البيت عليهم السلام منها على سبيل المثال لا الحصر:

ما رُوي: «بإسناده عن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الرواية ما في القرآن آية إلّا ولها ظهر وبطن وما فيه حرف إلّا وله حد، ولكُل حد مطّلَع، ما يعني بقوله لها ظهر وبطن، قال: ظهره تنزيله وبطنه تأويله منه ما مضى ومنه ما لم يكن بعد يجري كما يجري الشمس والقمر كُلَّما جاء منه شيء وقع، قال اللّه تعالى: ﴿وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ نحن نعلمه»[٣].

فإنّ المقصود من الجريان في قوله عليه السلام: يجري كما تجري

(١) دروس تمهيديّة في القواعد التفسيريّة، مصدر سابق.

(٢) راجع، دروس تمهيديّة في القواعد التفسيريّة، ص: ٢١٢.

(٣) الفيض الكاشاني، ملا محسن، تفسير الصافي، ج١، ص: ٢٩.

الشمس والقمر، هو جريان بطن القرآن، بمعنى سريان المعنى الباطن لا الظاهر.

أمّا مقصوده عليه السلام من التأويل هو: تطبيق المعنى الباطن الكُلِّي المختص علمه بالإمام على مصاديقه الطوليّة، ويؤيّد ذلك قول الإمام عليه السلام في ذيل الحديث مستشهداً بالآية النافية للعلم بالتأويل عن غير الراسخين في العلم.

وما ورد في النصوص الدالّة على أنّ النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كما يقاتل على التنزيل يقاتل علي عليه السلام على التأويل؛ حيث يعلم منه اختصاص التنزيل بزمان النَّبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

وخلاصة القول:

إنّ قاعدة الجري والتطبيق من قواعد التفسير وتفيد نصوصها فيما يلي:

أوَّلاً: اشتمال الآيات القرآنيّة على كبريات عامّة ومضامين كُلِّية صادقة على مصاديقها العرضيّة والطوليّة، وأنّ هذه المفاهيم العامّة القرآنيّة كما صدقت على مصاديقها العرضيّة في زمان الوحي وعصر النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، كذلك تصدق على مصاديقها الطوليّة الحادثة في طي القرون والأعصار المتأخرة إلى يوم القيامة.

ثانياً: إنّ التأويل واستكشاف مراد الله تعالى يجري وفق المنهج العقلي وليس أمراً جُزافياً؛ لأنّه يرجع إلى تطبيق المعنى المراد من الآية ومضمونها الكُلِّي المعلوم على مصاديقه من جانب الإمام المعصوم عليه السلام.

ثالثاً: تمكين المفسِّر من استكشاف المعنى المراد من الآيات المتشابهة

ونظائرها، وتفسيرها على ضوء التأويلات المأثورة بتنقيح الملاك القطعي، فينفتح بذلك لنا باب التفسير الأثري، المُلهَم من علوم أهل البيت عليهم السلام وتفسيرهم.

مثال تطبيقي

تجري هذه القاعدة في أيات كثيرة من القرآن الكريم نذكر نموذجاً منها:

قوله تعالى: ﴿... إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ﴾[1]، إذ ورد في النصوص ما يدل على تأويل قوله: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ﴾ بعلي بن أبي طالب عليه السلام وأولاده المعصومين عليهم السلام، ويفهم من هذه النصوص أنّ المعنى المراد من الآية، أنّ لكُل قوم إماماً وحجّة من الله يهديهم، لا كُل من تصدى لهداية النَّاس.

وإليك بعض هذه النصوص:

١ ـ عن عبد الرحيم القصير قال: كنت يوماً من الأيام عند أبي جعفر عليه السلام فقال: «يا عبد الرحيم! قلت: لبيك. قال: قول الله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ﴾ إذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنا المنذر وعلى الهادي ومن الهادي اليوم؟ قال: فمكثت طويلاً ثم رفعت رأسى فقلت: جعلت فداك هي فيكم توارثوها رجل فرجل حتى انتهت إليك، فأنت جعلت فداك الهادي. قال: صدقت يا عبد الرحيم إنّ القرآن حي لا يموت، والآية حية لا تموت»[2].

---

(١) سورة الرعد: ٧.

(٢) العروسي الحويزي، عبد على بن جمعه، تفسير نور الثقلين، ج٢، ص: ٤٨٤، ح٢٦.

٢- ما رواه حنان بن سدير عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: «سمعته يقول في قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ﴾ فقال: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنذر وعلى الهادي، وكُل إمام هاد للقرن الّذي هو فيه»[1].

٣- مارُوي عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قلت له: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ﴾؟

فقال عليه السلام: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنذر وعليٌ الهادي، يا أبا محمّد فهل مِنّا هاد اليوم؟

قلت: بلى جُعلت فداك ما زال فيكم هاد من بعد هاد حتى رفعت إليك.

فقال عليه السلام: رحمك الله يا أبا محمّد. ولو كانت إذا نزلت آية على رجل ثمّ مات ذلك الرجل ماتت الآية، مات الكتاب، ولكنّه حيٌ جرى فيمن بقي كما جرى فيمن مضى»[2].

ويظهر من هذه النصوص وأشباهها أنّ المستفاد منها في الحقيقة من قبيل التأويل المقابل للتنزيل؛ أي جري المضمون الكُلِّي المستفاد من الآية على مصاديقه الطوليّة الحادثة في عمود الزمان طي القرون وخلال الأعصار، وهو من قبيل الجري بمعناه الخاص.

---

(١) المصدر نفسه، ح٢٨.

(٢) الصفّار، محمّد بن الحسن، بصائر الدرجات الكُبرى، ص: ٥١، ح ٩، تحقيق: الميرزا محسن كوچه باغي.

٣- قاعدة حرمة التفسير بالرأي

توضيح القاعدة

الرأي في اللُغة: «أصل يدل على نظر وإبصار بعين أو بصيرة. فالرأي: ما يراه الإنسان في الأمر، وجمعه الآراء»[(١)]، الرأي: «رأي القلب، ويجمع على الآراء»[(٢)].

وأمّا اصطلاحاً ففيه آراء منها:

قول الخوئي: «... إنّ معنى التفسير بالرأي: الاستقلال في الفتوى من غير مراجعة الأئمّة مع أنّهم قرناء الكتاب في وجوب التمسّك به ولزوم الانتهاء إليهم»[(٣)].

والطباطبائيّ في شأن التفسير بالرأي استناداً للحديث النبويّ القائل: «من فسّر القرآن برأيه، فليتبوّأ مقعده من النار»[(٤)]، ونظيره في سُنن الترمذي بلفظ: «من قال...»[(٥)]، والحديث القائل: «مَن تكلَّم في القرآن برأيه فأصاب، فقد أخطأ»[(٦)]، وهو: «إنّ الرأي: هو الاعتقاد عن اجتهاد، وربّما أُطلق على القول عن الهوى والاستحسان؛ وإضافة الرأي إلى الضمير (برأيه)

(١) ابن فارس، أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللُغة، ص: ٤١٥.

(٢) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج٨، ص: ٣٠٦.

(٣) الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، ص: ٢٨٧.

(٤) الفيض الكاشاني، ملّا محسن، تفسير الصافي، ج١، ص: ٣٢.

(٥) الترمذي، محمّد بن عيسى، سُنن الترمذي، ص: ٨٣٧، ح٢٩٥٩، ضبط: صدقي جميل العطار.

(٦) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٨٩، ص: ١١١، ح٢٠.

تفيد أنّ المراد من النهي ليس الاجتهاد المطلق في تفسير القرآن حتى يكون بالملازمة أمراً بالاتّباع والاقتصار على ما ورد من الروايات في تفسير الآيات، على أنّه ينافي الآيات الكثيرة الدالّة على كون القرآن عربيّاً مبيناً والآمرةَ بالتدبّر فيه؛ وإنّ الإضافة تفيد أيضاً معنى الاختصاص والانفراد والاستقلال: بأن يستقل المفسِّر في تفسير القرآن بما عنده من الأسباب في فهم الكلام العربي، فيقيس كلامه تعالى بكلام النَّاس؛ فإنّ قطعة من الكلام من أي متكلِّم إذا وردت علينا لم نشكّ في استخدام القواعد المعمولة في كشف المراد الكلامي، ونحكم بذلك: أنّه أراد كذا، كما نجري عليه في الإقرارات والشهادات وغيرهما، والبيان القرآنيّ غير جار هذا المجرى، بل هو كلام موصول بعضه ببعض في عين أنّه مفصول»[1] كما قاله علي عليه السلام: «... وينطق بعضه ببعض. ويشهد بعضه على بعض...»[2]. فلا يكفي ما يتحصّل من آية واحدة بإعمال القواعد المقرّرة في العلوم المربوطة في انكشاف المعنى المراد منها دون أن يتعاهد جميع الآيات المناسبة لها، ويجتهد في التدبّر فيها، فالتفسير بالرأي المنهي عنه راجع إلى طريق الكشف دون المكشوف، أي: نهى النَّبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم عن تفهّم كلامه على نحو ما يتفهّم به كلام غيره، وإن كان هذا النحو من التفهّم ربّما صادف الواقع.

وممَّا يدل على أنّ العنصر الأصلي في التفسير بالرأي المنهي عنه هو عدم صحّة طريق الوصول إلى المعنى كما يلوح من كلام الإمام جعفر بن محمّد

---

(١) راجع: الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج٣، ص: ٧٦.

(٢) الشريف الرضي، محمّد بن الحسين بن موسى، نهج البلاغة، ج٢، خ١٣٣، ص: ٣٠٨، شرح: محمّد عبده.

الصادق عليه السلام: «مَن فسّر القرآن برأيه، إن أصاب لم يؤجر، وإن أخطأ فهو أبعد من السماء»(١).

وقاله جوادي الآملي في بيان انتظار المفسِّر من المتن: إنّ المفسِّر بعد عرض سؤاله على المتن وانتظار جوابه يجب عليه الصَمْت، ولا يجوز له النطق؛ إذ النطق هنا هو وظيفة المتن لا المفسِّر، وإذا نطق المفسِّر كان نطقه تفسيراً بالرأي(٢).

وقد ذكر معرفة في هذا المضمار أمرين:

الأوّل: إن يعمد المفسِّر إلى آية قرآنيّة، فيحاول تطبيقها على ما قصده من رأي أو عقيدة أو مذهب أو مسلك؛ تبريراً لما اختاره في هذا السبيل، فهو قد جعل القرآن وسيلة لإنجاح مقصوده بالذات، ولم يستهدف تفسير القرآن في شيء.

الثاني: الاستبداد بالرأي في تفسير القرآن، محايداً طريقة العقلاء في فهم معاني الكلام، لاسيّما كلامه تعالى: فإنّ للوصول إلى مراده تعالى من كلامه وسائلاً وطرقاً، منها: مراجعة كلام السلف والوقوف على الآثار الواردة في الآيات وملاحظة أسباب النزول وغير ذلك من شرائط يجب توفّرها في مفسّر القرآن الكريم(٣).

---

(١) العيّاشي، محمّد بن مسعود، تفسير العيّاشي، ج١، ص: ١٧؛ الحر العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة، ج١١، ب١٣، ح ٦٦، ص: ١١، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التُراث.

(٢) جوادي آمُلي، عبد الله، تسنيم تفسير قرآن كريم: (فارسي)، وترجمته: (التسنيم في تفسير القرآن الكريم)، ج١، ص: ٢٢٥.

(٣) معرفة، محمّد هادي، التفسير والمفسِّرون في ثوبه القشيب، ج١، ص: ٦٩.

وممَّا تقدم يتبيّن أنّ: كُل تفسير لا يستند إلى الأدلّة والقرائن المعتبرة في تفسير القرآن الكريم هو تفسير بالرأي، وكُل تفسير حمّل فيه المفسِّر رأيه على القرآن الكريم فهو تفسير بالرأي أيضاً، وكذا كُل تفسير جرى على يد غير المتخصص.

وقد قال رضائي الأصفهاني: «وهذا العمل بالإضافة إلى أنّه محرّم في نظر الشارع فهو مُدان عند العقلاء أيضاً»(١).

إذن يظهر ممَّا تقدم أنّ المقصود من قاعدة حرمة التفسير بالرأي هو: العناية بكشف مراد الله تعالى من القرآن بالطرق الصحيحة والمعتبرة، ولزوم الحذر من تحكيم الرأي في القرآن.

مثال تطبيقي

فسّر الزمخشري قوله تعالى: ﴿... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(٢) قائلاً:

﴿... الْيَوْمَ...﴾ لم يرد به يوماً بعينه، وإنَّما أراد به الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الأزمنة الماضية والآتية، كقولك: كنت بالأمس شاباً وأنت اليوم أشيب، فلا تريد بالأمس اليوم الّذي قبل يومك ولا باليوم يومك.

﴿... أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾ كفيتكم أمر عدوِّكم، وجعلت اليد

---

(١) رضائي الأصفهاني، محمّد علي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيريّة للقرآن، ص: ٢٤٧.

(٢) سورة المائدة: ٣.

العُليا لكم، كما تقول الملوك: اليوم كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد، إذا كفوا من ينازعهم الملك ووصلوا إلى أغراضهم، أو أكملت لكم ما تحتاجون إليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على الشرائع وقوانين القياس وأُصول الاجتهاد.

﴿... وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي... ﴾ بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين، وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وأن من لم يحجّ معكم مشرك، ومن لم يطف بالبيت عريان. أو أتممت نعمتي عليكم بإكمال أمر الدين والشرائع كأنّه قال: اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي بذلك، لأنّه لا نعمة أتمّ من نعمة الإسلام[1].

وهذا الرأي التفسيري لا يستند إلى دليل، لأنّه لم يستدل بدليل سوى كلام العرب وقولهم، وهو ليس بحجة في تعيين المراد الإلهي، بل هو مساعد فيه، كما أنّ النصوص المتواترة عن أهل البيت عليهم السلام دلّت خلاف ذلك، إذ أكدت أنّ اليوم هو يوم الغدير وأنّ النعمة نعمة الولاية والإمامة وأنّ بالإمامة أكمل الله الإسلام ولا يرضى للمسلمين بالإسلام ديناً إلّا مع الاعتقاد بولاية علي ابن أبي طالب عليه السلام، وإمامة الأئمة المعصومين من ولده عليهم السلام [2].

وقد نقل العلماء نصوصاً كثيرة في الدلالة على ذلك منها:

- ما نُقل في تفسير العروسي الحويزي عن أُصول الكافي لمحمّد بن

---

(١) انظر: الزمخشري، محمود، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج١، ص: ٦٠٤-٦٠٥.

(٢) راجع: السيفي المازندراني، علي أكبر، دروس تمهيديّة في القواعد التفسيريّة، ج١، ص: ٢٤٩.

يعقوب الكُليني بسنده عن: «على بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن عمر بن أُذينة عن زرارة والفضيل بن يسار وبكير بن أعين ومحمّد بن مسلم وبريد بن معاوية قالوا جميعاً: قال أبو جعفر عليه السلام: وكان الفريضة تنزل بعد الفريضة الأُخرى، وكانت الولاية آخر الفرائض فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي...﴾، قال أبو جعفر عليه السلام: يقول الله عزّ وجلّ: لا أنزل عليكم بعد هذه فريضة، قد أكملت لكم الفرايض»[١].

- وما نُقل في تفسير على بن إبراهيم قال: «حدثني أبى عن صفوان بن يحيى عن العُلا عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: آخر فريضة أنزلها الله تعالى الولاية، ثم لم يُنزل بعدها فريضة، ثم نزّل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بكراع الغميم فأقامها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالجُحفة فلم يُنزل بعدها فريضة»[٢].

ولا يخفى أنّ تفسير الآية الشريفة بظاهر اللفظ من غير اعتناء بالنصوص المفسَّرة الكاشفة عن مراد الله تعالى في الآية القرآنية، هو من التفسير بالرأي.

---

(١) العروسي الحويزي، عبد على بن جمعه، تفسير نور الثقلين، ج١، ص: ٥٨٧، ح٢٥.

(٢) المصدر السابق، ص: ٥٨٨، ح٢٧.

المبحث الرابع: القواعد المختصة بالتفسير الموضوعي

ذكر بعض المختصّين[1] في التفسير اثنتي عشرة قاعدة للتفسير الموضوعي، شملت قواعد ذكرها بعض المختصّين في التفسير من أبناء العامّة[2]، وقد لوحظ أنّهم لم يذكروها على نحو الاستدلال بل اكتفوا بذكرها وتعدادها على نحو الذكر المجمل، إلّا أننا في هذا المبحث سنتناولها بشيء من التفصيل: (نص القاعدة؛ توضيح القاعدة؛ منشأ القاعدة؛ مثال تطبيقي)، وقد أُخرجت بعض القواعد التي ذُكرت في كتب المختصين من جملة القواعد المختصة بالتفسير الموضوعي، وكان سبب إخراجها أنّها: ليست من القواعد المختصة بالتفسير الموضوعي، بل هي من القواعد العامّة في التفسير.

وأمّا القواعد فهي:

(١) وهو: محمّد فاكر الميبُدي في كتاب: «قواعد التفسير لدى الشيعة والسُنّة».

(٢) وهو: عبد الستار فتح الله سعيد في كتاب: «المدخل إلى التفسير الموضوعي»، وتبعه صلاح عبد الفتاح الخالدي في كتاب: «التفسير الموضوعي بين النظريّة والتطبيق».

١- الالتزام التامّ بعناصر القرآن في مرحلة تحديد الموضوع

توضيح القاعدة

إنّ فهم المراد من هذه القاعدة يتوقف على فهم المراد بالعنصر فيها، لذا لابُدّ من بيان معناه أوّلاً، وهو:

ذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي أنّ العُنصُر هو: «أصل الحسب، جاء عن الفصحاء مضموم العين منصوب الصاد، ولا يجيء في كلامهم من الرباعي المنبسط على بناء فعلل إلاّ ما يكون ثانيه نوناً أو همزة: نحو الجندب والجؤذر، وجاء السودد كذلك كراهية أن يقولوا سودد فتلتقي الضمات مع الواو»[١].

ونُقل في لسان العرب أنّ: «العُنْصُر والعُنْصَر: الأَصل قال:

تَمَهْجَـــرُوا وأيمـــا تَمَهْجُـــرِ وهم بنو العَبْد اللئيمِ العُنْصرِ

ويقال: هو لَئِيم العُنْصُر والعُنْصَر أي الأَصل... قال: وقال أَبو عبيد هو العُنْصُر، بضم الصاد، الأَصْلُ»[٢].

وذكر الجرجاني أنّ العُنْصُر هو: «الأصل الّذي تتألَّف منه الأجسام المختلفة الطباع، وهي أربعة: الأرض، والماء، والنّار، والهواء»[٣].

وبالتحقيق في الأقوال يظهر أنّ (العُنْصُرَ) هو الأصل لغةً واصطلاحاً، أي: ما يفتقر إليه الموضوع في تكوينه، وتتكوّن منه الموضوعات المختلفة

---

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج٢، ص: ٣٣٧.

(٢) ابن منظور، جمال الدين محمّد بن مكرم، لسان العرب، ج٤، ص: ٦١١.

(٣) الشريف الجرجاني، علي بن محمّد بن علي، كتاب التعريفات، ص: ١١٢، رقم: ١٠١٩.

بذاتها أو بطبعها، وقد يكون هذا التكوين وهذا التشكُّل من عنصر واحد أو أكثر من ذلك.

ومنه يتبيّن أنّ المراد بالعناصر المُشار إليها في القاعدة أعلاه ليست سوى المُعطيات التفصيلية الجزئية التي تتكون من مجموعها وجهة النظر القرآنية، والمُعطيات الكُلّية التي تتكون منها النظريّة القرآنيّة في الموضوع المعيّن، وسوف يتضح ذلك جلياً حين ذكر المثال التطبيقي للقاعدة.

منشأ القاعدة

يقول الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[(١)]، وقد قيل بسبب ذلك أنّ النَّبيّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أوّل مفسِّر يشرح النص القرآني ويبيّن أهدافه[(٢)]، واستُفيد منها جواز تفسير القرآن الكريم[(٣)].

وقد صرّح الطبري في تفسيره بأنّ النَّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بيّن للنّاس القرآن ببيان الله تعالى له بوحيه إليه بواسطة جبرئيل عليه السلام، وذلك في نظره هو المعنى الّذي أمره الله ببيانه لهم في قوله تعالى: ﴿... وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[(٤)]، وتبعه في ذلك القرطبي بقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾، يعنى القرآن. ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ

---

(١) سورة النحل: ٤٤.

(٢) الحكيم، محمّد باقر، علوم القرآن، ص: ٩٦.

(٣) الطبري، محمّد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، ج١، ص: ٣٠.

(٤) راجع: المصدر السابق.

ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ : في هذا الكتاب من الأحكام والوعد والوعيد بقولك وفعلك، فالرسول صلّى الله عليه وسلم مبيّن عن الله عزّ وجلّ مراده ممَّا أجمله في كتابه من أحكام الصلاة والزكاة، وغير ذلك ممَّا لم يفصله»[١]، وذكر الطوسي في تفسيره أنّ تبيين مانزل إلى النَّاس من قبل النَّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، هو بيان ما «فيه من الأحكام والدلالة على توحيد اللَّه، لكي يتفكروا في ذلك ويعتبروا»[٢].

ويظهر من أقوال المفسِّرين أعلاه في الآية المباركة أنّهم فهموا ذلك من كلمة (لِتُبَيِّنَ)، حيث دلّ معناها اللُغوي على أصل واحد هو: «...بُعد الشيء وانكشافه...»[٣]، والاصطلاحي على إظهار المتكلِّم المراد للسامع، أي: بيان ما فيه من خفاء، وعليه فإنّ المبيِّن أثناء أداء وظيفته (التفسير) ليس له أن يضيف شيئاً من عنده على ما يكشفه ويُبيّنه من معنى خفي في الكلمة أو النص القرآني، وهو عمل المفسِّر التجزيئي والموضوعي على حد سواء.

ومنه تظهر ضرورة الالتزام بما استخرجه المفسِّر الموضوعي من عناصر بعد النظر في الآيات القرآنيّة الكريمة، وعدم إضافة أي عنصر خارجي لها من أي مصدر غير القرآن الكريم، إذ أنّ الإضافة من خارج القرآن الكريم تُخرج التفسير من حده المعتبر إلى غير المعتبر[٤].

---

(١) القرطبي، محمّد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج١١، ص: ١٠٩.

(٢) الطوسي، محمّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج٦، ص: ٣٨٥.

(٣) ابن فارس، أبي الحسين أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللُغة، ص: ١٤٧.

(٤) انظر: رضائي أصفهاني، محمّد علي، منطق تفسير قرآن، ج٢، ص: ١٧٤.

مثال تطبيقي

المقدمة

إنّ المثال التطبيقي الّذي نسوقه لهذه القاعدة، مُتعلّق بالالتزام بعناصر النظريّة القرآنيّة القائلة: (بأنّ كُل عمل يبدأ باسم الله تعالى)، وبيانه:

لقد علّمنا القرآن الكريم في بداية كُل سورة أن نبدأ عملنا ببسم الله الرحمن الرحيم، وأن نعطّر قلوبنا وأرواحنا بهذا الذكر الشريف؛ لأنّه ينوّر القلب ويهب الروح الصفاء والقوّة والنشاط، وبدء الأعمال بهذه الروح يوصل إلى الغاية بلا شك، وكُل جهاد وسعي يُبذل في هذا المنهج نتيجته النصر والفلاح.

الآيات:

١- { بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ } (١).

٢- { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَقَ } (٢).

٣- { وَقالَ ارْكَبُوا فيها بِسْمِ اللَّهِ مَجْراها ومُرْساها إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحيمٌ } (٣).

٤- { قالَتْ يا أيها الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتابٌ كَريمٌ * أنّه مِنْ سُلَيْمانَ وأنّه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ * أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وأْتُوني مُسْلِمينَ } (٤).

---

(١) هذه الآية موجوده في القرآن الكريم في بداية كُل سورة ما عدا سورة البراءة.

(٢) سورة العلق: ١.

(٣) سورة هود: ٤١.

(٤) سورة النمل: ٢٩-٣١.

عناصر الموضوع المستفادة من الآيات:

بعد التدقيق في الآيات وتفسيرها، يتبيّن:

أوّلاً: في الآية الأُولى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ التي تصدّرت كُل سور القرآن (ما عدا سورة براءة) يُعلِّم الباري تبارك وتعالى الإنسان أن يبدأ عمله باسم الله الرحمن الرحيم ويستعين به في أداء أعماله وتنفيذ خططه، وذلك لأنّه عندما يربط قوته الضعيفة بالبحار العظيمة للقدرة الإلهية، فإنّه يجد العظمة ويكتسب روحاً جديدة، وهذا كُلُّه رمز بسم الله في بداية كُل عمل، فإنّ أعمالنا مهما تكن فهي فانية زائلة وصغيرة محدودة، أمّا عندما نربطها بتلك الذات القدسية الباقية الخالدة التي لا حد لها ولا نهاية، فإنّها ستصطبغ بصبغته وتستلهم من عظمته وأزليته.

ثانياً: وفي الآية الثانية كلام عن خطاب جبرئيل الأمين في بداية البعثة للنَّبيّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم عندما احتضنه وضمّه وقال: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾.

وبهذا فقد بدأ جبرئيل منهاج رسالته عند بعثة النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم باسم الله.

ثالثاً: الآية الثالثة تحدّثت عن قصّة نوح عليه السلام عندما حلَّت لحظة الطوفان والعقاب الإلهي الشديد على قومه الكفرة، واستعدت السفينة للحركة وصدر الأمر لأصحاب النَّبيّ نوح عليه السلام الّذين لم يتجاوز عددهم الثمانين، بأن يركبوا في الفُلك قال: ﴿بسم الله مجريها ومرسها﴾.

رابعاً: في الآية الأخيرة كلام عن كتاب النبيّ سليمان عليه السلام الى

ملكة سبأ بعد أن أخبره طائر الهُدهُد عن قومها وعبادتهم للأصنام.

ومن مجموع ما تقدم يظهر الآتي:

إنّ الأعمال مهما كان لونها ونوعها وجهة صدورها، سواء كانت من الله سبحانه أو من الخلق أو من جبرئيل عليه السلام أو من الأنبياء عليهم السلام مثل نوح وسليمان عليه السلام، يجب أن تبدأ بـ: (بسم الله) وترتبط بالذات المقدَّسة وتستمد منها القوّة والعلم و....

وهكذا يتبيّن من هذا المثال أنّ الإلتزام بهذه القاعدة هو الّذي جعل من نتيجة الموضوع نتيجة قرآنية صرفة عكست مراد الله تعالى في كتابه المجيد.

٢- مراعاة خصائص القرآن الكريم

المقدمة

قبل الخوض في توضيح القاعدة لابُدّ لنا من معرفة المراد بالخصائص القرآنيّة، وقد قيل في معناها أنّها: (الصفات التي امتاز بها القرآن الكريم عن غيره من الكتب، وهي كثيرة)[1]، فمنها خصائص عامّة مثل: لا يمسه الاّ المطهرون، وتعهّد الله بحفظه من التحريف، وحفظه في الصدور، ومنها خاصة تعلَّق بعضها بشرفه وفضله ومكانته مثل: إنّه كتاب سماوي نازل من عند الله تبارك وتعالى، وإنّه محكم ومهيمن على بقية الكتب السماوية فضلاً عن غيرها، وإنّه كتاب هداية وشفاء، وإنّه شفيع لأهله يوم المحشر، وفيه العقائد والأخلاق والأحكام؛ ومنها ما تعلَّق بأُسلوبه ولُغته مثل: نظمه، تصويره للمعاني وتيسيرها للأفهام، لا يعلو عن أفهام العامّة ولا يقصر عن الخاصة؛

(١) انظر: الرومي، فهد بن عبد الرحمن، خصائص القرآن، ص: ١٣.

ومنها ما تعلّق بطبيعته من أنّه:

أوّلاً: أصل الأُصول جميعاً، أي: هو الحاكم على غيره، المهيمن على ما سبقه، وهو الحَكَم عند التنازع في القواعد والفروع.

ثانياً: غاية في الإحكام والإتقان؛ لأنّه معيار الأشياء وميزانها، فلابُد أن يكون مركّباً على أتمّ الوجوه وأوفاها في لفظه ونظمه ومعناه، فلا يوجد فيه التناقض أو التعارض.

ثالثاً: كتاب هداية كما نطقت بذلك نفس آياته، ومنها بقوله: ﴿...هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1]، و﴿... هُدًى لِّلنَّاسِ...﴾[2]، وغيرها من الآيات الشريفة.

رابعاً: جاء القرآن كي يُخرج النَّاس من الظلمات إلى النور، فلا يجوز أن يُجعل من نظريّات العلوم والمذاهب الفكريّة تفسيراً للقرآن؛ لاعتبار أنّ ثباتها نسبيّ إضافيّ، وثبات القرآن مطلق قطعي.

وغير ذلك من الخصائص التي يطول المقام لذكرها.

توضيح القاعدة

أمّا توضيح القاعدة فهو: إنّ المفسِّر له هدف أساس في تفسيره يجب عليه أن لايخرج عنه، وهو: شرح وبيان للمعاني والدلالات في الآيات القرآنية، واستظهار المقاصد والأهداف منها، والالتزام به من مقتضيات تفسير القرآن الكريم بجميع أنواعه، وتأمين ذلك يحتاج إلى دقة وعناية خاصة

(١) سورة البقرة: ٢.

(٢) سورة البقرة: ١٨٥.

وإخضاع النتائج للتقييم، وهو أمر يحتاج إلى ضابط وميزان، حيث توجد في هذا الشأن في التفسير أكثر من ضابطة وميزان منها: الخصائص الطبيعية للقرآن الكريم، ومنه لزم المفسِّر الموضوعي رعايتها تفادياً من الوقوع في المحذور وهو: مخالفة النتائج التفسيرية للتفسير الموضوعي للخصائص الناشئة من طبيعة القرآن الكريم[١].

وأمّا المُراد بالمراعاة فهي: «... مراعاة الانسان للأمر: مراقبته إلى ماذا يصير، وماذا منه يكون، ومنه: رَاعَيْتُ النجوم، قال تعالى: ﴿... لا تَقُولُوا: راعِنا وقُولُوا انْظُرْنا...﴾/ [البقرة/ ١٠٤]»[٢]، وهي: «تفقد للشيء في نفسه أو أحواله، والتحفظ والمحافظة والمراقبة: نظائر، ونقيض المراعاة الاغفال: ...»[٣]، والمراعاة على هذا: التفحّص والتفقّد للنتائج التفسيريّة لأن تكون دائماً صحيحة، ووزان صحتها أن تكون غير متعارضة مع طبيعة أهداف القرآن الكريم ومقاصده، ومنه لزم رعايتها في تفسير القرآن الكريم.

منشأ القاعدة

ومنشأ هذه القاعدة: (احتمال مخالفة نتائج التفسير الموضوعي لبعض أو كل خصائص القرآن الكريم، مما يتسبب في وقوع التضاد أو التعارض بين مراد الله تعالى المفهوم من مجموع آياته المباركة المتعلّقة بالموضوع الواحد، وبين الكتاب الحكيم الّذي ينطوي عليها، وهو أمر في غاية الأهمية لاستلزامه الإضلال للمسترشد به).

(١) راجع: الحسين، عبد القادر محمّد، معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني، ص: ٦٠-٦٩.

(٢) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمّد، المفردات في غريب القرآن، ص: ٣٥٧.

(٣) الطوسي، محمّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج١، ص: ٣٨٧.

مثال تطبيقي

يقول القرآن الكريم في شأن نهي الله تبارك وتعالى النَّبيّ آدم عليه السلام عن الاقتراب من الشجرة الوارد ذكرها في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنا يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْها رَغَداً حَيْثُ شِئْتُما وَلا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1]، وقوله: ﴿وَيا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُما وَلا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[2]، وقال أيضاً: أنّ النَّبيّ آدم عليه السلام ونتيجة لوسوسة الشيطان التي صُرِّح بها في قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطانُ قالَ يا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلى﴾[3]، قد اقترب منها وخالف النهي الإلهي الصادر إليه كما في قوله تعالى: ﴿فَأَكَلا مِنْها فَبَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما وَطَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى﴾[4]، وقد ترتّب على ذلك أثر هو: إقرار النَّبيّ آدم عليه السلام بالمعصية وظلم نفسه، لذا انبرى لطلب المغفرة كما في قوله تعالى: ﴿قالا رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَتَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾[5].

والمفسِّر الموضوعي إذا خرج بنتيجة أنَّ النَّبيّ آدم عليه السلام خالف النهي الإلهي مخالفة معصية لصريح قوله تعالى: ﴿... وَعَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى﴾، فإنّه

---

(١) سورة البقرة: ٣٣.

(٢) سورة الأعراف: ١٩.

(٣) سورة طه: ١٢٠.

(٤) سورة طه: ١٢١.

(٥) سورة الأعراف: ٢٣.

يلتزم بوقوع التناقض في القرآن الكريم، وهو مخالف لخصوصية أنّه كتاب هداية للبشرية، والّذي يقتضي أن يكون محكماً لا تناقض فيه؛ لأنّ التناقض لا يُعطي رؤية واضحة للمسترشد به مما يوجب إضلاله بداءً أو نتيجة، وبيان ذلك:

أنَّ القرآن الكريم قد ثَبَّت بناءاً على النتيجة المفترضة التي خرج بها المفسِّر الموضوعي، أنّ النَّبيّ آدم عليه السلام عاصي لله تبارك وتعالى والعياذ بالله، وهي نتيجة تستلزم الشرك بالله العظيم من قبله عليه السلام ؛ لأنّ المعصية مرتبة من مراتب الشرك[1]، ولازم ذلك أنّه عليه السلام ظالم لنفسه لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَيَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[2]، وأنّه ليس من الأخيار الّذين اصطفاهم الله عزّ وجلّ كما في قوله تعالى: ﴿ وأنّهمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الاخْيارِ ﴾[3]، أي: الّذين اختارهم الله للنبوة[4]؛ لقوله تعالى: ﴿ واذْكُرْ إِسْماعيلَ والْيَسَعَ وذَا الْكِفْلِ وكُلٌ مِنَ الاخْيارِ ﴾[5]، ونتيجة تلك الاستلزامات أنّه ليس من الأنبياء، وهي نتيجة تُخالف تقرير القرآن الكريم بأنّه عليه السلام من الأنبياء، وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ ونُوحاً وآلَ إِبْراهيمَ وآلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ ﴾[6]، إذ أنّ الاصطفاء- الإلهي يوجب عصمته التي توجب نبوته عليه السلام.

---

(١) القاضي، محمّد، العصمة، (تقرير بحث السيّد كمال الحيدري)، ص: ٤٧-٤٨.

(٢) سورة لقمان: ١٣.

(٣) سورة ص: ٤٧.

(٤) راجع: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٨، ص: ٧٥٠؛ السبزواري النجفي، محمّد بن حبيب الله، إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٤٦١.

(٥) سورة ص: ٤٨.

(٦) سورة آل عمران: ٣٣.

فالالتزام بالنتيجتين يوجب أن يكون في النبيّ آدم عليه السلام رأيان للقرآن الكريم، أحدهما: أنّه عاصي وظالم ومشرك، والآخر: أنّه من الأنبياء عليهم السلام المصطفين الأخيار -ولم يرجح القرآن الكريم أحد الرأيين على الآخر في موضع ما أو أشار إليهما- وترك الأمر والحال هذه يوجب حيرة وضلالة المسترشد به، وهو خلاف كون القرآن كتاب هداية كما في قوله تعالى: ﴿... شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ...﴾[1]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

كما أننا لو أخذنا بنظر الاعتبار محصل الرأيين القرآنيين في آدم عليه السلام: بأنّه نبي غير معصوم، فإنّ ذلك يستلزم إخراجه عليه السلام من جملة الأنبياء لقوله تعالى: ﴿يا أيها الّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[3]، حيث جاء في التفسير أنَّ الصادقين في هذه الآية هم الأنبياء المعصومين عليهم السلام [4]، وحيث أنّه غير معصوم فهو خارج عن مصاديق هذه الآية المباركة، وهو أمر مجانب للحقيقة والواقع ويستلزم الإضلال.

وعليه فإنَّ مراعاة هذه الخصيصة القرآنية والخصائص الأُخرى وأخذها بنظر الاعتبار في التفسير الموضوعي هو الّذي يكفل أن تكون نتيجته صحيحة ومعتبرة، لذا وجب رعايتها كقاعدة من قواعده عند ممارسته.

---

(١) سورة البقرة: ١٨٥.

(٢) سورة يونس: ٥٧.

(٣) سورة التوبة: ١١٩.

(٤) راجع: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٥، ص: ١٢٢.

٣- وجوب عدم الاكتفاء بجمع الآيات المشتملة على ألفاظ الموضوع فقط

توضيح القاعدة

غير خفي ممَّا مرَّ سابقاً، أنّ البحث عن الآيات القرآنيّة التي تدور حول موضوع واحد في القرآن الكريم، إنَّما يتم بأُسلوبين: أحدهما تتبع ألفاظ الموضوع في آيات القرآن الكريم، أي: الآيات التي اشتملت على لفظ الموضوع فقط، والآخر تتبع الآيات المُتعلِّقة بالموضوع، وبالنظر لطبيعة القرآن في عرض الموضوعات وجزئياتها وتفاصيلها(مفرّقة في عموم القرآن الكريم بزواياها وجوانبها المختلفة)، فإنّ الآيات المُتعلِّقة بالموضوع ليست فقط التي تحمل ألفاظ ذلك الموضوع، بل التي تحمل زواياه وجوانبه وجزئياته وتفاصيله أيضاً.

وحيث مرَّ القول سابقاً أنّ التفسير الموضوعي تفسير يجمع الآيات القرآنية المتعلّقة بالموضوع الواحد من عموم القرآن، أي: أنّه يستخرج جزئيات نتائجه من عموم القرآن الكريم ليشكل منها وجهة نظر قرآنية ينتج منها نظرية قرآنيّة، صار لابُد من جمع كُل ما له علاقة بالموضوع الواحد من آيات قرآنيّة، سواء احتوت على لفظ الموضوع أو لم تشتمل عليه، ومنه لزم وجوب عدم الاكتفاء بجمع الآيات المشتملة على ألفاظ الموضوع فقط.

منشأ القاعدة

ومنشأ هذه القاعدة: (أُسلوب القرآن الكريم في عرض الموضوعات)، حيث لم يجمع القرآن الكريم تفاصيل كُل موضوع من موضوعاته في باب أو فصل معيّن مشتمل على ألفاظ ذلك الموضوع فقط كما هو الحال في بعض

الكتب البشريّة المؤلَّفة الدينيّة وغيرها[1]، بل إنّ الآيات المُتعلِّقة بالموضوع الواحد تقاسمتها العشرات من السور القرآنيّة سواء اشتملت على لفظ الموضوع أم لم تشتمل عليه، لذا أصبح ضرورياً للمفسِّر الموضوعي أن يُلقي نظرة شاملة على جميع آيات القرآن الكريم للإحاطة بجميع الآيات المتعلّقة بالموضوع للخروج برؤية قرآنية تامّة حوله[2].

وقد اتخذ القرآن الكريم هذا الأُسلوب في عرض الموضوعات لاقتضاء الحكمة من نزوله، وذكر أهل الاختصاص في كتبهم: إنّ الهدف من ذلك هو: التثقيف والتعليم والتربية والتغيير الاجتماعي[3].

فالله تبارك وتعالى لم يُنزل المفاهيم والمعارف القرآنيّة جملة واحدة، بل أنزلها نجوماً بحسب مقتضياتها التربويّة على مدى ثلاث وعشرين سنة، وقد عُدّ ذلك رحمة ورفقاً من الله تعالى بعباده، إذ قال الإمام محمّد بن علي الباقر عليه السلام: «**ليس أحد أرفق من الله عزّ وجلّ، فمن رفقه تبارك وتعالى أنّه نقلهم من خصلة إلى خصلة، ولو حمل عليهم جملة لهلكوا**»[4].

وبناءً على ذلك يتبيّن أنّ الأُسلوب القرآني في عرض الموضوعات هو: تفريق جزئياتها على آياته وسوره الشريفة سواء (اشتملت على اللفظ أم لا) لهدف خاص، ومنه صار لزاماً على المفسِّر الموضوعي أن يجمع كُل ما جاء من آيات في خصوص الموضوع المعيّن من عموم القرآن الكريم، وأن لا

---

(١) انظر: محمّد، محمّد عبد السلام، دراسات في القرآن الكريم من التفسير الموضوعي، ص٢٣.

(٢) انظر: الحسيني الشيرازي، محمّد رضا، التدبّر في القرآن، ج١، ص: ١١٩.

(٣) انظر: الحكيم، محمّد باقر، علوم القرآن، ص: ٢٨٠.

(٤) الكُليني، محمّد بن يعقوب، فروع الكافي، ج٦، ص: ٣٩٥.

يكتفي بجمع الآيات المشتملة على ألفاظ الموضوع فقط، فإنّها لا تمثل إلاّ جانباً من جوانب الموضوع، والاعتماد عليها لا يُعطي إلاّ رؤية قرآنيّة ناقصة.

مثال تطبيقي

إنّ من الأمثلة الواضحة على هذه القاعدة في القرآن الكريم، هو مثال قصة تكليف النَّبيّ موسى عليه السلام في كتاب الله المجيد، فإننا إذا ما أردنا دراستها دراسة موضوعيّة، لابُدّ أن نجمع آياتها من عموم القرآن الكريم، ولا نكتفي بالآيات المشتملة على اللفظ فقط، فنجدها مثلاً في سورة القصص في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي مِن شَاطِئِ الْوَادِي الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ * اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ * وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ * قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾[1].

وفي سورة طه في قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ رَأَى نَارًا

(١) سورة القصص: ٢٩-٣٥.

فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى * إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي * إِنَّ السَّاعَةَ ءاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى * فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى * وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى * قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى * قَالَ خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى * وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى * لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى * اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ أَنَّه طَغَى * قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا * قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾[1].

ونلحظ في الآيات الآنفة الذكر أنّها قد اشتمل بعضها على لفظ **«موسى»** والبعض الآخر لم يشتمل عليه، بل عُبّر عنه بالضمير ولم يُصرَّح به لمقتضيات البلاغة القرآنية، وإذا ما أردنا الاقتصار على الآيات المشتملة على اللفظ فقط، فإنّ المعاني ستكون مشوهة والصورة ناقصة، وذلك لحاجة إحداها للأُخرى في التفسير بسبب ارتباطها بسياق واحد منطقي في عرض القصة، وحاجة إحداها للأُخرى في اكتمال صورة التكليف؛ لأنّها تمثل جزء القصة المفقود في المقطع الأوّل من آياتها.

(١) سورة طه: ٩ـ ٣٦.

وبما أنّ النظرية القرآنية تُستخرج على ضوء الصورة الكاملة للموضوع واستيعاب جميع جزئياته، لذا كان لزاماً على المفسِّر الموضوعي النظر إلى جميع الآيات المتعلقة بالموضوع والمشتملة على جميع جزئياته في إطار القرآن الكريم، وأن لا ينظر إلى الآيات المشتملة على لفظ (**موسى**) فقط.

٤- ضرورت الفهم التحليلي للآيات

توضيح القاعدة:

إن المراد بالفهم التحليلي للآيات هو: «تفريد الآية، أي: فهم الآيات كُلِّها على حدة»[(١)]، أو بعبارة أخرى هو: «التفسير الّذي يتّبع فيه المفسِّر ترتيب المصحف، فيشرح جملة من الآيات، أو السورة، أو القرآن كُلُّه على هذا النمط الموضعي، ويُبيّن ما يتعلّق بكُل آية من مناسبات وسبب نزول ومفردات ونحو ذلك ممَّا يتقرر به معناها وما ترمي إليه في تراكيبها، ويذكر وجه الربط بين مقاصدها»[(٢)]، وقد قال محمّد علي أيازي: «وقد يُعبّر عن ذلك-أي التفسير التحليلي- بالتفسير البياني التحليلي»[(٣)].

وقال فتح الله سعيد الّذي أورد هذه القاعدة في كتابه: «فهم الآيات قبل الشروع في التفسير الموضوعي، وهذا أمر ضروري للمفسِّر حتى يمكن له الاستناد والاستشهاد بها، ويستطيع ترتيب مباحثها وتأليف عناصرها»[(٤)]،

(١) فاكر الميبُدي، محمّد، قواعد التفسير لدى الشيعة والسُنّة، ص: ٤٢٣.

(٢) مسلم، مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي، ص: ٣٧-٣٨.

(٣) أيازي، محمّد علي، المفسِّرون حياتهم ومنهجهم، ص: ٤٨.

(٤) سعيد، عبد الستار فتح الله، المدخل إلى التفسير الموضوعي، ص: ٦٤.

فالهدف منه بيان المراد بالتحليل والشرح والتوضيح، والمفسِّر الموضوعي يحتاج إلى هذا الفهم قبل بدءه بالتفسير؛ لأنّ عمله يقتضي الوضوح التام في المقاصد والدلالات القرآنيّة الجزئيّة ابتداءً، حتى يستطيع استخراج وجهة النظر القرآنية في الموضوع الواحد المُعيَّن من المجموع والتي تبتني عليها النظريّة القرآنيّة، ومن هنا قيل: إنّ التفسير التحليلي (الفهم التحليلي) ضروري للتفسير الموضوعي؛ لأنّه يتعاون ويتكامل معه في خدمة النص القرآني[1]، وما يحصل عليه المفسِّر الموضوعي من نتائج يوظفه في خدمة التفسير الموضوعي ليخرج بنتيجة تامّة منه.

منشأ القاعدة

إنّ منشأ هذه القاعدة هو (المقتضي): ونعني به شرط قابليّة القابل، أي: «الشيء الّذي لابُدّ من تحققه في المادّة حتى تصبح مؤهلة لاستقبال كمال جديد من القابل»[2]، وهو على هذا نفس التفسير الموضوعي، فالمفسِّر الموضوعي إذا أراد أن يخرج بنتيجة تامّة، لابُدّ له من كمال في وضوح المادّة التي تُستخرج منها النتيجة الكُلِّية النهائيّة، كما أنّه من جهة أُخرى شرط لفاعليّة الفاعل، أي: «الشيء الّذي لا يستطيع الفاعل بدونه أن ينجز عمله»[3]، فالمفسِّر الموضوعي لا يأتي بشيء جديد من عنده، بل يستخرج النتيجة التي جادت بها النصوص القرآنية المتعلّقة بالموضوع الواحد المُعيَّن ويبني عليها نظريته النهائية، لذا كان لابُدّ له من استكشاف كُل ما له علاقة بذلك

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) مصباح اليزدي، محمّد تقي، المنهج الجديد في تعليم الفلسفة، ج٢، ص: ١٣-١٤.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٣.

ويسهم في إنتاجه إنتاجاً صحيحاً تامّا، وهو ما يتم عمله فيما يُعرف اليوم بـ: (التفسير التحليلي)، لذا قال بعض أهل الاختصاص أنّ «التفسير التحليلي ضرورة للتفسير الموضوعي، فهما يتعاونان ولا يتعارضان، بل يتكاملان لخدمة النص القرآني، وإنضاج علم التفسير كُلَّه»[١].

مثال تطبيقي

إنّ المثال التطبيقي لهذه القاعدة هو: مسألة جواز القسم بالنَّبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم شخصاً ووصفاً وإشارة، ومعرفة نظر القرآن الكريم في هذه المسألة يتطلّب جمع الآيات القرآنية ذات العلاقة بالموضوع وهي:

١- قوله تعالى: ﴿قَالَ هَؤُلاء بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ * فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾[٢].

٢- قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ * قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ﴾[٣].

٣- قوله تعالى: ﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ * لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾[٤].

ولكن مجرد استخراج الآيات من القرآن الكريم وجمعها لا يمكّن المفسِّر من استخراج النظريّة القرآنية النهائية وإن فُسِّرت تفسيراً تجزيئياً، وذلك

---

(١) سعيد، عبد الستار فتح الله، المدخل إلى التفسير الموضوعي، ص: ٦٤.

(٢) سورة الحجر: ٧١-٧٣.

(٣) سورة البروج: ١-٤.

(٤) سورة البلد: ١-٤.

لوجود بعض الإبهامات فيها.

إذ يلاحَظ في آيات سورة الحجر خفاء القصة التي من أجلها أقسم الله بالعُمر؛ لعدم وضوح المراد من العُمر وعلى من يعود الضمير في (لعمرك)، وفي آيات سورة البروج عدم وضوح المراد من اليوم الموعود والشاهد والمشهود ومصداقهما من ظاهر اللفظ، وأمّا في آيات سورة البلد لم يتضح من ظاهر اللفظ اسم البلد وموقعه الجغرافي ومَن هو الّذي حلّ فيه.

وإزالة كل هذه الإبهامات يُلزم المفسِّر بتفسير تلك الآيات تفسيراً يمكِّنه من فهمها فهماً كاملاً وهو مُنتَج التفسير التحليلي، وذلك بالمباشرة أو بالرجوع إلى كتب التفسير التحليلي لمعرفتها، مثل كتاب: **«الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل»** لناصر مكارم الشيرازي، وكتاب: **«أنوار التنزيل وأسرار التأويل»** المعروف بـ: (تفسير البيضاوي) لناصر الدين البيضاوي، وكتاب: **«البرهان في تفسير القرآن»** لهاشم بن سليمان البحراني، وغيرها من التفاسير[1]، وبعد معرفة تمام الجزئيات تُستخرج النظريّة القرآنيّة من مجموعها.

وأمّا الجزئيات: فإنّ القصة قصة النبي لوط عليه السلام مع قومه الّذين اتخذوا الرجال دون النساء شهوة، ذكرها القرآن الكريم ليطلع نبيه صلى الله عليه وآله وسلم عليها، وهو المخاطب في قوله: لعمرُك[2].

وأمّا اليوم الموعود فهو يوم القيامة، والشاهد والمشهود ففيه قرابة

---

(١) انظر: أيازي، محمّد علي، المفسِّرون حياتهم ومنهجهم، ص: ٨٤٣.

(٢) انظر: مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المُنزل، ج٨، ص: ٩٤؛ البيضاوي، ناصر الدين، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج٣، ص: ٢١٥.

الثلاثين معنى أكثرها اتفاقاً أنّ الشاهد هو النبي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم والمشهود هو يوم القيامة(١).

وبالنسبة للبلد فهو مكة الواقعة في الجزيرة العربية، والنبي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم هو الّذي حلّ فيه(٢).

وهكذا نرى أنّ الرأي القرآني النهائي بعد إزالة تلك الإبهامات هو الجواز، إذ أقسم الله تبارك وتعالى بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم أكثر من مرة في القرآن الكريم وبصيغ مختلفة، والوصول إلى هذه النتيجة القرآنية لم يكن ممكناً إلّا بعد معرفة الجزئيات الدقيقة فيها: القصة التي كانت في سياق أية القسم ومن هو المقصود في قوله: لعمرك ومصداق الشاهد والمشهود والبلد ومن حلّ فيه، ومنه كانت ضرورة الفهم التحليلي قبل إجراء التفسير الموضوعي.

٥- رعاية ما يلزم في تفسير القرآن بالقرآن

توضيح القاعدة

إنّ توضيح هذه القاعدة يعتمد على فهم آليّة العمل في تفسير القرآن بالقرآن:

ذكر الطباطبائي: «إن تفسير القرآن بالقرآن هو استيضاح لمعنى الآية من

---

(١) انظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المُنزل، مصدر سابق، ج٢٠، ص: ٧٩؛ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مصدر سابق، ج٥، ص: ٣٠٠٨٤٣.

(٢) انظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المُنزل، مصدر سابق، ص: ٢٠٦؛ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مصدر سابق، ص: ٣١٣.

نظيراتها بالتدبّر المندوب إليه في نفس القرآن، وتشخيص المصاديق ومعرفتها بالخواص التي تعطيها الآيات، كما قال تعالى: ﴿... وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ...﴾/[سورة النحل: ٨٩] وحاشا أن يكون القرآن تبياناً لكُل شيء ولا يكون تبياناً لنفسه»[١].

والتدبّر في الآيات يقتضي أن يطرح المفسِّر التساؤلات ومن ثمّ يُحاول الإجابة عليها، وهذه التساؤلات تتمثل في البحث عن الآتي:

أوّلاً: معنى الكلمة.

ثانياً: تخيّر الكلمة، ويُراد به البحث في وضعها في محلّها المناسب الطبيعي.

ثالثاً: موقع الكلمة، والّذي يرشد إلى الهدف من مجيئها في هذا الموقع.

رابعاً: الشكل الخارجي، والّذي يدل على الحكمة منه والفكرة الخاصة فيه، ويمكن إلتماسه في: التقديم والتأخير، والإفراد والتثنية والجمع، والمعلوم والمجهول، وسائر الأشكال الأُخرى.

خامساً: التسلسل المعنوي والتناسب في الانتقال من غرض إلى آخر، ويمكن التماسه في العلاقات المختلفة في الآية مثل: علاقة السبب والمسبب، والتكامل، والتعليل، والتشابه، التفريع، وإلى غير ذلك من أنواع العلاقات.

سادساً: التصنيف، أي: تقسيم ما ورد من آيات قرآنيّة وفقاً للأبعاد الزمنيّة، أو المواقف الاجتماعيّة، أو الصفات النفسيّة، أو غير ذلك[٢].

---

(١) الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص: ١١، (بتصرف).

(٢) راجع عن التساؤلات: الحسيني الشيرازي، محمّد رضا، التدبّر في القرآن، ج١، ص: ٥٨-٩٤.

كذلك يلزم في هذا المنهج: إرجاع المتشابهات إلى المحكمات، والجمع بين الآيات المطلقة والمقيّدة والعام والخاص، وتوضيح الآيات المجملة بواسطة الآيات المبيّنة، وتعيين المصداق، والاستفادة من سياق الآيات، ورفع الاختلاف الظاهري بين الآيات المختلفة، وتحديد معاني الآيات القرآنيّة بالاستعانة بالآيات الأُخرى، وتعيين أحد احتمالات معنى الآية بالآيات الأُخرى، وجمع الآيات الناسخة والمنسوخة[1]، وقد عدّ رضائي الأصفهاني هذه اللوازم في المنهج من مصاديق تفسير القرآن بالقرآن، بل من أهم متطلباته[2].

وهكذا يتبيّن أن تفسير القرآن بالقرآن ليس مجرد عرض آية على آية أُخرى لتفسيرها تفسيراً قرآنياً خالصاً، بل هي عمليّة منهجيّة تسير وفق مجموعة من الخطوات التي توصل إلى وضوح المراد الإلهي، والمفسِّر الموضوعي في مرحلة تفسير الآيات القرآنيّة ذات العلاقة بالموضوع الواحد بمنهج تفسير القرآن بالقرآن، يلزمه مراعاة كُل ماذكرنا أعلاه من أُمور تفسيريّة في هذا المنهج للوصول إلى النتائج الواضحة التي تسهم في حصول النتيجة النهائيّة.

منشأ القاعدة

ومنشأ هذه القاعدة: (مقتضى نفس تفسير القرآن بالقرآن) وإيضاحه:

إنّ التفسير الموضوعي يعتمد أوّلاً وبالذات على نتائج تفسير الآيات القرآنية (المداليل التفصيلية) ذات العلاقة بالموضوع، والتي يمكن تحصيلها

---

(١) راجع: رضائي الأصفهاني، محمّد علي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيريّة للقرآن، ص: ٦١-٦٨.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٦١.

بطرق عديدة منها الاستعانة بنفس القرآن الكريم أو ما يُعرف اليوم بتفسير القرآن بالقرآن(١).

لذا اقتضى على المفسِّر الموضوعي في حال استخدامه لهذه الطريقة في التفسير رعاية كل ما يلزم فيها لتكون النتائج التفسيرية صحيحة: من التدبّر في الآية والاستشهاد بالآيات المقطوعة عن السياق والمناسبة وغير ذلك من لوازم ومقتضيات هذا النوع من التفسير؛ للاستمداد في تفسير الآية بنظيراتها(٢)، والثمرة المتوخاة في هذه القاعدة صحة نتائج التفسير الموضوعي؛ لمدخليتها في تكوين الرأي القرآني النهائي في الموضوع الواحد المعيّن، والّذي تتمخض عنه النظرية القرآنيّة.

أمثلة التطبيقية

المثال الأوّل: تقييد المُطلق

ومثاله: جاء ذكر الصلاة في بعض الآيات القرآنية مطلقاً لم يُقيّد بزمان خاص كقوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾(٣)، وقوله: ﴿ ... وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مِّعْرِضُونَ ﴾(٤)، وقوله: ﴿ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ... ﴾(٥)، وقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ

---

(١) راجع: المصدر السابق، ص: ٥٨.

(٢) انظر: فاكر الميبُدي، محمّد، قواعد التفسير لدى الشيعة والسُنة، ص: ٤٢٣.

(٣) سورة البقرة: ٤٣.

(٤) سورة البقرة: ٨٣.

(٥) سورة البقرة: ١١٠.

كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ... ﴾[١]، وغيرها من الآيات الكريمة.

وهذا الإطلاق مقيّد في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ... ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾[٣]؛ لأنّ معنى: طرفي النهار وزلفاً من الليل ودلوك الشمس وغسق الليل وقرآن الفجر كُلُّها أنّها: مواقيت لإقامة الصلوات الخمس الواجبة[٤]، وهو تحديد زماني يُقيّد ذلك الإطلاق.

المثال الثاني: توضيح الآيات المجملة بواسطة الآيات المبيّنة

ومثاله: قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ... ﴾[٥]، أي: إنّ محلل الأكل والبيع ذبحاً في الآية معلوم بلفظ «**الأنعام**» كالشاة والبقر والبعير سواء كانت وحشية وغيرها، أو أجنة مُشعرة في بطون أمهاتها وغيرها، فهو حمل على الجميع من شاة وبقر وبعير وغير ذلك[٦].

---

(١) سورة النساء: ٧٧.

(٢) سورة هود: ١١٤.

(٣) سورة الإسراء: ٧٨.

(٤) راجع: الطوسي، محمّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج٦، ص: ٧٩ و٥٠٨-٥١٠؛ البحراني، سيّد هاشم، البرهان في تفسير القرآن، ج١، ص: ٤٩٦-٤٩٧.

(٥) سورة المائدة: ١.

(٦) راجع: الجصاص، أحمد بن علي، أحكام القرآن، ج١، ص: ١٤١؛ الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٣٤.

وأمّا المحرّم من اللحوم فإنّه سوف يُبيّن في المستقبل، وهو مجمل في الحال ولا يصح الاحتجاج به.

وقد بُيّنت تلك الموارد المجملة في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ...﴾[1]، لذا فإنّ هذه الآية تكون مفسِّرة للإجمال في الآية الأُولى.

٦- لزوم العناية بالتفسير التجزيئي

توضيح القاعدة

إنّ التفسير الموضوعي تفسير يحاول القيام بالدراسة القرآنيّة لموضوع من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعيّة أو الكونيّة بهدف تحديد موقف نظري للقرآن الكريم تجاه ذلك الموضوع[2]، وذلك يستلزم فهم المفسِّر لطريقة العمل في هذا النوع من التفسير، والتي تتألّف من ثلاث مراحل أساسيّة هي: مرحلة استخراج المداليل الجزئيّة من الآيات ذات العلاقة بالموضوع آية فآية، ومرحلة استخراج المداليل الكُلِّية من مجموع المداليل الجزئيّة في الآيات المشتركة في جانب من جوانب الموضوع الأصلي، ومرحلة استخراج النظريّة بجمع المداليل في المرحلة الثانية لتكوين وجهة نظر قرآنية كُلّية ثُمّ الخروج بالنظريّة القرآنيّة حول الموضوع الواحد المُعيَّن.

ونلاحظ في هذه المراحل الثلاث أنّ الغيث يبدأ بقطرة، أي: أنّ تحصيل

(١) سورة المائدة: ٣.

(٢) انظر: الصدر، محمّد باقر، المدرسة القرآنيّة، ص: ١٢.

النتيجة النهائيّة الكُلِّية تبدأ بفهم الآيات المُتعلِّقة بالموضوع آية فآية، وقد ذكر محمّد علي رضائي الأصفهاني في ذلك: «عادة ما يُقدم التفسير الترتيبي على الموضوعي؛ لأنّه لابُدّ للمفسِّر من التعرف على مفاهيم الآيات أوَّلاً...»[١]، والتعرّف على المفاهيم الجزئيّة للآيات ذات العلاقة بالموضوع الواحد لا يتأتى إلّا بإجراء التفسير التجزيئي، لذا وجب على المفسِّر في هذا النوع من التفسير الالتفات إليه قبل الإقدام على التفسير الموضوعي، أي: إنّ التفسير التجزيئي هو بمنزلة المقدّمة اللازمة من دون انفكاك للتفسير الموضوعي، لذا قيل: إنّ المسألة هنا مسألة ضمّ الاتّجاه الموضوعي في التفسير إلى الاتّجاه التجزيئيّ، بمعنى افتراض خطوتين هما: خطوة التفسير التجزيئي، وخطوة أُخرى هي خطوة التفسير الموضوعي»[٢].

ويبدو من القول: (خطوة أُخرى) أنّ التفسير التجزيئي مقدّم على التفسير الموضوعي.

وقد عبَّر مصطفى مسلم عن هذه الخطوة باللبنات الأُولى والمادّة الأوَليّة التي يراد إقامة بنيان التفسير الموضوعي عليها[٣].

وعليه لابُدّ للباحث في التفسير الموضوعي العناية بالتفسير التجزيئي.

منشأ القاعدة

ومنشأ هذه القاعدة: (مقتضى نفس التفسير الموضوعي)، الّذي يدور العمل فيه على تحصيل رأي القرآن النهائي في موضوع ما، تمهيداً لاستخراج

(١) رضائي الأصفهاني، محمّد علي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيريّة للقرآن، ص: ٣١٥.

(٢) انظر: الصدر، محمّد باقر، المدرسة القرآنية، ص: ٣٣.

(٣) انظر: مسلم، مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي، ص: ٥٤.

النظرية القرآنية فيه، حيث يتكون الرأي من مركب ارتباطي يمثل الجزء فيه جانباً من جوانب الموضوع الواحد المُعيَّن، مجسداً بمدلول قرآني كُلّي، هو حصيلة مجموعة من المداليل التفصيلية للآيات القرآنية، والتي يتم إبرازها بواسطة التفسير التجزيئي.

وتوضيحه:

إنّ عملية تحصيل الرأي القرآني النهائي في موضوع ما، عملية تستند إلى وجود مداليل تفصيلية للآيات المتعلقة بالموضوع، وإبراز هذه المداليل لا يتم إلّا بواسطة التفسير التجزيئي، لذا فإنّ من مقتضيات التفسير الموضوعي التزام مفسِّره بإجراء التفسير التجزيئي ابتداءً ثم التفسير الموضوعي ثُمّ الوصول إلى نتائجه الكُلّية ثُمّ نظريته القرآنية.

مثال تطبيقي

إنّ المفسِّر الموضوعي إذا أراد أن يبحث في موضوع قدرة الله تعالى ويعرف رأي القرآن النهائي فيه، يبدأ بطرح هذا السؤال على القرآن الكريم: هل أن الله قادر أم لا؟ وأوّل ما يبدأ المفسِّر الموضوعي في تحصيل الرأي جمع الآيات القرآنية ذات العلاقة بالموضوع، ومن ثمّ يبدأ بعمليّة التفسير الموضوعي، ولكي يستطيع البدء بهذه العمليّة ويعرف رأي القرآن النهائي فيها، لابُدّ له من تحصيل المداليل الجزئيّة لتلك الآيات، فيتناولها بالتفسير التجزيئي آية آية، ومنها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾[1]، والمداليل فيها: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ...﴾ معناه: القادر على أن يقهر

(١) سورة الأنعام: ١٨.

غيره، و﴿ ... فَوْقَ عِبادِهِ... ﴾ يعني: قهره واستعلاؤه عليهم فهم تحت تسخيره وتذليله بما علاهم به من الاقتدار الّذي لا ينفك منه أحد، ومثله قوله تعالى: ﴿ ... يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أيدِيهِمْ... ﴾(١)، أي: إنّه أقوى منهم، وقوله: ﴿ ... وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ فمعناه: إنّه مع قدرته عليهم لا يفعل إلاّ ما تقتضيه الحكمة، والخبير العالم بالشيء، وتأويله أنّه العالم بما يصح أن يُخبر به(٢).

وعليه فالقهر نوع من الغلبة تعني إظهار شيء على شيء فيضطره إلى مطاوعة أثر من الغالب يخالف ما للمغلوب من الأثر طبعاً أو بنحوه من الافتراض(٣).

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ ﴾(٤)، ومعناه أيضاً في جملة: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ... ﴾ القادر على أن يقهر غيره قهر استعلاء بالقوة والقدرة لا بالمكان، ومن مظاهر تلك القدرة إرسال الملائكة الّذين يحفظون أعمال الإنسان ويحصونها عليه حتى يأتيه الموت ولا قدرة له على دفعهم أو إخفاء الأمور عليهم، كذلك من مظاهر قدرته القاهرة التي لا مرد لها: الموت.

ومنها قوله تعالى: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ ﴾(٥)، ومعنى السلطان في

---

(١) سورة الفتح: ١٠.

(٢) انظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٤، ص: ٤٣٥.

(٣) راجع: الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج٧، ص: ٣٥.

(٤) سورة الأنعام: ٦١.

(٥) سورة الرحمن: ٣٣.

هذه الآية: «القوة التي يتسلط بها على الأمر»[١]، والتي يعطيها الله تعالى ومن دونها لا نفوذ[٢].

ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ﴾[٣]، ومعناها أنّ الله سبحانه إن أحلَّ بالإنسان بلاء أو شدة أو مرض لا يقدر أحد على كشفه غيره سبحانه لقدرته المطلقة[٤].

ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٥]، ومعناها ما ذُكر في الآية أعلاه بإضافة أنّ المراد بلا راد لفضله، أي: لا يقدر منعه أحد[٦].

وهكذا نلحظ أنّ تفسير الآيات المتعلقة بالموضوع قد أبرز المداليل التفصيلية التالية:

١ ـ أنّ الله قادر.

٢ ـ أنّ قدرة الله مبسوطة على كل العباد.

٣ ـ أنّ قدرته شاملة لكل شيء.

---

(١) الطوسي، محمّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج٩، ص: ٤٧٤.

(٢) انظر: الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٧، ٤٠٨.

(٣) سورة الأنعام: ١٧.

(٤) انظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٥، ص: ٢١٠.

(٥) سورة يونس: ١٠٧.

(٦) راجع: مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ص: ٢١١.

٤ ـ أنّ قدرته لا مرد لها.

ومحصل هذه المداليل وجهة نظر القرآن الكريم النهائية في الموضوع: (إنّ الله قادر قدرة مطلقة قاهرة)، والتي تتمخض عنها النظرية القرآنية، وهي النهائية في الموضوع.

وهكذا نرى أنّه لولا إجراء التفسير التجزيئي لما استطعنا الدخول في مرحلة تحصيل النتائج الكُلّية سواء على مستوى تحصيل وجهة النظر القرآنية أو استخراج النظرية القرآنية.

٧- لزوم رعاية الأُسلوب الصحيح في التفسير الموضوعي

توضيح القاعدة

قال مكارم الشيرازي في كتاب نفحات القرآن: «إنّ للتفسير الموضوعي أُسلوبين: أحدهما: يتناول المفسِّر فيه المواضيع المختلفة كالعقائديّة أو الأخلاقيّة وغيرها، وبعد أن يذكر بحوثاً فلسفيّة وكلاميّة أو أخلاقيّة، يذكر بعض الآيات القرآنيّة المرتبطة بالموضوع بعنوان الشاهد، أي: يحمل آيات القرآن على رأيه، والآخر يقوم فيه المفسِّر قبل كُل شيء بجمع الآيات الواردة في الموضوع من جميع أنحاء القرآن، وقبل أي حكم أو إبداء نظر يتمّ جمع الآيات وتفسيرها جنباً إلى جنب، وبجمعها وملاحظة ترابطها يحصل منها على الصورة الكاملة، وفي هذا الأُسلوب شيء من القرآن، ويكون همّه كشف محتوى الآيات، وإذا استعان بكلمات الآخرين بل حتى بالأحاديث، فهو في المرحلة الثانية وبنحو منفصل»[1]، وتبنى مكارم الشيرازي هذا الأُسلوب الأخير

---

(١) مكارم الشيرازي، ناصر، نفحات القرآن، ج١، ص: ١٨.

في كتابه: «نفحات القرآن» باعتباره الأُسلوب الصحيح في التفسير الموضوعي، وأمّا المراد بالأُسلوب الصحيح في هذه القاعدة فهو ذات الأُسلوب الثاني الّذي ذكره مكارم الشيرازي وهو: إجراء التفسير الموضوعي وفق المراحل الصحيحة للتفسير الموضوعي والالتزام بها، ونظراً لنجاح التفسير الموضوعي بإعطاءه أفضل النتائج بناءاً على ذلك، كان رعاية الأُسلوب الصحيح قاعدة من قواعد هذا النوع من التفسير.

منشأ القاعدة

إنّ منشأ هذه القاعدة: (مقتضى اعتبار النتائج في التفسير الموضوعي)، وبيانه:

إنّ التفسير الموضوعي تفسير يمكن إجراءه بأكثر من أسلوب تفسيري، ومنه أنّ المفسِّر يُتبع الآيات القرآنية ذات العلاقة بالموضوع لرأيه فيأتي بها كشاهد عليه، ومنه ما يسير فيه المفسِّر الموضوعي خلف الآيات القرآنية كالظل، فيفهم كل شيء من القرآن الكريم ويكون كُل همه كشف محتوى الآيات الكريمة ليحصل منها على الصورة الكاملة والنظرية القرآنية التامّة من دون أن يُضيف شيئاً من عنده.

ونظراً لأنّ التفسير الموضوعي للقرآن الكريم تفسير يبحث عن المراد الإلهي الكُلّي في موضوع ما، أي: وجهة نظر القرآن الكُلِّية النهائية التي تتمخض عنها النظرية القرآنية، لذا يلزم مفسِّره أن يستلّ نتائجه من الآيات القرآنية من دون إضافة شيء من عنده لكي تكون نتائجه معتبرة.

وعلى هذا فإنّ الأُسلوب الصحيح الّذي يلزم المفسِّر رعايته هو

الأُسلوب الّذي يُفضي إلى نتائج قرآنية محضة كاشفة عن مراد إلهي كُلّي في الموضوع.

وبمراجعة الأساليب التي بُحث بها التفسير الموضوعي، نجد أنّ الأُسلوب الصحيح في إجراءه، هو الّذي يبدأ قبل كُلِّ شيء بجمع الآيات القرآنية ذات العلاقة بالموضوع من جميع أنحاء القرآن الكريم، وقبل أي حكم أو إبداء نظر يتمّ وضع الآيات بعضها جنب بعض وجمعها وملاحظة ترابطها والحصول منها على صورة كاملة(١).

مثال تطبيقي

إنّ المثال التطبيقي على هذه القاعدة هو موضوع: (هل أنّ التاريخ والآثار التاريخيّة مصدر من مصادر المعرفة البشرية؟)، الّذي تناوله ناصر مكارم الشيرازي في كتابه: **«نفحات القرآن»** على أنّه مصدر من مصادر المعرفة، وقد راعى فيه الأُسلوب الصحيح وأجرى البحث في الموضوع على أساسه، إذ بدأ:

أوّلاً: بجمع الآيات المُتعلّقة بالموضوع.

ثانياً: قام بشرح المفردات الرئيسيّة في البحث.

ثالثاً: جمع آيات البحث وفسّرها.

رابعاً: خرج بالنتيجة من التفسير.

خامساً: بحث الموضوع في الروايات الإسلاميّة ونهج البلاغة.

سادساً: وصل إلى النتيجة النهائيّة.

---

(١) راجع: مكارم الشيرازي، ناصر، نفحات القرآن، ج١، ص: ١٨.

بيان المثال:

تمهيد:

تعرَّض القرآن الكريم للقضايا التاريخيّة بأُسلوبين:

الأوَّل: الأُسلوب المدوّن، أي: أنّ القرآن المجيد يَسردُ للمسلمين بعض الحوادث التاريخيّة للأقوام السالفة بألفاظ وعبارات شيّقة ودقيقة، ويُبيِّن الأُمور الغامضة من تاريخهم، ويشير إلى عواقب أعمالهم، وذلك لتوعية المسلمين وتعريفهم بالقضايا المختلفة؛ لكي يرى النَّاس حقائق من حياهم في مرآة تاريخ السالفين.

الثاني: الأُسلوب التكويني، أي: كشف القرآن عن الآثار التاريخيّة التي خلَّفتها الأقوام الغابرة؛ الآثار الصامتة ظاهراً والمدويّة باطناً؛ الآثار التي يمكنها أن تصور لنا التاريخ الغابر؛ الآثار التي تعتبر مرآة أمام الإنسان يرى فيها وجه حياته في الحاضر والمستقبل.

خطوات الدراسة:

أوَّلاً: قراءة نماذج من كلا القسمين في الآيات التالية:

١. ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُلِي الألباب﴾/ [سورة يوسف: ١١١].

٢. ﴿فَاقصُصِ القَصَصَ لَعلّهُم يَتَفَكَّرُون﴾/ [سورة الأعراف: ١٧٦].

٣. ﴿ذَلِكَ مِنْ أنباءِ القُرى نَقُصُّه عَليكَ مِنهَا قَائمٌ وَحصِيد﴾/ [سورة هود: ١٠٠].

٤. ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيكَ أحسَنَ القَصَصِ بِمَا أوحَيْنَا إليْكَ هَذا القُرآنَ وَإنْ كُنتَ مِنْ قَبلِهِ لَمِنَ الغَافلين﴾/ [سورة يوسف: ٣].

٥. ﴿ فَأَخَذَهُ الله نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولى * إنَّ في ذَلِكَ لَعِبرَةً لِمنْ يَخْشى ﴾ / [سورة النازعات: ٢٥ و٢٦].

٦. ﴿ أفَلَمْ يسيروا في الأرض فَتَكُونَ لَهُم قُلوبٌ يَعقِلُونَ بِهَا أو آذانٌ يَسمَعُونَ بِها ﴾ / [سورة الحج: ٤٦].

٧. ﴿ افَلَم يَسيرِوا فِي الأرض فَينظُرُوا كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذينَ مِن قَبلِهم دَمَّر الله عَلَيهم وَلِلكافرينَ أمثالُها ﴾ / [سورة محمّد: ١٠].

٨. ﴿ قَد خَلَتْ مِنْ قَبلِكُمْ سُنَنٌ فَسيرُوا في الأرض فَانْظُروا كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ ﴾ / [سورة آل عمران: ١٣٧].

٩. ﴿ قُل سِيرِوا في الأرض فَانْظُروا كَيفَ بَدءَ الخَلْقَ ثُمَّ الله يُنشِيءُ النَّشْأَةُ الأَخِرَةَ إن الله عَلى كُلِّ شيءٍ قَديرٌ ﴾ / [سورة العنكبوت: ٢٠].

١٠. ﴿ أَلَمْ تَرَ إلى الَّذي حَاجَّ إبراهيمَ في رَبِّهِ أن أتَاهُ الله المُلْكَ ﴾ / [سورة البقرة: ٢٥٨].

١١. ﴿ أَلمْ تَرَ كَيفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَاد * إرَمَ ذَاتِ العِمَادِ ﴾ / [سورة الفجر: ٦ و٧].

١٢. ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الفِيل ﴾ / [سورة الفيل:١].

ثانياً: شرح المفردات:

وهي:

١ـ كلمة (قصص) وتعني: التتبع لآثار شيء ما، وقد سُمّيت القصة قصة لأنّ فيها تتبّعاً للأخبار والحوادث المختلفة، وعليه فالقصة لا تعني الرواية فحسب، بل تعني ـ لُغوياً ـ التتبّع لآثار الأشياء، كما تطلق على كُل شيء

متتابع ومتسلسل.

٢ـ أمّا كلمة (عِبْرة): فاشتقّت من مادة (عبور) و(عَبْر) وتعني التنقل من حالة إلى حالة أُخرى، و(العبور) في الأصل ـ يعني عبور الماء سباحة أو بالزورق أو على الجسر وأمثال ذلك، وقد استعملت هذه المفردة بمعنى أوسع وهو التنقّل من حالة إلى حالة أُخرى، ويقال لقسم من الحديث (عبارة) لأنّه عابر من لسان المتكلِّم إلى إذن السامع.

والعبرة كيفية صالحة للمشاهدة ينتقل الإنسان بها إلى شيء غير مُشاهَد، وقد ذكر البعض أنّها تعني: الدلالة التي توصل الإنسان إلى مراده[1]، كما جاءت بمعنى التعجب؛ لأنّ كثيراً من الأُمور التي يكتشفها الإنسان عن طريق الحوادث المهمّة والجليّة تثير العجب.

٣ـ كلمة (السير) وتعني: الحركة على الأرض، واذا قيل: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ...﴾ فإنّ القيد الأخير تأكيد للسير، وقد قال الراغب في مفرداته: ذُكِرَ معنيان للسير في الأرض: أحدهما: الحركة الجسمانيّة على الأرض ومشاهدة الكائنات وآثارها المختلفة، والآخر: الحركة الفكريّة ودراسة الكائنات، وقد صرّح البعض: إنّ السير يعني العبور المستمر في جهة واحدة.

أمّا كلمة (السيرة) فتعني: الطريقة والأُسلوب، واستعمالها يُشير إلى تاريخ حياة الأشخاص أو ما يُعرف بالسيرة الذاتية.

٤ـ كلمة (الرؤية) فقد جاءت لمعنيين: أحدهما المشاهدة بالعين، والآخر العلم والمعرفة أو المشاهدة الباطنية، وقد استعملت في القرآن الكريم في موارد

---

(١) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٥، ص: ٢١٧.

كثيرة بالمعنى الثاني، أي: العلم والخبرة.

وأمّا (الرأي) فيعني: الاعتقاد القلبي والنظريّة سواء كان اعتقاداً يقينياً أو ظنياً.

وأمّا (الرويّة) و(التروّي) فيعنيان التفكير أو السعي والتتبع للحصول على النظريّة.

٥ـ كلمة (نظر) في الأصل تعني: دوران العين أو حركة الفكر لإدراك أمر ما أو مشاهدته، وجاءت أيضاً بمعنى: البحث والتفحّص وتارة جاء بمعنى المعرفة الحاصلة بعد الفحص، وقد ذكر صاحب مجمع البحرين ثلاثة معان للنظر: ١ ـ مشاهدة الشيء؛ ٢ ـ التدقيق في الشيء بواسطة العين؛ ٣ ـ التفكّر للحصول على العلم أو الظن.

أمّا صاحب لسان العرب فقد شرح النظر بأنّه المشاهدة بالعين والثاني المشاهدة بالقلب، والمفيد أنّه استشهد بعد ذلك بحديث للرسول صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال فيه: «النظر إلى وجه العالم عبادة»[(١)]، وفي تفسير هذا الحديث يُنقل عن ابن الأثير أنّه قال: معنى الحديث هو أنّ النَّاس حينما كانت أعينهم تقع على علي عليه السلام كانوا يقولون: «لا إله إلاّ الله ما أشرف هذا الفتى، لا إله إلاَّ الله ما أعلم هذا الفتى...»[(٢)].

جمع الآيات وتفسيرها:

(١) الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص: ٢٠٥، تحقيق: علي أكبر غفّاري.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر بن محمد، سعد السعود، ص: ٢٧٨.

إنّ الآية الأُولى: قد أشارت إلى المصير المؤلم لبعض الأُمم السالفة إذ قالت: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الألباب﴾، فالتفكير في مصير هؤلاء يُعدّ الأُسلوب الأَمثَل لأُولي الألباب لمعرفة عوامل السعادة والتعاسة، وتمييز طريق الهلاك عن طريق النجاة.

والثانية: خاطبت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قائلة: ﴿فَاقْصُصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وهذا يدل على أن البيان الصحيح لتاريخ السالفين موجب لصحوة الأفكار ومادتها الأولية.

والآية الثالثة: بعد أن بيّنت مصير بعض الأقوام السالفة مثل قوم نوح وشُعيب وفرعون ولوط وعاد وثمود، قالت: ﴿ذلِكَ مِنْ أنباءِ الْقُرى نَقُصُّهُ عَلَيكَ مِنها قائمٌ وَحَصِيد﴾، أي: من القرى من هو باق لحدّ الآن، ومنها من زال وفنى فاعتبروا يا أُولي الألباب.

وأمّا الرابعة: التي جاءت في بداية سورة يوسف، فهَيَّأَتْ أَذهانَ المستمعين في البداية لتلقي وإدراك ما سَيُقال فقالت: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيكَ أَحْسنَ الْقَصَصِ بِما أَوْحَيْنا إِلَيْكَ هَذا الْقُرآنَ وَإنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الغافِلِين﴾.

وقد استندت الآيات الأربع إلى موضوع (القصّة) و(القصص) كوسيلة للمعرفة.

وبالنسبة للآية الخامسة: فبعد إشارتها إلى تعذيب فرعون إذ قالت: ﴿فَأَخَذَهُ الله نَكالَ الآخِرَةِ وَالأُولى * إنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً لِمنْ يَخْشَى﴾، والعبرة كما ذكرنا مسبقاً تعني: التنقّل والعبور من حالة إلى حالة أُخرى، الانتقال من

حالة صالحة للمشاهدة إلى حقائق مشاهدة لها واعتبرها وسيلة للمعرفة.

وأمّا السادسة والسابعة والثامنة والتاسعة: فقد أكدت على مسألة: السير في الأرض، ودعت النَّاس إليه بأساليب خطابية مختلفة، فمرة خاطبتهم بـ: ﴿أفلم يَسيرُوا في الأرض فَيَنظُروا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، ومرة بـ: ﴿فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ بعد ما ذمتهم لعدم سيرهم في الأرض.

وفي آيات أُخَر خُوطِبَ جميع النَّاس أو المسلمين بالقول: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسيرُوا في الأَرضِ فَانْظُروا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

وفي آية أُخرى هناك دعوةٌ للناسِ لأن يسيروا في الأرض للبحث عن بدء الخلق والاستفادة من ذلك للعلم بكيفية النشأة الآخرة.

وبالنسبة للآيات العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة: فقد أكّدت على مسألة: المشاهدة و(الرؤية) ليس بالعين الباصرة، بل بعين القلب (البصيرة).

كما أنّنا نجد أن الخطاب في الآيات الثلاث الأُولى موجَّهٌ للرسول محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، إلاَّ أنّ ذلك لا يعني أنّه المراد بها فقط، بل جميع المؤمنين، بل النَّاس كافّة؛ لخصوص أنّ القرآن الكريم نزل بإياك أعني واسمعي يا جارة، وقد جاءت أيضاً بصيغة استفهام تقريري مفاده: تأكيد الحقائق المذكورة.

وقد ركّزت الآيات الخمس الأُولى بحثها على التاريخ المدوّن، أي: ما

جاء في صفحات الكتب التاريخيّة، بينما ركّزت الآيات الأربع الأخيرة بحثها على التاريخ التكويني الحي، أي: الآثار الباقية من الأقوام الغابرة في بقاع مختلفة من العالم.

أمّا الآيات الثلاث الأخيرة: فمن الممكن أن تكون الإشارة فيها إلى التاريخ المدوّن أو التاريخ الخارجي أو كليهما، ويتضح من مجموع هذه الآيات (وأمثالها في القرآن الكريم) الأهمية القصوى التي أولاها القرآن لقسمي التاريخ كمصدر للمعرفة والعلم؛ لأنّ الله عزّ وجلّ يدعو النَّاس تارةً لأن يشاهدوا بأم أعينهم قصور الفراعنة وآثار دمار مدن عاد وثمود وقصور نمرود وأعوانه والبلاد التي جُعِلَ عاليها سافلها التابعة لقوم لوط؛ كي يعرفوا أنَّ مَصير المُتجبّرين سيؤول إلى هذه النهاية.

وتارة نجد القرآن نفسه يشرح بدقة هذه الحوادث ويسلط الأضواء عليها ويَعُدّ العِبَر بعد العِبَر ذاكراً عاقبة (المكذبين) و(الظالمين) و(الكافرين) و(المفسدين) في ضمن بحوثه التاريخيّة هذه.

وخلاصة القول:

إنّ مفاد تفسير هذه الآيات: إنّها نقلت حقائق تاريخية بدقة لا يرقى إليها الشك، وأيدت ذلك بالتنبيه على السير في الأرض لتقصي الآثار الباقية على أرض الواقع المتعلقة بالحقائق المذكورة فيه.

وحيث إنّ التاريخ من منظومة المعارف التي يسعى لتحصيلها الإنسان من مصادرها التي يجب أن لا يرتقى إليها الشك؛ لضمان صحتها ودقتها المؤثرة في تحقق الآثار المترتبة عليها، وخصوصاً بالنسبة للغابرة منها التي لم

يدركها المدوّن البشري الأوّل، فقد تناوله القرآن الكريم ضمن آياته المباركة التي خاطب بها العُقلاء ليدبّروا فيها ويعتبروا منها، وهذا تقرير لوجهة نظر القرآن الكريم في هذا الموضوع، بمعنى أنّ الرأي هو: إنّ التاريخ والآثار التاريخيّة مصدراً من مصادر المعرفة البشرية.

وقد أُكدت هذه الحقيقة في كتب الأحاديث والروايات الإسلامية النختلفة، مثل: كتاب نهج البلاغة الجامع لخطب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

التاريخ في نهج البلاغة والروايات الإسلاميّة:

إنّ نهج البلاغة كتاب عظيم ذو محتوى تربوي غني جداً، أكد على القضايا التاريخيّة كثيراً، حيث كان قائله وهو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عند حديثه عن الحوادث التاريخيّة يصورها وكأنّه يأخذ بأيدي النَّاس إلى مكان الحدث ويريهم فرعون وجنوده ويقتفون آثار مستضعفي بني إسرائيل ومن ثم يشاهدون غرقهم في نهر النيل.

إنّه يصوّر قوم نوح وقوم عاد وثمود تحت تأثير الدمار الشامل الّذي خَلَّفَهُ الطوفان والصواعق والزلازل والأمطار الحجرية، والنَّاس يشاهدون أخذ هذه الأُمم الطاغية واللاهية مع قصورهم ومدنهم وبطغيانهم وهلاكهم في طرفة عين بحيث لم يبق إلاّ آثار الخراب والصمت القاتل المهيمن عليها، وكُل من سَاحَ في نهج البلاغة مرَّ بهم ورجع بكنز هائل من العلم والمعرفة والخبرة(١).

---

(١) راجع: الشريف الرضي، محمّد بن الحسين بن موسى، نهج البلاغة، ج٢، خ١٥٧، ص: ٣٤١.

٨- التدقيق التامّ قبل التعقيد والتأصيل

توضيح القاعدة

أصبح واضحاً ممَّا تقدم سلفاً، أنّ التفسير الموضوعي تفسيرٌ يعتمد ابتداءً على الجمع الأوَلي للآيات القرآنيّة المُتعلِّقة بالموضوع من عموم القرآن الكريم، وأنّ من عمل المفسِّر فيه جمع الآيات، ولكن قد يجمع المفسِّر الموضوعي الآيات القرآنيّة وينظر في مجموعها من غير إحصاء واستقصاء دقيق، ثُمّ يصدر حكماً أو يُؤصّل جامعاً أو يضع قاعدة كُلِّية، ممَّا يؤدي إلى غلط أو تخليط يحرّف الكلم عن مواضعه(١)، وحدوث غفلة عن بعض جوانب الموضوع، فتظهر النتائج ناقصة أو خاطئة بناءاً على ذلك، لذا لزم المفسِّر الموضوعي لتلافي الوقوع في هذا المحذور، التأكّد والاطمئنان والوقوف على كُل جوانب الموضوع، بعمل الإحصاء الدقيق والاستيعاب الكامل لكُل الألفاظ القرآنيّة الواردة فيه والآيات الشريفة المتعلّقة به، ومنه كان وجوب التدقيق.

منشأ القاعدة

إنّ منشأ هذه القاعدة هو: (مقتضى طبيعة التفسير الموضوعي)، حيث أفصحت عن طبيعته تعاريف المختصّين، بأنّه تفسير يحصّل نتائجه من كُل القرآن الكريم، أي: من كُل آياته المُتعلِّقة بالموضوع، وفي غير هذه الصورة تكون نتائجه إمّا ناقصة وإمّا غير معتبرة، ويُفهم من كلمة كُل التي وردت في أقوال بعضهم(٢)، الاستغراق والاستيعاب والشمول، إذ جاء في كتب

---

(١) انظر: سعيد، عبد الستار فتح الله، المدخل إلى التفسير الموضوعي، ص: ٧٤.

(٢) انظر: رضائي الأصفهاني، محمّد علي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيريّة للقرآن، ص٣١١.

الأُصول أنّ (كُل) دالَّة بالوضع على عموم مدخولها سواء كان عموماً استغراقياً أو مجموعياً، وإنّ العموم معناه الشمول لجميع أفرادها مهما كان لها من الخصوصيات اللاحقة لمدخولها[1]، وعليه فإنّ طبيعة التفسير الموضوعي هي القاضية بعدم إصدار الأحكام والتأصيل ووضع القواعد قبل التدقيق في إحصاء وتمام استقصاءها في القرآن الكريم.

مثال تطبيقي

إنّ المفسِّر الموضوعي لو أراد أن يبحث في موضوع: قصة أصحاب الفيل في القرآن الكريم، لابُدّ له من تقصي هذه القصة في عموم القرآن الكريم ليُخرج الآيات المُتعلِّقة بها قبل الخروج بالنظريّة القرآنيّة، وبعد التقصي والبحث في عموم القرآن الكريم ظهر أنّ موضع هذه القصة تناولته آيات سورة الفيل في عموم القرآن الكريم، وهي:

١ـ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾[2].

٢ـ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾[3].

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ﴾[4].

٤ـ قوله تعالى: ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾[5].

---

(١) انظر: المظفر، محمّد رضا، أُصول الفقه، ج١، ص: ١٤٠.

(١) سورة الفيل: ١.

(٢) سورة الفيل: ٢.

(٣) سورة الفيل: ٣.

(٤) سورة الفيل: ٤.

٥ـ قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾[1].

فلو لم يدقق المفسِّر الموضوعي في جمع الآيات ولم يحصي بعضها، سواء كانت منفردة أو مجموعة، فإنّه سوف يخرج بالنتائج غير المعتمدة؛ لنقصها وعدم تمامها الّذي يُفضي إلى نتائج معتبرة من قبل الشارع المُقدس في التفسير الموضوعي.

(٥) سورة الفيل: ٥.

الفَصْلُ الخَامِسِ

نَمَاذجُ مِنَ التَفْسِيرِ المَوْضُوعِي

مدخل الفصل

يشتمل هذا الفصل على أربعة مباحث كنماذج تطبيقيّة في التفسير الموضوعي، إذ تكشف لنا عملاً عن منهجية وطريقة استكشاف النظريّة القرآنيّة، حيث تتطلّب عمليّة الاستكشاف جهداً كبيراً ومستوىً فكرياً لا يتوفر عند الكثير من النَّاس فضلاً عن أهل الاختصاص، وسيُعقد لكُل نموذج منها مبحث خاص به لتسهيل التمييز بينها، وقد اختيرت المباحث الآتية وفقاً لطرق التحقيق الموضوعي الأربعة التي مرَّ ذكرها في الفصل الثاني.

ويهدف عقد هذا الفصل إلى إعطاء دليل ملموس على ثمرات هذا النوع من التفسير وأهميته.

وأمّا المباحث فهي:

المبحث الأوَّل: أهداف إرسال الرسل في القرآن الكريم

يتناول هذا المبحث نموذجاً يمثّل طريقة البحث الموضوعي داخل القرآن الكريم، حيث يعرض دراسة ناصر مكارم الشيرازي لمعرفة وجهة النظر الكُلِّية للقرآن الكريم في الهدف من إرسال الرسل.

تمهيد

إنّ بعثة أنبياء الله عليهم السلام وإرسال الرسل وإنزال الكتب السماوية، لها علاقة مباشرة بالنظرة الكونيّة للقرآن الكريم؛ فحينما يقول القرآن الكريم: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونَ﴾[1]، ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ﴾[2]، ويقول: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[3]، فإنّنا نستطيع أن نفهم

(١) سورة الذاريات: ٥٦.

(٢) سورة الإنشقاق: ٦.

(٣) سورة الكهف: ٦٦.

أنّ الإنسان في طريقه الطويل الّذي يهدف من خلاله الوصول إلى الكمال المطلق، يحتاج إلى القادة والموجهين حتى لو كانوا في مستوى الأنبياء أو في مراتبهم ومنزلتهم، كما هو الحال في قصة النَّبيّ موسى عليه السلام مع العبد الصالح التي أشارت إليها الآية الآنفة الذكر، وقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في النَّبيّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وفي نفسه: «...ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله وسلم من لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره، ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أُمه يرفع لي في كُل يوم من أخلاقه علما ويأمرني بالاقتداء به...»(١)، فلا يستطيع الإنسان اجتياز هذا الطريق دون الحاجة إلى القادة والموجّهين الربانيّين.

ومن هنا يعتبر الأنبياء عليهم السلام قادة الأُمم والكتب السماوية بمثابة (القوانين)، التي تأخذ بيد الإنسان لتُوصله إلى غايته وتُخرجه من الظلمات إلى النور.

وبعبارة أُخرى، لا يمكن تصور الحياة الاجتماعيّة للإنسان مجرّدة عن هداية عالم الغيب والذات المقدّسة، لا في التقنين والتنفيذ ولا في مجال ضمان العدالة الاجتماعيّة، فالأنبياء عليهم السلام في الواقع يمثّلون همزة الوصل بين عالمي الإنسانيّة والغيب.

---

(١) الشريف الرضي، محمّد بن الحسين بن موسى، نهج البلاغة، ج٢، خ١٩٢، ص: ٤٤٢.

الآيات المُتعلِّقة بالموضوع

ت	اسم السورة – رقم السورة	نص الآية القرآنيّة	رقم الآية
١	الجمعة (٦٢)	﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾	٢
٢	البقرة (٢)	﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾	١٢٩
٣	البقرة (٢)	﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾	١٥١
٤	الحديد (٥٧)	﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾	٢٥
٥	الأعراف (٧)	﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ	١٥٧

		إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾	
٦	إبراهيم (١٤)	﴿ الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾	١
٧	الأنعام (٦)	﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	٤٨
٨	النساء (٤)	﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ ومُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾	١٦٥
١٠	البقرة (٢)	﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾	٢١٣
١١	إبراهيم (١٤)	﴿ هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾	٥٢
١٢	الأنفال (٨)	﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾	٢٤

طوائف الآيات

إنّ ملاك التصنيف في طوائف الآيات، هو نوع الهدف من الإرسال، وقد ظهر بعد تدقيق النظر فيها أنها تنقسم إلى طوائف هي على التوالي: التربية والتعليم، إقامة القسط والعدل، حريّة الإنسان، النجاة من الظلمات، البُشرى والإنذار، إتمام الحُجّة، رفع الاختلاف، التذكير (بالنسبة للبديهيات والمستقلات العقليّة)، الدعوة إلى الحياة الإنسانيّة الطيّبة.

وأمّا الطوائف فهي:

الطائفة الأُولى: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، وقوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.

الطائفة الثانية: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

الطائفة الثالثة: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ

أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.

الطائفة الرابعة: قوله تعالى: ﴿ الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾.

الطائفة الخامسة: قوله تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

الطائفة السادسة: قوله تعالى: ﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ ومُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾.

الطائفة السابعة: قوله تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيما اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾.

الطائفة الثامنة: قوله تعالى: ﴿ هَذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾.

الطائفة التاسعة: قوله تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ ولِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ واعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وقَلْبِهِ وأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾.

أهداف بعثة الرسل

بعد مراجعة طوائف الآيات الآنفة الذكر في التفسير تبيّن أنّها ذكرت أهدافاً عديدة لإرسال الرسل:

أولاً: التربية والتعليم

يقول الله تبارك وتعالى في الآية الأُولى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ...﴾[1]، ونظراً إلى كون التلاوة[2] لآيات الحق تعالى بمثابة المقدمة بالنسبة للتزكية وتعليم الكتاب والحكمة ومحو آثار الضلالة والشرك، يضيف تعالى قائلاً: ﴿...وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

وصحيح أنّ الغاية الرئيسية من تلاوة الآيات وتعليم الكتاب والحكمة هي تزكية وتطهير الروح والبدن والفرد والمجتمع، وأنّ تعلُّم الكتاب والحكمة له دور الطريقية، وبمثابة مقدمة بالنسبة إلى التزكية، لكنّها مع ذلك تقدّمت عليهما نظراً لأهميتها.

في حين أنّنا نجد الآية الثانية من آيات بحثنا التي تتعرّض لدعاء إبراهيم عليه السلام في حق الأُمّة الإسلاميّة، تقوم بتقديم (تعليم الكتاب والحكمة) على (التزكية)، وتضع كُلاً في مكانه الطبيعي له، حيث تقول: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[3]، وإبراهيم عليه السلام قد أبان بهذا الطلب الهدف من بعثة هذا النَّبيّ العظيم صلى الله عليه وآله وسلم وسائر الأنبياء عليهم السلام بكُل وضوح.

---

(١) سورة الجمعة: ٢.

(٢) راجع: المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج١، ص: ٣٩٣.

(٣) سورة البقرة: ١٢٩.

إنّ التأمّل في هاتين الآيتين يكشف عن نكات جديرة بالاعتناء:

١ـ إنّ العبارة الواردة في الآية الأُولى دليل على معرفة الله تعالى من جهة، وعلى النبوة الخاصة لنبي الإسلام محمّد صلى الله عليه وآله وسلم من جهة أُخرى، حيث تؤكّد الآية أنّ الله تعالى هو الّذي بعث نبياً بهذه الخصوصيات، وهذا لا يتم إلّا عن طريق القدرة الإلهيّة فقط: ﴿هُوَ الَّذِى بَعَثَ...﴾. وكذلك تقول: إنّ النَّبيّ هو ذلك الشخص الّذي ظهر من بين جماعة اُميّين، لكنّه على الرغم من ذلك فقد أصبح معلِّماً للمئات والآلاف، وأفاض على أتباعه العلم والحكمة حتى ظهر من بينهم بعد فترة قصيرة أكابر العلماء الّذين قاموا بتأسيس حضارة عظيمة مشرقة[(١)].

٢ـ دار الحديث في كلتا الآيتين عن أربعة مواضيع وهي: (تلاوة آيات الله تعالى) و(تعليم الكتاب) و(تعليم الحكمة) وأخيراً (التزكية والتطهير والتربية).

فإنّ الحالة الطبيعية لهذه المواضيع الأربعة، هي كما اُشير إليها، بأنّه يجب ابتداءً أن يتعرف ويستأنس سمع الإنسان بكلمات الحق تعالى ليُدرك بعد ذلك مضمون الكتاب من أعماق هذه الكلمات، ثمّ يتعرَّف بعد ذلك على الحكمة أي الأسرار الكامنة فيها، وأخيراً يُطهر وينقي الروح والجسم[(٢)].

هذا الترتيب الطبيعي يُلاحظ في الآية المرتبطة بدعاء إبراهيم عليه السلام: لكن (التزكية) قد تقدّمت على (تعليم الكتاب والحكمة) كما جاء

---

(١) مكارم الشيرازي، ناصر، نفحات القرآن، ج٧، ص: ١٧.

(٢) انظر: المصدر السابق.

في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[1]، وذلك لكي تتبيّن هذه الحقيقة التي ترى أنّ الهدف الرئيسي من كُل هذه المقدّمات في تلك الآيات هو الطهارة والتقوى وتربية الإنسان ونمو المُثل والقيم الأخلاقيّة والإنسانيّة[2].

٣- نظراً لتقدّم (التزكية) على (التعليم) في آيتين من القرآن الكريم وتأخّرها عنه في آية واحدة، يرد هذا السؤال: أيٌّ منهما يكون الأصل حقيقة والآخر فرع؟

والجواب عن هذا السؤال ليس بتلك الصعوبة كما تقدّمت الإشارة إلى ذلك؛ لأنّ (العلم) له حيثيّة الطريقيّة المقدميّة، والهدف الرئيسي هو تربية الإنسان وتزكية النفس وتكامل الروح، وبعبارة أُخرى: إنّ تلاوة آيات القرآن الكريم وتعليم العلم والحكمة كُلُّها تهدف إلى هذا الهدف الأسمى، وبناءاً على ذلك تعدّ كُل هذه مقدمة بالنسبة للتزكية التي تعتبر ذي المقدمة، وما السبب وراء ذكر (التزكية) قبل (تعليم الكتاب والحكمة) في آيتين اُخريين إلّا لبيان دورها الخطير هذا.

فضلاً عن ذلك، فإنّ كُل واحد من هذين الأمرين يترك أثره على صاحبه، أي: أنّ الإنسان لا يسعى وراء العلم ما لم تتحقق مرحلة تزكية النفس، وما لم يتحقق العلم فسوف لن تحصل المراحل العالية من التزكية، وبناءاً على هذا فـ (التعليم) و(التزكية) لهما أثران متقابلان، كما يحتمل أن

---

(١) سورة آل عمران: ١٦٤.

(٢) انظر: نفحات القرآن، مصدر سابق، ج٧، ص: ١٧.

يكون الغرض من تنوع الآيات حول هذا الموضوع هو إلفات النظر إلى هذا الأمر.

وينبغي ألّا يخفى أنّ البعض من العلوم كالعُلوم المرتبطة بالمعرفة بصورة عامّة ومعرفة الله تعالى ونظائرها لها حيثيّة ذاتيّة وعينيّة، أو بعبارة أُخرى فهي مطلوبة بالذات، في حين أنّ العلوم الأُخرى ليس لها حيثيّة مقدميّة، ولهذا يمكن أن يكون تنوع الآيات الآنفة الذكر إشارة إلى هذه الملاحظة أيضاً[1].

٤ـ حول الاختلاف المحتمل بين (الكتاب) و(الحكمة) يعتقد البعض بأنّ الكتاب إشارة إلى القرآن الكريم، والحكمة إلى الأحاديث والسنّة النبويّة الشريفة، أو أنّ (الكتاب) إشارة إلى مجموعة الأحكام والأوامر الإلهيّة و(الحكمة) إشارة إلى أسرار تلك الأحكام وفلسفتها، لأنّ الإحاطة بتلك الأسرار تزيد من عزم الإنسان على تنفيذها، كما أنّ هناك احتمالاً آخر وجيهاً أيضاً، وهو أنّ ذكرهما معاً (الكتاب والحكمة) إشارة إلى مصدري المعرفة الرئيسيّين أي (الوحي) و(العقل)[2].

٥ـ لفظة (الأُميّين) على حدّ قول الكثير من المفسِّرين، إشارة إلى اُولئك الّذين لا يعرفون القراءة والكتابة ويجهلون العلم والمعرفة على الإطلاق[3]، وظهور النَّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بين قوم كهؤلاء، هو دليل

(١) انظر: مكارم الشيرازي، ناصر، نفحات القرآن، ج٧، ص: ١٧.

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) الجصّاص، أحمد بن علي، أحكام القرآن، ج٥، ص: ٣٣٥؛ السبزواري، محمّد بن حبيب الله، إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص: ٥٥٨؛ الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١٩، ص: ٢٦٣.

على عظمته وصدق دعوته.

وقد نقل بعض المفسِّرين أنّ لفظة «الأُمّيين» إشارة إلى أهل مكّة التي كانت تُسمّى بـ«أُمّ القُرى»[١]، لكن «المعنى الأوَّل أكثر تناسباً من تلك المعاني»[٢].

٦- إنّ التعبير بـ: (ضلال مبين) هو أفضل تعبير يعكس حالة عرب الجاهليّة، فهم كانوا في ضلال، وأي ضلال، إنّه ضلال مبين ظاهر بجميع أبعاده، ألم يكن وأد البنات وعبادة الأوثان والتعصّبات القبلية المقيتة والحروب الدائمة والإفتخار بالإغارة على الآخرين وأمثالها ضلالاً مبيناً؟

والآية الثالثة تشير أيضاً إلى مسألة التربية والتعليم التي حصلت عند المسلمين على يدي نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم مع هذا الفارق وهو التأكيد بصورة خاصة على العلوم والمعارف التي يستحيل كسبها بدون بعثة النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، إذ تقول: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[٣].

وتفسير هذه الآية كسابقتها، مع فارق وجود جملة في ذيلها تشير إلى أنّ نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم قد علَّم النَّاس علوماً يستحيل الحصول عليها من دون الوحي، وهنا ينبغي ألاّ يفوتنا التفاوت الواضح بين

(١) الطوسي، محمّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج١٠، ص: ٤؛ الطبرسي، الفضل بن الحسن، ج١٠، ص: ٤٢٨.

(٢) مكارم الشيرازي، ناصر، نفحات القرآن، ج٧، ص: ١٩.

(٣) سورة البقرة: ١٥١.

جملة: ﴿... لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ...﴾ النافية لإمكانية التعلّم و﴿لَمْ تَعْلَمُوا﴾ النافية للعلم.

قال في روح المعاني بعد الإلتفات إلى الجملة الأخيرة التي تشير إلى العلوم التي لا يمكن اكتسابها إلاّ عن طريق الوحي: «ليكون من عطف المفرد على المفرد إلّا أنّه تعالى كرر الفعل للدلالة على أنّه جنس آخر غير مشارك لما قبله أصلاً، فهو تخصيص بعد التعميم»[1].

لكن الطوسي في تفسيره[2]، والطبرسي في تفسيره أيضاً[3] سبقاه في التوجّه إلى هذه الملاحظة وأشارا إليها بعبارة مختصرة وواضحة.

إنّ القرآن الكريم يحتوي في الحقيقة على قسمين من العلوم:

فالقسم الأوّل: من المعارف التي يمكن أن تكتسب عن طريق الاستدلال العقلي، وإن كان القرآن قد عرض هذا القسم بشكل أكمل وأكثر اطمئناناً من الاستدلال العقلي.

والقسم الآخر: يستحيل اكتسابه بغير الوحي كما تقدّم، وهو الّذي تمّ الاستناد إليه في الجملة الأخيرة (كالكثير من الحقائق المرتبطة بعالم ما بعد الموت والقيامة)، أو التواريخ المعتبرة للأقوام والأنبياء عليهم السلام السابقين، والتي ضاعت على مرَّ الزمن، وكذلك العلوم والمعارف التي حجبت عن أنظار المفكّرين في ذلك الزمان على أقلّ تقدير.

---

(١) الآلوسي، سيّد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج١، ص: ٤١٧، تحقيق: علي عبد الباري عطية.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج٢، ص: ٣٠.

(٣) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج١، ص: ٤٣٠.

ثانياً: إقامة القسط والعدل

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ وَأَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ والْميزانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنا الْحَديدَ فيهِ بَأْسٌ شَديدٌ وَمَنافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزيزٌ﴾[١]، ويشير فيه بشكل عام إلى أحد الأغراض الرئيسية من بعثة الأنبياء عليهم السلام، ألا وهو إقامة العدالة الإجتماعيّة، وأنّ نزول الكتاب والميزان بمثابة المقدمة لذلك.

وقد جاءت في هذه الآية ثلاثة أُمور تعتبر مقدمة لإقامة العدل، وهي ﴿... بِالْبَيِّناتِ...﴾ التي تعني الأدلّة كما لا يخفى، والمشتملة على المعاجز والأدلّة العقليّة على أحقية دعوة الأنبياء عليهم السلام وأخبار السابقين منهم، و﴿... الْكِتابَ...﴾ الّذي يشير إلى الكتب السماوية التي تحتوي على بيان المعارف والعقائد والأحكام والأخلاق، و﴿... الْميزانَ...﴾ الّذي يعني القوانين المميّزة للخير من الشرّ والفضائل من الرذائل والحق من الباطل[٢].

وهذه القوى الثلاث متّعت أنبياء الله عليهم السلام بقوة مكّنتهم من دفع البشريّة نحو إقرار العدالة، والملفت للنظر هنا هو عدم نسبة إقامة العدالة إلى الأنبياء، بل التصريح بأنّ المجتمعات البشريّة تنشأ على نوع من التربية يدفعها بالنتيجة إلى إقامة العدالة بنفسها! والمهم أيضاً هو ظهور هذه المسألة في المجتمع بصورة إراديّة لا قهريّة.

والتعبير بـ: ﴿... الْميزانَ...﴾ عن القوانين الإلهيّة إنَّما هو لدورها

---

(١) سورة الحديد: ٢٥.

(٢) انظر: مكارم الشيرازي، ناصر، نفحات القرآن، ج٧، ص: ٢١.

المهم في المسائل الحقوقيّة المشابهة لدور الميزان في بيان وزن كُل شيء كما هو عليه، وإنهاء حالة الخلاف والنزاع القائمة، ونظراً لكون القوانين البشريّة الوضعية صادرة من علم الإنسان الناقص، فلا يمكن الإعتماد عليها ولا يمكنها أبداً تحقيق العدالة، بل ينحصر تحقق هذا الأمر في القوانين الإلهيّة النابعة من علم الله تعالى اللانهائي الّذي لا يخالطه الخطأ والاشتباه، ذلك العلم الّذي تنسجم معه النفس المؤمنة وتركن إليه[1].

ويوجد أيضاً فريق لا يبالي بأيٍّ من هذه الأُمور، بل نراه يضع كُل شيء تحت قدميه حفاظاً على مصالحه الشخصية، فلابُدّ من مقاومة هؤلاء بقوة السلاح، وما جملة: ﴿... وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ...﴾ في الآية إلاّ إشارة إلى هذا الفريق الّذي لا يعرف سوى لغة السيف.

وقد اعتقد البعض أنّ التعبير بـ: ﴿... وَأَنْزَلْنَا...﴾ في الآية، يعني مجيء الحديد (الصخور الحديديّة) إلى كرتنا الأرضية من الكواكب الأُخرى، وهو نظر فيه تأمّل؛ لأنّ التعبير بأنزلنا أتى في غير الحديد أيضاً، فمثلاً جاء في أنواع الحيوانات كقوله تعالى: ﴿... وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ...﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[3] في الألبسة التي تغطّي بدن الإنسان، والحيوانات واللباس لم يأتيا من كوكب آخر، بل وجدت منذ أوّل وجودها، لأنّها من مقتضيات الحياة على وجه الكرة الأرضيّة.

(١) انظر: المصدر السابق، ج٧، ص: ٢١.

(٢) سورة الزمر: ٦.

(٣) سورة الأعراف: ٢٦.

فهـذه الآيـة تبـيّن أنّ المـراد منـه هـو الخلقـة والإبـداع الإلهـي في نفـس الأرض، ونزول هذه الموهبة الإلهيّة من مقام الربوبيّة الشامخ إلى مقام الإنسان الداني، يعبر عنها بأنزلنا وبعثنا.

كما يُشاهد هذا التعبير أيضاً في المحاورات اليومية، فحينما تـصدر أوامـر أو تبعث هديّة مـن رئيس دولـة مثلاً إلى مادونـه يقـال: إنّ هـذه الأوامـر أو الهديّة قد جاءت من المراتب العليا[1].

ثالثاً: حريّة الإنسان

قال الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[2]، وأُشير في هذه الآية إلى بُعـد آخـر مـن أبعـاد فلـسفة بعثـة الأنبيـاء عليهم السلام، ألا وهو نجاة الإنسان من مخالب الأسر والاستبداد.

إنّ القرآن الكريم يقيم عدّة أدلّة على أحقيّة النّبيّ الأكرم صلى الله عليـه وآله وسلم بذكره لهذه الأوصاف، والأدلّة:

١ـ كونه أُميّاً، فهل يمكن عرض كتاب كهذا أو علـوم كهـذه مـن قبـل شخص لم يحضر حلقات الدرس.

٢ـ هو شهادة الأنبياء عليهم السلام السابقين على حقانيّة نبوته.

٣ـ إنـسجام تعليماتـه مـع أوامـر العقـل والوجـدان، إذ يـستحيل إيجـاد

---

(١) انظر: مكارم الشيرازي، ناصر، نفحات القرآن، ج٧، ص: ٢١.

(٢) سورة الأعراف: ١٥٧.

مذهب ورسالة لها مثل هذا الإنسجام مع حكم العقل والوجدان، والدعوة إلى الإحسان والنهي عن السيّئات والتوجّه نحو الفضائل وترك الرذائل في محيط مليء بالخرافات والجهل والجاهلية والفظاظة.

٤- بيان حريّة الإنسان والسعي لإنقاذه من مخالب الأسر فطالما كبّل الحكّام الماديّون الإنسان بالأغلال والقيود لتقوية مكانتهم، وأجازوا أنواع العذاب في حقه، بل قد سلبوا حرّيته باسم الحريّة، ولم تكن هناك مدرسة تنادي بخلاص الإنسان من ظلم الطواغيت وتحريره سوى مدرسة الأنبياء عليهم السلام(١).

والجدير بالذكر هو أنّ كلمة (إصر) على وزن (مِصْر) التي تعني عقد الشيء وحبسه وقهره على حدّ قول الراغب في مفرداته وقد فسّرها البعض بالحبس المؤكّد أيضاً، ثمّ استعملت في لوازم هذا المعنى (مثل: العهد والميثاق وثقل الذنوب والحبل الّذي تربط به الخيام وأمثال ذلك)(٢)، وجاءت هنا كناية عن أنواع القيود التي تُثقل كاهل الإنسان.

و(الأغلال) جمع (غل) وهي مشتقّة في الأصل من مادّة (غَلَلْ) المأخوذة من النفوذ التدريجي للأشياء كنفوذ الماء الجاري وسط الأشجار، ونظراً لكون (الغل) هي تلك الحلقة التي تحيط بالرقبة أو بها مع اليد والرجل مجتمعة فقد سمّيت: (غلاً) وأحياناً يطلق عليها (الجامعة) لنفس ذلك الغرض أيضاً(٣).

---

(١) انظر: نفحات القرآن، مصدر سابق، ج٧، ص: ٢٣.

(٢) انظر: المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن، ج١، ص: ٩٣.

(٣) انظر: مكارم الشيرازي، ناصر، نفحات القرآن، ج٧، ص: ٢٣.

وأكثر ما استعمل القرآن الكريم هذه المفردة للتعبير عن (طوق العنق) ولذا قالوا: هي الأغلال التي في أعناق الكفّار.

على أيّة حال، فقد وردت هنا كناية عن أغلال الأسر، والغريب أنّ الكثير من المفسِّرين قد اعتبر (الإصر) و(الأغلال) إشارة إلى التكاليف الشاقّة التي فرضها الله تعالى على اليهود، وإنّ نبي الإسلام محمّد صلى الله عليه وآله وسلم قد رفعها بشريعته السهلة السمحاء، في حين أنّه لا يوجد أي دليل على هذا التقييد والتخصيص، إذ إنّ للآية مفهوماً أوسع، حيث شملت كافّة أنواع الأثقال المعنوية وقيود الأسر: قيود عبادة الأوثان والخرافات والعادات والتقاليد الخاطئة، وقيود الجهل والضياع، وقيود أنواع التفرقة والحياة الطبقية، وقيود القوانين الخاطئة، وقيود الأسر والاستبداد في مخالب الطواغيت، حيث أعاد نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم وسائر الأنبياء عليهم السلام الحريّة الحقيقيّة إلى الإنسان وذلك برفعهم لهذه الأثقال وفكّهم لتلك القيود والأغلال عنه.

رابعاً: النجاة من الظلمات

ذكر الله سبحانه وتعالى في الآية السادسة، الهدف وراء البعثة ونزول القرآن المجيد، وهو إخراج النّاس من الظلمات إلى النور: ﴿الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[1].

و«الظلمات» نظراً لورودها بصيغة الجمع فإنّها تمثل مفهوماً واسعاً

(١) سورة إبراهيم: ١.

وشاملاً لكُل أنواع الظلمات: ظلمة الشرك والظلم والجهل وهوى النفس، وأنواع الحجب التي تسدل على قلب الإنسان وكذلك الظلمات التي تخيّم على المجتمعات(١).

فالهدف من نزول الكتب السماوية هو إنقاذ الإنسان من كُل هذه الظلمات والأخذ بيده نحو نور التوحيد والتقوى والعدل والإنصاف والأُخوّة و...

والملفت للنظر هنا مجيء (الظلمات) بصيغة الجمع و(النور) بصيغة المفرد، وذلك لأنّ طريق التوحيد والحق واحد لا يوجد طريق سواه، وهو ذلك الطريق المستقيم الّذي يربط بين المبدأ والمعاد فهو يختلف عن طرق الضلال المتشعبة، فنور الإيمان والتقوى هو أساس الوحدة والاتحاد، أمّا ظلمات الشرك واتّباع الهوى والطغيان فهي السبب الأساس في الاختلاف والحيرة والضياع(٢).

وحَصْرُ بعض المفسِّرين (الظلمات) بـ: (الشرك)، و(النور) بـ: (التوحيد) فقط لا يستند إلى دليل، إذ ليس ما ذهبوا إليه إلاّ أحد المصاديق الواسعة للآية(٣).

وبناءاً على هذا فأحد أهداف البعثة هو نجاة الإنسان من الظلمات الفكرية والعقائدية والأخلاقية والعمليّة، وهدايته نحو النور والحياة الواقعية.

---

(١) راجع: مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٧، ص: ٤٥١.

(٢) راجع: المصدر نفسه.

(٣) انظر: مكارم الشيرازي، ناصر، نفحات القرآن، ج٧، ص: ٢٦.

ويمكن أيضاً إيراد هذا الهدف في أهداف التربية والتعليم وإقامة العدل والحريّة، أو العكس، ولكن نظراً لورود كُل هدف على حده في القرآن الكريم، فقد راعينا عرضها بصورة مستقلّة أيضاً.

والنور والهداية لايختصان بالقرآن الكريم فحسب بل قد ورد تعبير (النور) في حق النَّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً في الآية: ﴿ وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾[1].

والتعبير بـ: (النَّاس) بحسب ما ذهب إليه تفسير الميزان[2]، هو لبيان أنّ الهدف من بعثة نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم هو لهداية عامّة النَّاس(في كُل زمان ومكان ما دامت السماوات والأرضون) والتعبير بـ: (بإذن ربّهم) هو لبيان أنّ هداية الأنبياء عليهم السلام هي في الواقع جزء من (ربوبية الباري جلّت قدرته) وفي مساره الّذي يرتضيه هو، انسجام الربوبية في عالم التشريع مع ربوبيته في عالم التكوين[3].

خامساً: البشرى والإنذار

مع أنّ الترغيب بأنواع الهِبات والمكافئات الماديّة والمعنوية الإلهيّة والترهيب والإنذار من العقاب الشديد النفسي والبدني هما الطريق إلى التربية والتعليم، والعامل المساعد للإخراج من الظلمات إلى النور، لكن نظراً لتركيز القرآن الكريم عليهما كثيراً يمكن اعتبارهما أحد أهداف بعثة الأنبياء عليهم

---

(١) سورة الأحزاب: ٤٦.

(٢) راجع: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١٢، ص: ٧-٨.

(٣) انظر: المصدر السابق، ص: ٢٧.

السلام، وفي الآية السابعة من آيات البحث تمّت الإشارة إلى هذا الهدف إذ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ... ﴾[١].

فالآية ونظائرها تعتبر الـ: (بشارة) والـ: (إنذار) بمثابة برنامج رئيسي للأنبياء عليهم السلام، وتُعدّ أيضاً ردّاً على أُولئك الّذين يعتبرون الأنبياء عليهم السلام آلهة ويرجون منهم إظهار كُل أنواع القدرة الإلهيّة، وعلى أُولئك الّذين انكروا دعوتهم وخالفوهم في مسيرهم، إذ يؤكّد الله تعالى أنّ وظيفة الأنبياء عليهم السلام هي البشرى والإنذار فقط، أمّا باقي الأُمور فهي موكولة إليه تعالى، وأنّ الهداية مرتبطة بالنّاس أنفسهم كما في قوله تعالى: ﴿ ... فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾، ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾[٢]، ففي الواقع يمكن حصر كُل الدوافع الإنسانيّة في هاتين الجملتين المعروفتين: (جلب المنفعة) و(دفع الضرر) مطلقاً، وقد ركّزت (البشارة) و(الإنذار) عليهما، كما أنّهما بمثابة الأساس الّذي تعتمد عليه كُل تربية إلهيّة وبشريّة ماديّة ومعنويّة.

البشارة لا تكفي لوحدها وكذلك الإنذار، بل لابُدّ من حاكميتهما معاً على حياة الإنسان وفي كُل مراحل التربية منذ نعومة أظفاره حتى الرمق الأخير، والّذي يلتزم بإحداهما دون الأُخرى سيفشل في برامجه، إذ كما أنّ التشويق يُعدّ عاملاً محركاً، فكذلك التهديد يُعدّ رادعاً قوياً بالنسبة للمعاندين[٣].

---

(١) سورة الأنعام: ٤٨.

(٢) سورة الأنعام: ٤٩.

(٣) انظر: مكارم الشيرازي، ناصر، نفحات القرآن، ج٧، ص: ٢٧.

سادساً: إتمام الحُجّة

إنّ من الطبيعي أن يمتنع فريقٌ من الأنانيين والمتغطرسين المعاندين الّذين يرون دعوة الأنبياء عليهم السلام مخالفة لأغراضهم الشخصيّة عن قبولها ويقفون منها موقفاً سلبياً، ولو أنّ الله سبحانه وتعالى لم يبعث نبياً، فمن الممكن أن يدعي هؤلاء ادعاءات وحججاً واهية، من بينها، أنّ الله سبحانه وتعالى لو بعث نبياً لاستقبلناه بصدور رحبة ولآمنا برسالته وبما يقول، إلى غير ذلك من الادعاءات الكاذبة.

وعلى هذا الأساس فإنّ أحد أهداف بعثة الأنبياء هو إلقاء الحجة على هذه المجموعة وكافّة المعاندين، وأنّ إلقاء الحُجّة هذا، يمثّل:

أوّلًا: العدل الإلهي بالشكل الواضح والدقيق.

وثانياً: يقطع على أهل الكذب الطريق ويحول دون تقديمهم الحجج والادّعاءات الجوفاء، أو بتعبير علمي أدقّ فإنّ مسألة استحقاق الجزاء بالنسبة لهذه المجموعة تخرج من إطار الاستعداد والقوة إلى حَيّز الفعليّة [1].

ولذا قال تعالى: ﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ ومُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وكانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ [2]، كما ورد نظير هذا المعنى في آيتين آخريين يتّحد مضمونهما في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى ﴾ [3]، وورد قريب من هذا المعنى أيضاً في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلاَ أَنْ

(١) انظر: المصدر السابق، ج٧، ص: ٢٨.

(٢) سورة النساء: ١٦٥.

(٣) سورة طه: ١٣٤.

تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

سابعاً: رفع الاختلاف

إنّ المجتمعات البشريّة كانت ولا تزال تعاني من الاختلاف وتحترق بناره، وتضيّع المزيد من القدرات والإمكانات الهائلة بسببه، تلك الإمكانات التي لو وضعت في مكانها المناسب لغدت الدنيا جنّة الفردوس.

ومن جهة أُخرى فإنّه من المُسلّم أنّ النَّاس لا يستطيعون تسوية الاختلافات التي تقع بينهم، وذلك بسبب قصور ومحدودية علمهم بكُل جوانب الحياة، بالإضافة إلى الأنانية والتكبّر الّذي يمنعهم من الاذعان والركون إلى بعضهم البعض.

أمّا الأنبياء عليهم السلام الّذين ينبع علمهم من بحر علم الله تعالى اللامتناهي والّذي لا يُقارَن بمستوى علم البشر، فإنّهم يتمكّنون من أداء دور فعّال في حلّ تلك الاختلافات وإزالتها.

ولذا أشارت الآية التاسعة من البحث إلى هذا الهدف قائلة: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾[2].

و(الأُمّة) في الأصل على ما ذهب إليه الراغب في مفرداته، تطلق على: «كُل جماعة يجمعهم أمر ما إمّا دين واحد، أو زمان واحد، أو مكان واحد

---

(١) سورة القصص: ٤٧.

(٢) سورة البقرة: ٢١٣.

سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيرا أو اختيارا، وجمعها اُمم»[١].

وقد وردت هذه اللفظة بمعنى العقيدة أيضاً: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ * وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾[٢].

وأحياناً جاءت بمعنى نفس الزمان كما قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[٤].

وفي الآية مورد البحث يبدو أنّ «الاُمّة» جاءت بمعنى الجماعة الواحدة[٥].

لكن ما هي هذه الاُمّة الواحدة التي عاشت في بداية الخلقة يا تُرى؟ وما هي عقيدتها؟ يوجد بين المفسِّرين حديث طويل وعريض حول هذا الموضوع، كان من أهمّه: إنّها كانت اُمّة مهتدية، وكانت هدايتها نابعة من الفطرة الإلهيّة المودعة لديها، ثمّ اختلفت ذلك الاختلاف الناشئ من علمها

---

(١) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمّد، المفردات في غريب القرآن، ص: ٨٥.

(٢) سورة الزخرف: ٢٢-٢٣.

(٣) سورة يوسف: ٤٥.

(٤) سورة هود: ٨.

(٥) انظر: الطوسي، محمّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج٢، ص: ١٩٤؛ الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٢، ص: ٥٤٣؛ البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج١، ص: ١٣٥.

المحدود، وذلك لعجز أحكام الفطرة والمستقلات العقلية عن الأخذ بزمام الأُمور لوحدها، ومن هنا بعث الله تعالى الأنبياء عليهم السلام إلى البشريّة لتخليصها من مشكلة الاختلافات الناشئة من الجهل ومحدودية معرفتها.

فبعث الله الأنبياء عليهم السلام ووضعوا حداً لهذه الاختلافات وبيّنوا الحقائق، لكنّه ظهر بعد ذلك اختلاف آخر نشأ من البخل والظلم والفساد، وهنا أيضاً شملت الألطاف الإلهيّة المؤمنين المخلصين، فسلكوا الطريق إلى الحق مهتدين بنور إيمانهم وتقواهم إلى أن بلغوا الصراط المستقيم، بينما بقي الآخرون غارقين في ظلمات الاختلاف.

وطبقاً لهذا التفسير، فالأُمّة الواحدة التي ظهرت أوّلاً كانت على الحق، لكن محدوديّة إدراك العقل البشري كانت سبباً في الاختلافات، ثمّ أعلن الأنبياء عليهم السلام عن خاتمة هذه الاختلافات عن طريق الوحي المعصوم من الخطأ، لكن هوى النفس والميول والتكبر والعجب كان السبب وراء بروز اختلافات جديدة، ولم ينج من هذه الاختلافات سوى المؤمنين الصالحين(١).

ثامناً: التذكير (بالنسبة للبديهيات والمستقلات العقليّة)

فأحكام الأنبياء عليهم السلام وتعليماتهم تؤيّد أحكام العقل وتدعمها، وهذه بنفسها أحد أهداف بعثتهم التي أشارت لها الآية المباركة: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(٢)، وتوضيح ذلك:

---

(١) انظر: مكارم الشيرازي، ناصر، نفحات القرآن، ج٧، ص: ٢٩-٣٠.

(٢) سورة إبراهيم: ٥٢.

إنّ الإنسان يدرك الكثير من حقائق الكون، وكذلك ما ينبغي وما لا ينبغي بواسطة عقله، لكن هناك وساوساً مزمنة كامنة في هذه الإدراكات العقلية، خصوصاً إشكالات السفسطائيين أو الطوائف المنكرة للحسن والقبح العقليين وأمثالها التي تؤدّي إلى إضعاف العقل وبالتالي النظر إلى هذه الإدراكات والمستقلاّت العقلية نظرة سلبية.

وهنا يستوجب اللطف الإلهي إرسال الأنبياء عليهم السلام ليؤكّدوا ضمن دعوهم إلى الله تعالى صحّة الإدراكات العقليّة وعلى أنّ الفتن الواقعيّة إنّما هي من فعل العقل البشري، وذلك من خلال بياناهم الصادرة من الوحي السماوي، ويقطعوا الطريق أمام الوساوس التي تعترض هذه الإدراكات[١].

هذا هو الّذي عبّر عنه القرآن بـ: (التذكّر) في الآية مورد البحث: ﴿...وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾، والتعبير بـ: (الذكر) كثير جدّاً في القرآن، ومجموع ما ذكر إثنتان وخمسون مرَّة في مختلف الآيات والتي تشير أغلبها إلى القرآن الكريم.

أمّا التعبير بـ: (ذكّر) - مخاطبة النّبيّ بصيغة الأمر - فقد جاء في ستة موارد، وتعبير (يتذكّر) في ثمانية موارد، و(تذكّرون) في سبعة عشر مورداً، و(يتذكّرون) في سبعة موارد، وما أكثر مشتقات هذه المادّة في القرآن الكريم والتي تبيّن بمجموعها أنّ قسماً عظيماً من تعليمات الأنبياء عليهم السلام لها صبغة تذكريّة وإعادة المنسيّات إلى الأذهان على أقل تقدير[٢].

---

(١) انظر: مكارم الشيرازي، ناصر، نفحات القرآن، ج٧، ص: ٣٢.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص: ٣٣.

ويستفاد من كلمات بعض أهل اللُغة أنّ (الذّكر) لا يعني العلم والمعرفة، بل يعني: (إعادة الإطّلاع على الشيء)، يقول الراغب في مفرداته بعد مقارنته بين (الذّكر) و(الحفظ): التفاوت بينهما هو أنّ الحفظ يقال اعتباراً بالإحراز، والذكر يقال اعتباراً بالاستحضار، ثمّ يضيف قائلاً: الذكر ضربان: ذكر عن نسيان وذكر لا عن نسيان بل عن إدامة الحفظ[1]، وهذا التعبير يبيّن أنّ الذكر هو في كُل الأحوال نوع من الإلتفات المستأنف للشيء الّذي كان ساكناً في الذهن سابقاً، سواء كان بعد النسيان أم لا، وقد ورد (الذِكر) بمعنيين أيضاً في كتاب: «معجم مقاييس اللُغة»: الأوَّل إشارة إلى الجنس المذكّر في قبال الجنس المؤنث، والثاني ما يقابل النسيان[2].

إنّ هذه التعابير القرآنيّة يمكنها أن تكون إشارة إلى ما ذكر أعلاه، وهو أنّ الإنسان يدرك سلسلة من الحقائق عن طريق العقل، كما ويحصل على القسم الأعظم من (ما ينبغي وما لا ينبغي) الّذي يُعدّ من المستقلات العقلية كحسن أنواع الإحسان وقبح أنواع الظلم والفساد، لكن الشك والترديد يراود هذه البديهيات أحياناً بسبب وساوس الشياطين.

وهنا يأتي دور الأنبياء عليهم السلام لمساعدة النّاس وتأييد هذه الإدراكات العقلية، إذ يبطلون مفعول هذه الوساوس، أو بعبارة أُخرى يعيدون هذه الأُمور إلى الأذهان.

ويستفاد من الآية الآنفة الذِكر أنّ دور الأنبياء عليهم السلام يكمن في

---

(١) انظر: الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمّد، المفردات في غريب القرآن، ص: ٣٢٨.

(٢) انظر: ابن فارس، أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللُغة، ص: ٣٦٨.

أُمور هي: **الأوَّل:** إبلاغ الدعوة الإلهيّة للبشرية جمعاء، **والثاني:** إتمام الحجّة، **والثالث:** الإنذار والتبشير، وأخيراً التعليم والتذكير وقد تمّت الإشارة إليها في الآيات السابقة أيضاً[1].

تاسعاً: الدعوة إلى الحياة الإنسانيّة الطيّبة

لقد أشارت الآية الحادية عشرة من آيات بحثنا هذا إلى نقطة اتفقت عليها الأهداف التي سبقت الاشارة إليها من بعثة الأنبياء، وهي أنّ الأنبياء عليهم السلام دعوا أفراد البشر لكي يحيون حياة طيبة حقيقية وشاملة لكُل متطلبات العيش.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اسْتَجيبُوا لِلَّهِ وِلِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْييكُمْ واعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وقَلْبِهِ وأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[2]، وهذا التعبير هو أقصر، وفي نفس الوقت أشمل تعبير ورد بحق دعوة نبي الإسلام محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ودعوة كافّة الأنبياء عليهم السلام، والّذي يؤكد على أنّ هدف البعثة هو الحياة في كافّة أبعادها: الماديّة والمعنويّة والثقافيّة والإقتصاديّة والسياسيّة والأخلاقيّة والإجتماعيّة، مع أنّ الحياة في آيات القرآن قد وردت بمعنى الحياة النباتيّة أحياناً، كما في قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[3]، والحياة الحيوانية أحياناً أُخرى كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا

---

(١) انظر: مكارم الشيرازي، ناصر، نفحات القرآن، ج٧، ص: ٣٣-٣٤.

(٢) سورة الأنفال: ٢٤.

(٣) سورة الحديد: ١٧.

لَمُحْيِ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١]، لكنّها وردت هنا بمعنى الحياة الإنسانيّة، قال تعالى في بعض المؤمنين الّذين آمنوا: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ...﴾[٢].

وبناءاً على هذا فلو رأينا البعض يعتبر الآية المعنية ناظرة إلى (الجهاد) لوحده باعتباره العامل الأساسي في حياة الأُمم، أو (الإيمان بالله) أو العلم والمعرفة أو الحياة الأُخروية، فهم في الواقع إنّما يحدّدونها في بعض مصاديقها فحسب، وإلاّ فمفهومها أوسع وأشمل من هذه كُلِّها.

والملفت للنظر أنّ الحياة في هذه الآية قد فسّرت في الروايات[٣] بمعنى: ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، وهي في الحقيقة أحد مصاديقها الهامّة وذلك لأنّ ولايته عليه السلام هي السبب للدعوة إلى الإسلام في كافّة المجالات، فولايته دعوة إلى العلم والزهد والتقوى والإيثار والإخلاص.

نتيجة المبحث

إنّ الهدف من إرسال الرسل بحسب وجهة نظر القرآن الكريم، هو هدف مركَّب ومتعدد الجوانب، محوره الأساس: سعادة الإنسانيّة وهدايتها نحو الكمال المطلق، وجوانبه: التعليم، وتهذيب النفوس، وإقامة القسط والعدل، والحرية، وإقامة الحُجّة ورفع الاختلافات، ونظراً لأهميته فرّقه القرآن الكريم بين آياته الشريفة كُل على حدة، ولولا الأنبياء وأديانهم السماوية والتعاليم

(١) سورة فُصّلت: ٣٩.

(٢) سورة الأنعام: ١٢٢.

(٣) العروسي الحويزي، عبد علي بن جمعة، تفسير نور الثقلين، ج٢، ص١٤١، ح٥٠ و٥٢.

المقدسة التي جاءوا بها منذ اليوم الأوَّل لنشأة المجتمع الإنساني، لانتظر الإنسانيّة مصير مظلم نعيش في عصرنا الحاضر بعض ظلماته الحالكة.

ويستنتج من الشرح أعلاه: إنّ الدين والمذهب على خلاف ما يراه الكثير من البسطاء وذوى النظر الضيّق، أنّه لم يُعَدّ مسألة شخصيّة خاصة، بل حقيقة لها وجودها ودورها الفاعل في كافّة أبعاد حياة الإنسان، وأنّها تُضفي على كافّة شؤون الحياة صبغة إلهيّة وإنسانيّة، وأنّ الشعار الّذي ترفعه اليوم كُل القوى العظمى في العالم، أي: الدول التي يصطلح عليها بالمتطوّرة، هو الحفاظ على منافعها الخاصة، وليس حفظ المثل والقيم، كالعدالة الاجتماعيّة وإقامة القسط والحرّية والأخلاق الإنسانيّة، إذ أنّ مثل هذه القيم لا توجد إلّا بمعيّة دعوة الأنبياء عليهم السلام ولا غير.

المبحث الثاني: عناصر المجتمع في القرآن الكريم

نتناول في هذا المبحث طريقة من طُرق التفسير الموضوعي، وهي طريقة التفسير الموضوعي خارج القرآن الكريم، ونعرض كنموذج لذلك دراسة قام بها محمّد باقر الصدر لعناصر المجتمع في القرآن الكريم، إذ يُعتبر واضع هذه الطريقة في البحث التفسيري القرآني، وقد اعتمدنا في عرض هذه الدراسة على كتاب المدرسة القرآنيّة، وكتاب منهج محمّد باقر الصدر في فهم القرآن لأحمد الأزرقي، وهو في الأساس رسالة كُتبت لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن الكريم.

تمهيد

قدّم القرآن الكريم الدين، بوصفه مقوماً أساسياً لخلق الله تبارك وتعالى، وسُنّة من سُنن الحياة والتاريخ؛ سنُة من الشكل الثالث (*)، تقبل التحدي، لكن على الشوط القصير، وتحديها يعاقب بسنن التاريخ نفسها.

وقد أشير إلى هذه الخاصية في ذيل الآية المباركة: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ

(*) أي: أنّ وجودها واقعي، ووقوعها حتمي.

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾[١] بعبارة: ﴿ ... وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾، وتوضيح هذه السُنّة يتطلّب تحليل عناصر المجتمع الإنساني، وهنا نسأل: ما هي عناصر المجتمع، وما هي مقومات مركبها الاجتماعي، وكيف تكون العلاقة بين أطرافه، وضمن أي إطار، وأي سُنّة؟

فهذه الأسئلة يجيبنا عليها القرآن الكريم الّذي تحدث عن الخلق الأوَّل في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[٢].

عناصر المجتمع

حينما نستعرض الآية المباركة السابقة الذكر، نجد أنّها تُنبئ عن إخبار الله تعالى للملائكة عن قراره بإنشاء مجتمع على الأرض، وعندما نتدبرها نستخلص منها أنّ عناصره:

الإنسان (الخليفة): وهو المحور الأساس والعنصر الأهم من بين عناصر المجتمع الإنساني الّذي خلقه الله تعالى للقيام بهذا الدور الاجتماعي؛ الأرض أو الطبيعة، ويراد منها جسم الكرة الأرضية وما يحيط بها من عوالم مرتبطة بها وبالإنسان؛ العلاقة القائمة بين الإنسان والأرض من ناحية، وبين الإنسان والإنسان من ناحية أُخرى، وهذا العنصر هو العنصر المرن والمتحرك فيها.

وهذه الثلاثة أساسيّة ومقومة وثابتة في أي مجتمع كان، ولا توجد نظريّة

(١) سورة الروم: ٣٠.

(٢) سورة البقرة: ٣٠.

اجتماعيّة إلهيّة، أو مادية تتحدث عن المجتمع ولا تفترض فيها هذه العناصر[1].

صيغ العلاقة بين عناصر المجتمع

إنّ العنصر الثالث المرن والمتحرك من عناصر المجتمع له صيغتان أساسيتان: صيغة (ثلاثية)، وأُخرى (رباعية) ترتبط بموجبها الطبيعة والإنسان مع الإنسان، مع افتراض طرف رابع لها أو بعدٍ رابعٍ ليس داخلاً في إطار المجتمع، بل خارجاً عنه، حيث تعتبره مقوماً من المقومات الأساسيّة للعلاقة الاجتماعيّة برغم خروجه عن المجتمع، وهذه الصيغة ذات الأبعاد الأربعة، هي التي طرحها القرآن الكريم تحت اسم الاستخلاف، الّذي نجد عند تحليله أنّه يتكون من: (مُسْتَخْلَفٌ) وهو الإنسان، و(مُسْتَخْلَفٌ) عليه وهي الأرض، و(مُسْتَخْلِفٌ) وهو الله سبحانه وتعالى، فالعلاقة الاجتماعيّة ضمن صيغة الاستخلاف تكون ذات أطراف أربعة وهذه الصيغة ترتبط بوجهة نظر معيّنة نحو الحياة والكون، بوجهة نظر قائلة بأنه لا سيد ولا مالك ولا إله للكون وللحياة إلاّ اللّه سبحانه وتعالى، وأنّ دور الإنسان في مُمارسة حياته إنما هو دور الاستخلاف والاستئمان، وأي علاقة تنشأ بين الإنسان والطبيعة فهي في جوهرها ليست علاقة مالك بمملوك وإنَّما هي علاقة أمين على أمانة مأمون عليها، وأي علاقة تنشأ بين الإنسان وأخيه الإنسان مهما كان المركز الاجتماعي لهذا أو لذاك فهي علاقة استخلاف وتفاعل بقدر ما يكون هذا الإنسان أو ذاك مؤدياً لواجبه بهذه الخلافة.

---

(١) انظر: الصدر، محمّد باقر، المدرسة القرآنيّة، ص: ١٢٤-١٢٦.

أمّا الصيغة الثلاثية الأطراف فهي: صيغة تربط بين الإنسان والإنسان والطبيعة، ولكنّها تقطع صلة هذه الأطراف مع الطرف الرابع، وتجرد تركيب العلاقة الاجتماعيّة عنه، لذا أوجدت الألوان المختلفة للملكية والسيادة (سيادة الإنسان على أخيه الإنسان بأشكالها المختلفة التي استعرضها التاريخ).

وبالتدقيق في المقارنة بين الصيغتين، يتضح أن إضافة الطرف الرابع للصيغة الرباعية ليس مجرد إضافة عددية، بل هي إضافة نوعية تُحدث تغييراً نوعياً في بنية العلاقة الاجتماعيّة وفي تركيب الأطراف الثلاثة الأُخرى نفسها، إذ تحوِّل علاقة الإنسان مع أخيه الإنسان إلى علاقة الشريك في حمل الأمانة والاستخلاف وتعود الطبيعة بكُل ما فيها من ثروات وبكُل ما عليها ومن عليها مجرد أمانة لابُدّ من رعاية واجبها وأداء حقها[1].

خطوط العلاقة الاجتماعيّة

وفي بيان خطوط العلاقة الاجتماعيّة وفق الصيغة الرباعية نجد الصدر يستشهد بالآية المباركة: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾[2]، ليستدل بهما على سُننية الدين من جانب، وعلى فاعلية العلاقة الرباعية من جانب آخر، فيقول: إن الأمانة التي عرضت على الإنسان لم تعرض عليه عرضاً تشريعياً بوصفها تكليفاً أو طلباً على مستوى الامتثال والطاعة، بقرينة أن هذا العرض كان معروضاً على الجبال والسموات والأرض، ومن الواضح

(١) انظر: الصدر، محمّد باقر، المدرسة القرآنيّة، ص: ١٢٧-١٣٠.

(٢) سورة الأحزاب: ٧٢.

أنه لا معنى لتكليف الجبال والسموات والأرض.

ولكن العرض كان عرضاً تكوينياً، هذا العرض معناه أن هذه العطية الربانية كانت تفتش عن الموضع القابل لها في الطبيعة، والإنسان هو الكائن الوحيد الّذي كان بحكم تركيبه، وبنيته، وفطرته التي فطره الله عليها، منسجماً مع العلاقة الاجتماعيّة ذات الأطراف الأربعة.

إذن فالعرض هنا عرض تكويني، والقبول هنا قبول تكويني، وهو معنى سنة التاريخ، يعني: إنّ العلاقة الاجتماعيّة ذات الأطراف الأربعة داخلة في تكوين الإنسان وتركيب مساره الطبيعي والتاريخي[1].

ثم يستعرض الصدر آية أُخرى ليدلل بها على أهمية التوحيد، وهي قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾[2]، قائلاً: هذه القيمومة في الدين هي التعبير المجمل في تلك الآية عن العلاقة الاجتماعيّة الرباعية التي طرحت في الآيتين: في آية: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ وآية: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، ثم يُعقّب قائلاً: «إذن فالدين سُنّة الحياة والتاريخ، والدين هو الدين القيم، والدين القيم هو العلاقة الاجتماعيّة الرباعية الأطراف التي يدخل الله فيها بعداً رابعاً؛ لكي يحدث تغييراً في بنية هذه العلاقة، لا لكي تكون مجرد إضافة عددية»[3].

وبعد ذلك يتجه الصدر إلى تفصيل الحديث عن هذه الظاهرة، أي:

---

(١) انظر: الصدر، محمّد باقر، المدرسة القرآنيّة، ص: ١٣١-١٣٤.

(٢) سورة الروم: ٣٠

(٣) الصدر، محمّد باقر، المدرسة القرآنيّة، ص: ١٣٤-١٣٥.

الدين بصفته المتقدمة سنة تاريخية وانعكاسها على المسار التاريخي، بادئاً بالتركيز على عنصري: الإنسان والطبيعة.

فبالنسبة إلى العنصر الأوَّل يعود الصدر إلى تمهيده الّذي ذكر فيه أن حركة التاريخ تتميز بكونها حركة هادفة لها علة غائية تتطلع إلى المستقبل، فالمستقبل هو المحرك لأي نشاط من النشاطات التاريخيّة، والمستقبل معدوم، وإنَّما يُحرَك من خلال الوجود الذهني الّذي يتمثل في المستقبل، ويتمثل المحتوى الداخلي للإنسان بركنين أساسيين هما: الأفكار التي يحملها الإنسان حيال الهدف، والإرادة التي تحفزه على ذلك، فالمحتوى الداخلي للإنسان هو الّذي يصنع هذه الغايات، ويجسد هذه الأهداف من خلال مزجه بين الفكر والإرادة.

وأما العلاقة بين المحتوى الداخلي للإنسان والبناء الفوقي والتاريخي للمجتمع فهي علاقة سبب بمسبب، والمحتوى الداخلي للأمَّة كأمَّة يعتبر أساساً وقاعدةً للتغييرات في النباء العلوي في الحركة التاريخيّة كُلِّها.

نظرية المثل العُليا القرآنيّة

تركز هذه النظريّة على المحتوى الداخلي للإنسان، والّذي يتأثر بالصورة الذهنيّة التي يكونها الإنسان في فكره وذهنه للمستقبل، والتي يتخذها غاية وهدفاً، ومثلاً أعلى له يتحرك نحوه بإرادته، ومن أجل الوصول إليه تكون إرادته إرادة للأعمال والنشاطات التي توصله إليه.

فالصورة الذهنيّة أو (المثل الأعلى) الّذي يكونّه الإنسان في ذهنه عن المستقبل هو: نقطة البدء في بناء المحتوى الداخلي للإنسان وللجماعات

البشريّة، فإذا كان هذا المثل مثلاً صالحاً ومطلقاً وغير محدود بحدود، فإنّ المحتوى الداخلي للإنسان يتغيّر في صورة هذا المثل اللامحدود، وكذلك إذا كان هذا المثل منخفضا ومحدوداً وقاصراً، فإنّ محتواه الداخلي يتغيّر تبعاً لهذه الصورة أيضاً.

يقول الصدر: «... والقرآن الكريم والتعبير الديني يُطلق على المثل الأعلى في جملة من الحالات اسم الإله، باعتبار أن المثل الأعلى هو القائد الآمر المطاع الموجه، وهذه الصفات يراها القرآن للإله، وبهذا يعبّر عن كُل من يكون مثلاً أعلى بالإله؛ لأنّه هو الّذي يصنع مسار التاريخ، حتى ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ...﴾ / [سورة الفرقان: ٤٣]، إذ عبّر عن الهوى بأنّه إله حينما تصاعد تصاعداً مصطنعاً فأصبح هو المثل الأعلى، وهو الغاية القصوى لهذا الفرد أو ذاك»[١].

أقسام المُثُل العُليا

قسّم محمّد باقر الصدر المثل الأعلى إلى ثلاثة أقسام هي:

أ- المثل الّذي يستمد مادته من الواقع الّذي يعيشه الإنسان، وهذا القسم يراه الصدر مثلاً تكرارياً، والحركة التاريخيّة على أساسه حركة تكرارية أيضاً، والتكرار يتمثل بأخذ الحاضر ليكون هو المستقبل، ويتحوَّل إلى مطلق لا عطاء فيه.

أما سبب تبني هذا النوع من المثل المنخفضة فيرجع في رأيه إلى سببين متكئاً في ذلك على النصوص القرآنيّة:

---

(١) المصدر السابق، ص: ١٤٥-١٤٧.

١ـ سبب نفسي: (الأُلفة والعادة والخمول والضياع)[١]، وهي عوامل نفسية متى ما انتشرت جمّدت الواقع، وأصبحت مثلاً أعلى؛ ولذلك وقفت أمثلة هذه المجتمعات أمام دعوة الأنبياء عليهم السلام متمسكة بدين آبائهم، قال عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾[٢].

٢ـ التسلط الفرعوني؛ فالفراعنة حينما يحتلون مراكزهم يجدون زعزعة لوجودهم وهزاً لمراكزهم في أي تطلّع إلى المستقبل، وأي تجاوز للواقع الّذي سيطروا عليه، ومن هنا فإنّ من مصلحة فرعون أن يُغمض عيون النَّاس على هذا الواقع، ويحوّله إلى مطلق، أي: إله أو مثل أعلى لا يمكن تجاوزه، فيحاول أن يحبس ويضع كُل الأمة في إطار نظرته ووجوده هو، لكي لا تتمكن هذه الأُمّة أن تبحث عن مثل أعلى ينقلها من الحاضر إلى المستقبل، وقد عرض القرآن الكريم هذا المثل في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿...قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[٤].

إذن هذا التجميد ضمن إطار الواقع الّذي تعيشه الجماعة البشريّة أيّاً كانت، ينشأ من حرص أولئك الّذين تسلطوا عليها، على أن يضمنوا

---

(١) انظر: الصدر، محمّد باقر، المدرسة القرآنيّة، ص: ١٤٩ـ١٥١.

(٢) سورة البقرة: ١٧٠.

(٣) سورة القصص: ٣٨.

(٤) سورة غافر: ٢٩.

وجودهم والواقع الّذي هم فيه، والقرآن الكريم يسمي هذا النوع من القوى بالطاغوت؛ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾(١).

الإجراءات التاريخيّة تجاه الأُمة المنهارة

بعد أن قدّم محمّد باقر الصدر تصوره حول القسم الأوَّل من المثل الأعلى، اتجه إلى تحليل اجتماعي للنتائج المترتبة على الأمَّة التي تتحوَّل إلى شبح نتيجة لفقدانها المثل الأعلى، مشيراً إلى أن هناك ثلاثة إجراءات تترتب على ذلك:

الأوّل: أن تتداعى الأُمة أمام الغزو الخارجي.

الثاني: أن تستورد مثلاً جديداً هو الحضارة الأُوربيّة.

الثالث: أن تتولد في أعماقها فكرة إعادة المثل الأعلى الديني، وهذا ما حدث في بداية عصر الإستعمار، حيث ظهر رواد الفكر في مقابل حضارة الغرب(٢).

ب- المثل الّذي يستمد مادته من طموح محدد، وهذا النوع هو المثل الأعلى المشتق من طموح محدد، حيث يرى الصدر: إنّ في هذا المثل الأعلى جانباً موضوعياً وصحيحاً، ولكنّه يحتوي على إمكانيات خطر كبير، فجانبه الموضوعي هو: إن الإنسان عبر مسيرته الطويلة، لا يمكنه أن يستوعب

---

(١) سورة الزمر: ١٧-١٨.

(٢) انظر: الأزرقي، أحمد، منهج السيّد محمّد باقر الصدر في فهم القرآن، ص: ٤٣٤.

المطلق؛ لأنّ الذهن البشري محدود، ولا يمكن أن يستوعب المطلق، وإنَّما هو دائماً يستوعب نفحة من المطلق، وهذا أمر طبيعي وصحيح، ولكن الخطر فيه هو أنّ القبضة التي يقبضها الإنسان من المطلق، كومة محدودة، تتحوَّل إلى مثل أعلى ومطلق، وحينئذ سوف يكون هذا المثل عقبة أمام استمرار زحف الإنسان نحو كماله الحقيقي[1].

ومن هنا فإنّه (الصدر) يشير إلى خطورة تعميم هذا المثل، فيتحوَّل من محدود إلى مطلق، وهذا التعميم تارة يكون تعميماً أفقياً خاطئاً، وأُخرى تعميماً زمنياً خاطئاً.

وقد حلل الصدر الظاهرة الاجتماعيّة لدى الإنسان الأوربي معتبرها نموذجاً لهذا النوع من التعميم، حيث ألمح إلى أنّ الإنسان الأوربي في بدايات عصر النهضة وضع مثلاً أعلى له وهو الحريّة؛ لأنّه رأى أنّ الإنسان الغربي كان محطماً ومقيداً بحكم الكنيسة وتعنتها، فأراد أن يجعل من الإنسان كائناً مختاراً وهذا الشيء صحيح، والشيء الخاطيء الّذي احتضنه الكائن الأوربي، قد اقترن بخطر هو: إنّه قد حوّله إلى مثل مطلق، وهذا ما لا ينسجم مع واقع التركيبة الذهنيّة المحدودة.

وقد قال الصدر: إنّ لتحوّل المثل الأعلى من مقيّد إلى مطلق مراحل هي:

المرحلة الأُولى: مرحلة الفاعلية والعطاء والتجديد بقدر ماله من ارتباط في المستقبل، وهذا ما يسميه القرآن الكريم بالعاجل، فهذه مكاسب

---

(١) الصدر، محمّد باقر، المدرسة القرآنيّة، ص: ١٦٣-١٦٥.

عاجلة وليست مكاسب على الخط الطويل[١]، يقول تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا* كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾[٢].

المرحلة الثانية: مرحلة تجميد المثل الأعلى حينما يستنفد طاقته وقدرته على العطاء، حينئذ يتحوَّل هذا المثل إلى تمثال، وتتحوَّل قادة الأمَّة من موجهين إلى سادة وكبراء، وجمهور الأمَّة يتحوَّل إلى مطيعين ومنقادين لا إلى مشاركين في الإبداع والتطور[٣]، يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾[٤].

المرحلة الثالثة: وهي المرحلة الطبقيّة، مرحلة الامتداد التاريخي لهؤلاء، حيث تتحوَّل السلطة إلى فئة تتوارث موقعها عائلياً أو طبقياً، وحينئذ تصبح هذه الطبقة هي الطبقة المترفة المنعمة الخالية من الأغراض الكبيرة، المشغولة بهمومها الصغيرة[٥]، وقد قال تعالى في ذلك: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[٦].

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص: ١٧٢.

(٢) سورة الإسراء: ١٨-٢٠.

(٣) انظر: الصدر، محمّد باقر، المدرسة القرآنيّة، ص: ١٧٤.

(٤) سورة الأحزاب: ٦٧.

(٥) انظر: الصدر، محمّد باقر، المدرسة القرآنيّة، ص: ١٧٤.

(٦) سورة الزخرف: ٢٣.

المرحلة الرابعة: مرحلة سيطرة المجرمين، حيث يسيطر أناس مثل هتلر وغيره، لا يرعون إلاّ ولا ذمّة، على أناس آخرين، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجَرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾(١).

ج- المثل الأعلى الحقيقي، وهو المستهدف أساساً في البحث عن السُنن التاريخيّة بشكل عام، وسُنّة الدين بشكل خاص، وهذا المثل هو الله سبحانه وتعالى؛ يقول الصدر: «هذا التنسيق بين المحدود وغير المحدود سوف نجده في المثل الأعلى الّذي هو الله سبحانه وتعالى، لماذا؟ لأنّ هذا المثل الأعلى ليس من نتاج إنسان، ليس إفرازاً ذهنياً للإنسان، بل هو مثل أعلى عيني، له واقع عيني، هو موجود مطلق في الخارج، له قدرته المطلقة وله عدله المطلق»(٢).

وقد استدل بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾(٣)، إذ تحدد الآية الله سبحانه وتعالى هدفاً أعلى للإنسان، والإنسان هنا بمعنى الإنسانيّة كَكُل، فهي بمجموعها تكدح نحو الله عزّ وجلّ، بمعنى السير المستمر بالمعاناة وبالجهد وبالمجاهدة؛ لأنّ هذا السير ليس سيراً اعتيادياً، بل هو سير ارتقائي، هو تصاعد وتكامل وسير تسلق.

فالآية لاتعني- في مخاطبتها للإنسان - تحريكه نحو الله تعالى بقدر ما تعبّر عن واقع موضوعي ثابت هو: إنّ كُل تقدم في سير الإنسان إنَّما يشير نحو الله حتى من تمسك بمثل منخفض وبآلهة مصطنعة، ويشمل هذا السير أيضاً

(١) سورة الأنعام: ١٢٣.

(٢) المدرسة القرآنيّة، ص: ١٧٦.

(٣) سورة الانشقاق: ٦.

حتى أولئك المسمون بالمشركين، ولكنّه يتميّز فيما بينه بأنّ يكون سيراً مسؤولاً، أو كما هو بلغة الفقه سير عبادة، أو يكون غير مسؤول، أي: مجرد تقدم منفصل عن الوعي، تقدم على أي حال.

أثر المثل الأعلى على المسيرة البشريّة

إنّ البشريّة إذا تبنت في مسيرتها المثل الأعلى الحقيقي، ووفقت بين وعيها البشري والواقع الكوني الّذي يفترض المثل الأعلى حقيقة قائمة، فإنّه سوف يحدث نوعان من التغيير هما:

التغيير الكمي: ويقصد به: «أنّ الطريق حينما يكون طريقاً إلى المثل الأعلى الحق يكون طريقاً غير مُتَناه، أي: أنّ مجال التطور والإبداع والنمو قائم أبداً ودائماً، ومفتوح للإنسان باستمرار من دون توقف، ومن هنا كان دين التوحيد صراعاً مستمراً مع مختلف أشكال الآلهة والمثل المنخفضة والتكراريّة التي حاولت أن تحدد من كميّة الحركة»[١].

التغيير الكيفي: ويقصد به: «إعطاء الحل الموضوعي الوحيد للجدل والتناقض الإنساني، إعطاء الشعور بالمسؤوليّة الموضوعيّة من خلال إيمانه بهذا المثل الأعلى ووعيه عن طريقه بحدوده الكونيّة والواقعيّة، من خلال هذا الوعي ينشأ بصورة موضوعية شعور معمق لديه بالمسؤوليّة تجاه هذا المثل الأعلى لأوّل مرة في تاريخ المثل البشريّة التي حركت البشر على مر التاريخ»[٢].

---

(١) الصدر، محمّد باقر، المدرسة القرآنيّة، ص: ١٤٥.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٤٨- ١٤٩.

هذا ومِمَّا يُلاحظ أنّ محمّد باقر الصدر قد استخدم مصطلح التناقض الإنساني، والجدل الإنساني، مفسراً هذا التناقض بأنّ الإنسان من مركب من التراب ونفحة من روح الله، الأُولى تجره إلى الشهوات، والأُخرى تجره إلى الأعلى، وأن التناقض بين هذين التيارين يُحل من خلال الإحساس بالمسؤوليّة.

وأكبر الظن أنّه استعمل هذه المفردات ولم يقصد بها المعنى المنطقي أو الفلسفي، بل استعملها بما لها من مفهوم اجتماعي ومعنى عرفي مسامحي.

الصراع بين الأنبياء والمترفين

إنّ عمليّة تغيير المُثُل المصطنعة والمنخفضة والتكرارية التي تريد أن تجمّد الحركة من ناحية، وأن تعرّيها من الشعور بالمسؤولية من ناحية أُخرى، تمر عبر بوابة الدين بحسب ما يعتقد محمّد باقر الصدر بواسطة الأنبياء عليهم السلام، وعمليّة إزالة هذه المثل المصطنعة تستنفر المترفين ليدافعوا عنها، فيقفوا بوجه الأنبياء لتضرر مصالحهم، ودنياهم بإزالتها[1].

ومن هنا أشار محمّد باقر الصدر إلى سُنّة من سُنن التاريخ، وهي أنّ الأنبياء عليهم السلام دائماً كانوا يواجهون المترفين من مجتمعاتهم كقطب معارض؛ لأنّهم المستفيدون، واستدلّ بقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي

(١) انظر: الصدر، محمّد باقر، المدرسة القرآنيّة، ص: ١٩٠-١٩٢.

(٢) سورة الزخرف: ٢٣.

الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾(١)، و....

تفعيل أصول الدين للمسيرة البشريّة

إنّ أصول الدين(التوحيد، والعدل، والمعاد، والنبوّة، والإمامة)، تساهم في تركيب المثل الأعلى، وإعطاء تلك العلاقة وبصيغتها القرآنيّة الرباعية، موقعها الطبيعي والصحيح من مسار الإنسان، وإنّ الانشداد إلى المثل الأعلى - الله تعالى- الّذي تتبناه البشريّة بما يستتبعه من التغيير الكمي والكيفي، يتوقف نجاحه على معرفة الأصول المشار إليها، وهي: **التوحيد**؛ بمعنى أن تكون للإنسان رؤيّة واضحة حيال المثل الأعلى، متمثلة في عقيدة التوحيد بما تنطوي عليه من إيمان بالله سبحانه، حيث توحد بين كُل الطموحات البشريّة، بصفة أن المثل الأعلى يجسد القدرة والعدل والرحمة مطلقاً.

والعدل؛ فالعدل داخل في إطار التوحيد العام، وهو صفة من صفات الله تعالى، إلّا أنّه اُفرز نظراً لارتباطه بالبعد الاجتماعي، والمدلول التوجيهي، والتربوي.

والنبوة؛ وتعني أنّ المثل الأعلى بما أنّه منفصل عن الإنسان، فلابد من وجود صلة تربط بينه وبين المثل: (الله جلّ جلاله) لإيصال مبادئ السماء إلى الآخرين.

والإمامة؛ بمعنى أنّ ثمة مراحل تاريخية تتطلب امتداداً آخر للنبوة متمثلاً

(١) سورة الأعراف: ١٤٦.

في الإمامة.

والمعاد؛ بمعنى الإيمان بوجود اليوم الآخر وما يترتب عليه من الثواب والعقاب، وهو ما يجسد الطاقة الروحيّة المحفزة للبشريّة على مُمارسة نشاطها العبادي[١].

دور العلاقة الاجتماعيّة في حركة التاريخ

يرى محمّد باقر الصدر أنّ حركة التاريخ تخضع لعلاقات ثلاثيّة، هي علاقة الإنسان بالإنسان وبالطبيعة، وعلاقة الإنسان بالله تعالى، وهذه العلاقات تعتبر كُلَّها من سُنن الله في الكون.

إنّ علاقة الإنسان بالله هي التي تجعله كائناً مندمجاً في الطبيعة والمجتمع، ومتعالياً عليهما في نفس الوقت، بصفته خليفة الله في الأرض، لذلك فهو العنصر الرئيسي في حركة التاريخ، وأنّ التاريخ يستمد معناه من علاقة الإنسان بالله، وهي علاقة تنتج عنها عقلانية صارمة: إله واحد، بشريّة واحدة، ومصير واحد، اتجاه التاريخ نحو غاية إلاهية. لكن الصدر لا يهمل دور العوامل الاقتصاديّة والإجتماعيّة في حركة التاريخ[٢].

إن التطلع إلى المثل الأعلى حالة طبيعيّة في الإنسان إلى جانب كونه بعداً عقائدياً، حيث إنّ التطلع إلى غيره شرك، ومتناقض مع الفطرة، لكن هناك مُثُل عُليا مختلفة مزيفة تشكل عائقاً أمام حركة التاريخ، وهناك الّذي يفتح أمام التاريخ حركة لا نهاية لها، وهو الله تعالى.

---

(١) انظر: الصدر، محمّد باقر، المدرسة القرآنيّة، ص: ١٥٣ ـ ١٥٥.

(٢) عبد اللّاوي، محمد، فلسفة الصدر، ص: ٤٥.

وأما علاقة الإنسان مع الطبيعة، فهي سُنّة تاريخيّة ثابتة: (سُنّة التأثير المتبادل بين الخبرة والمُمارسة)، والمشكلة التي تواجهها البشريّة في علاقتها مع الطبيعة تتمثل في التناقض بين حاجات البشر وبين رفض الطبيعة الإستجابة لإشباعها، حيث إنّ القانون المذكور يحل التناقض بينهما من خلال التأثير المتبادل بين الخبرة والمُمارسة، فبقدر ما تكتسب البشريّة خبرة فإنّها تسيطر عليها، وحيث إنّ كُل خبرة تتولّد في هذا الحقل عادة من المُمارسة، وكُل مُمارسة تُوَلِّد بدورها خبرة، فقانون التأثير المتبادل بين الخبرة والمُمارسة قانونٌ موضوعيٌ يكفل حلّ هذا التناقض[1].

وقد استدل محمّد باقر الصدر في ذلك بالآية المباركة: ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾[2]، وأضاف قائلاً: «فأكبر الظنّ أنّ هذا السؤال من الإنسانيّة كَكُل وعلى مر التاريخ وعبر الماضي والحاضر والمستقبل، يتمثل في السؤال الفعلي، والطلب التكويني الّذي يحقق باستمرار التطبيقات التاريخيّة لقانون التأثير المتبادل بين الخبرة والمُمارسة»[3].

وأما علاقة الإنسان مع أخيه الإنسان، فهي تتناقض اجتماعياً، إذ تتخذ صيغاً اجتماعية متعددة، وألواناً مختلفة، ولكن تبقى في حقيقتها وجوهرها واحدة، كالتناقض بين القوى والضعيف[4]، وقد تكفّل الإسلام بحل هذا

(١) الصدر، محمّد باقر، المدرسة القرآنيّة، ص: ١٥٨.

(٢) سورة إبراهيم: ٣٤.

(٣) المدرسة القرآنيّة، ص: ١٥٩.

(٤) انظر: المصدر نفسه.

التناقض عن طريق تصفية التناقضات الاجتماعيّة على الساحة، وقبل ذلك عمل على تصفية الجدل في المحتوى الداخلي للإنسان والّذي أطلق عليه اسم: (الجهاد الأكبر)[١].

التأثير المتبادل في العلاقات الاجتماعيّة

إن التأثير المتبادل - كما يراه الصدر - بين خطي علاقة الإنسان مع الطبيعة وعلاقة الإنسان مع الإنسان يبرز ضمن علاقتين قرآنيتين، هما:

العلاقة الطردية بين سيطرة الإنسان على الطبيعة وبين ازدياد استغلال الإنسان لأخيه الإنسان، وهذا ما أشير إليه في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى﴾[٢].

وعلاقة عكسية بين ازدهار العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان وبين ازدهار علاقة الإنسان بالطبيعة، فكلّما ازدهرت العدالة في علاقة الإنسان مع أخيه الإنسان أكثر فأكثر ازدهرت علاقات الإنسان مع الطبيعة، وهذه العلاقة هي التي شرحها القرآن الكريم في نصوص عديدة منها قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا﴾[٣]، وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم...﴾[٤]، و....

---

(١) انظر: المدرسة القرآنية، مصدر سابق، ص: ١٦١.

(٢) سورة العلق: ٦.

(٣) سورة الجن: ١٦.

(٤) سورة المائدة: ٦٦.

الفرق بين المثل الأعلى والمثل الفرعوني

عقد محمّد باقر الصدر[١] مقارنة وفقاً للتصور الإسلامي بين المثل الأعلى والمثل الفرعوني، وبيّن أنّ الفارق الرئيسي بينهما هو: إنّ المثل الأعلى بشموليته يوحد البشريّة، ولكن المُثل المنخفضة تجزئها، واستشهد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾[٢].

بينما مجتمع الظلم وآلهة مجتمع الظلم يتحدث عنهم القرآن الكريم بقوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾[٣].

طوائف المجتمع الفوعوني

وفي ضوء هذا الفارق بين المثل الأعلى والمثل الفرعوني، قدّم محمّد باقر الصدر تحليلاً تاريخياً لمجتمع الظلم، يعتمد من خلاله على التجزئة الفرعونية للمجتمع، حيث قسّمته إلى فصائل وجماعات وطوائف هي[٤]:

١ - ظالمة ومستضعفة في آن واحد، وهم أعوان الظلمة، حيث يدعمون السلطة فتنسحب عليهم صفة الظلم، ويخضعون لفرعون فتنسحب عليهم سمة الاستضعاف، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾[٥].

---

(١) انظر: الأزرقي، أحمد، منهج السيّد محمّد باقر الصدر في فهم القرآن، ص: ٤٤٦.

(٢) سورة الأنبياء: ٩٢.

(٣) سورة القصص: ٤.

(٤) انظر: الصدر، محمّد باقر، المدرسة القرآنيّة، ص: ٢٣٠-٢٣٨.

(٥) سورة سبأ: ٣١.

٢ـ ظالمون يُشكِّلون حاشية ومتملقون، أولئك الّذين قد لا يمارسون ظلماً بأيديهم بالفعل، ولكنّهم دائماً وأبداً على مستوى نزوات فرعون وشهواته، يسبقونه بالقول من أجل أن يصححوا مسلكه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾(١).

٣ـ هم الهمج الرعاع الّذين يتحركون دون وعي، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾(٢).

وهؤلاء هم الّذين يُشكِّلون القسم الثالث في تقسيم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حينما قال: «... النّاس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلّم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كُل ناعق يميلون مع كُل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم،...»(٣).

٤ـ وهم الّذين يستنكرون الظلم في أنفسهم، أولئك الّذين لم يفقدوا لُبَّهم أمام فرعون والفرعونيّة، فهم يستنكرون الظلم ولكنّهم يهادنون الظلم ويسكتون عليه، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾(٤).

٥ـ وهي الطائفة التي تتهرب عن مسرح الحياة، وقد قسّمها الصدر إلى

(١) سورة الأعراف: ١٢٧.

(٢) سورة الأحزاب: ٦٧.

(٣) الصدوق، محمّد بن علي بن الحسين، الخصال، ج١، ص: ٢١٧، ح٢٥٧.

(٤) سورة النساء: ٩٧.

صيغتين:

الأولى: الرهبانية الجادة التي تريد أن تفر بنفسها كي لا تتلوث بأحوال المجتمع، هذه الرهبانية التي عبّر عنها القرآن بقوله: ﴿... وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا...﴾(١)، وهي صيغة يشجبها الإسلام.

الثانية: صيغة مفتعلة للرهبانية: الترهب والتلبس بمسوح الرهبان، ولكن ليس راهباً في أعماق نفسه، وإنَّما يريد بذلك أن يُخدّر النَّاس، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ﴾(٢).

٦- هم المستضعفون، ففرعون حينما اتخذ من قومه شيعاً استضعف طائفة منهم، خصّها بالاستضعاف والاستذلال وهدر الكرامة؛ لأنّها هي الطائفة التي يتوسم هو أن تشكل إطاراً للتحرك ضده، وقد استشهد الصدر على هذه الطائفة بقوله تعالى: ﴿إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾(٣).

ومن هنا فإن محمّد باقر الصدر ينتهي إلى حقيقة ثابتة وهي: (إن المجتمع يتناسب مع مدى الظلم فيه تناسباً عكسياً مع ازدهار علاقة الإنسان مع الطبيعة، ويتناسب مع مدى العدل فيه تناسباً طردياً مع ازدهار علاقة الإنسان مع الطبيعة)(٤).

---

(١) سورة الحديد: ٢٧.

(٢) سورة التوبة: ٣٤.

(٣) سورة البقرة: ٤٩.

(٤) انظر: الصدر، محمّد باقر، المدرسة القرآنيّة، ص: ١٨٣.

نتيجة المبحث

لقد خرج محمّد باقر الصدر من بحثه المتقدم حول موضوع: (عناصر المجتمع) بنظرية تحليلية قرآنية كاملة لها، ولأدوار هذه العناصر وللعلاقة القائمة بين الخطين المزدوجين في العلاقة الاجتماعيّة: خط علاقة الإنسان مع أخيه الإنسان، وخط علاقات الإنسان مع الطبيعة، وانتهى على ضوء هذه النظريّة القرآنيّة الشاملة إلى أنّ هذين الخطين أحدهما مستقل عن الآخر استقلالاً نسبياً، ولكن واحد منهما له نحو تأثير في الآخر على الرغم من ذلك الاستقلال النسبي، وأنّ هذه النظريّة تشكل أساساً للاتجاه العام في التشريع الإسلامي، فإن التشريع الإسلامي في اتجاهاته العامة وخطوطه يتأثر وينبثق ويتفاعل مع وجهة النظر القرآنيّة والإسلاميّة إلى المجتمع وعناصره وأدوار هذه العناصر والعلاقات المتبادلة بين الخطين.

ومن هنا فإنّه يؤمن بأنّ الصورة التشريعية الكاملة للمجتمع هي في الحقيقة تحتوي على جانبين: تحتوي على عناصر ثابتة، وتحتوي على عناصر متحركة، وهذه العناصر المتحركة تُرك للحاكم الشرعي ملئها وفقاً للمؤشرات الإسلاميّة العامّة.

المبحث الثالث: مصداق من عنده علم الكتاب في تفسيري الطوسي والفخر الرازي، وقصة صلب النَّبيّ عيسى عليه السلام بين الأناجيل الأربعة والقرآن الكريم

يتناول هذا المبحث طريقة البحث الموضوعي المُقارن (التفسير الموضوعي المُقارن)، إذ نعرض فيه نموذجين بُحث فيهما موضوعان مثّل كُل منهما نموذجاً لطريقة من طُرق إجراءه:

الأوَّل: مصداق من عنده علم الكتاب في تفسيري الطوسي والفخر الرازي

عُقدت هذه المقارنة لبيان مصداق «ومن عنده علم الكتاب» في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[1] من وجهة نظر الطوسي والفخر الرازي، وفي ذلك نقول:

لاشك، أنّ عمليّة تفسير كلام الله تعالى عمليّة تهدف إلى كشف وبيان مراد الله عزّ وجلّ في كتابه المجيد، وكشف المراد لايتم إلاّ بفُهم المعنى، وهذا

(١) سورة الرعد: ٤٣.

الأخير يُتوَصل إليه بطرق مختلفة منها ما يُسمى بالظهور اللفظي للكلمة، وهو على قسمين: أحدهما: الظهور التصوري الّذي ينشأ من ظاهر اللفظ بغض النظر عن القرائن وما أشبه، والآخر: الظهور التصديقي الّذي لايتعيّن في كثير من الأحيان، إلاّ إذا أُخذت القرائن الداخلية والخارجية بنظر الاعتبار(١)، لاسيّما التي تحدد مصداق اللفظ في زمن نزول الآية أو في غيره، وفهم المعنى من هذا الطريق له أهمية كبرى في التفسير، إذ يحوله من تفسير حي متحرك إلى جامد مميت لآيات القرآن الكريم، وذلك بتفسيرها بمصداق معيّن في زمن معيّن تجمد عليه، والأوَّل هو المنسجم مع حقيقة القرآن الكريم بأنّه معجزة خالدة.

المفردات: العلم؛ الكتاب

العلم: يقول أهل المنطق في تعريف العلم، أنّه: حضور صورة الشيء عند العقل أو انطباع صورة الشيء في العقل(٢).

أمّا في الفلسفة فقالوا(٣):

أوّلاً: العلم: الاعتقاد اليقيني المطابق للواقع.

ثانياً: العلم: مجموعة من القضايا التي أخذ بعين الاعتبار لون من التناسب بينها ولو كانت شخصية وخاصة.

رابعاً: العلم: مجموعة من القضايا العامة التي لوحظ فيها محور خاص،

---

(١) الصدر، محمّد باقر، دروس في علم الأُصول، ج١، ص: ٧٥-٨٢ و٨٧-٩٠ و١٠٣-١٠٥، (ملخص).

(٢) المظفر، محمّد رضا، المنطق، ج١، ص: ١٢-١٤.

(٣) مصباح اليزدي، محمّد تقي، المنهج الجديد في تعليم الفلسفة، ج١، ص: ٤٥.

وكُل واحدة منها قابلة للصدق والانطباق على موارد ومصاديق متعددة.

خامساً: العلم: مجموعة من القضايا العامة الحقيقيّة غير الاعتباريّة التي لها محور خاص، ويشمل هذا جميع العلوم النظريّة والعمليّة، ومن جملتها الإلهيات وما وراء الطبيعة، ولكنّه لا يشمل القضايا الشخصية والاعتباريّة.

سادساً: العلم: مجموعة القضايا الحقيقيّة التي يمكن إثباتها عن طريق التجربة الحسية.

والمحصل من قول المناطقة والفلاسفة، أنّ العلم لغة هو ما عرَّفه أهل المنطق، واصطلاحاً هو قول الفلاسفة ومحصله: إنّ العلم مجموعة من القضايا الحقيقيّة المطابقة للواقع في موضوع خاص.

الكتاب: كلمة مؤلَّفة من: «الكاف والتاء والباء أصل صحيح واحد يدل على جمع شيء إلى شيء. من ذلك الكتاب والكتابة،...»[1]، وهو: مصدر يطلق على ما يكتب فيه مبالغة من دون ملاحظة المحل، لذا فهو يطلق على ما ظهر وتجلى في الخارج لثبوته، وبهذا يشمل المادي والمعنوي أو الطبيعي الذاتي[2]، وبأخذ ما كتب فيه بنظر الاعتبار يكون (الكتاب) اسماً له.

ومنه يظهر أنَّ في معنى الكتاب أصل وباب، فأمّا الأصل: فالتثبيت سواء كان مادياً خارجياً أو في اللوح المحفوظ، وأمّا الباب: فالإظهار أو التجلي كون الكتاب معنوياً أو مادياً.

وإطلاق كلمة الكتاب تعني أنّ مافيه من حقائق ومفاهيم ومضامين

(١) انظر: ابن فارس، أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللُغة، ص: ٨٨٥.

(٢) انظر: المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج١٠، ص: ٢١-٢٣.

ومحتويات وأحكام ثابتة لا تعتريها حالات الشك والريبة، لهذا يُتبع القرآن الكريم كلمة الكتاب بهذه الصفة والخاصية بكلمة أُخرى لدعم هذا التثبيت كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]، وقد فهمت هذه الإشارة من أصل المادّة (ك ت ب)، إذ تعني تقرير ما ينوى وتثبيته بالأسباب التي تناسبه خارجاً، فما لم يكن ثابتاً لا يُسمّى كتاباً حتى لو كان معنى لا مادّة[2].

وقد استعملت هذه الكلمة في القرآن الكريم بعدة معاني هي: القرآن، التوراة، الإنجيل، الصحف، الزبور، الكتب كُلَّها، اللوح المحفوظ، كتاب سليمان خاصة، ديوان الحفظة، المكاتبة، الفرض، القضاء، الكتابة، العدة[3].

تفسير الطوسي لـ: ﴿... وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾

قال الطوسي: «حكى اللّه تعالى عن الكفار أنّهم يقولون لك يا محمّد إنّك لست مرسلًا من جهته تعالى، فقل لهم حسبي اللّه شَهِيداً بَيْنِي وبَيْنَكُمْ، وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ»[4].

وذكر أنّه قيل في معنى: ﴿... وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ ثلاثة أقوال هي: «الأوَّل: أهل الكتاب؛ روي عن ابن عباس أنّه قال: (هم أهل الكتاب

(١) سورة البقرة: ٢.

(٢) راجع: الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمّد، المفردات في غريب القرآن، ص: ٦٩٩؛ ابن منظور، جمال الدين محمّد بن مكرم لسان العرب، ج١، ص: ٦٩٨؛ المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج١٠، ص: ٢١- ٢٢.

(٣) راجع: الحيري النيسابوري، اسماعيل بن أحمد، وجوه القرآن، ص: ٤٧٩- ٤٨١.

(٤) الطوسي، محمّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج٦، ص: ٢٦٧.

الّذين آمنوا من اليهود والنصارى)، ومصاديقهم كثيرة منهم عبد اللّه بن سلام، وسلمان الفارسي، وتميم الداري، وهو قول قتادة ومجاهد.

الثاني: الله تبارك وتعالى؛ قال الحسن: الّذي عنده علم الكتاب هو اللّه تعالى، وبه قال الزجّاج.

الثالث: أئمة آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ؛ قال أبو جعفر وأبو عبد اللّه عليه السلام: هم أئمة آل محمّد صلّى اللّه عليه وسلم، لأنّهم الّذين عندهم علم الكتاب بجملته لايشذ عنهم شيء من ذلك دون من ذكروه»[1].

وقال: «وروي عن ابن عباس ومجاهد أنّهما قرءا: ﴿... وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ﴾ بكسر الميم، وعلم الكتاب على ما لم يسم فاعله، وبه قرأ سعيد بن جبير، ولمّا قيل له: هوعبد اللّه بن سلام، قال: كيف يجوز ذلك والسورة مكية وهو أسلم بعد الهجرة بمدة»[2].

الملاحظات:

إنّ في تفسير الطوسي للجملة القرآنيّة ﴿... وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ﴾ مجموعة من النكات يمكن ملاحظتها من ظاهر قوله، وهي:

النكتة الأُولى: ظهر من تفسيره للجملة القرآنيّة مورد البحث أنّ المسألة مختلف فيها بين المفسِّرين.

النكتة الثانية: حصَر الخلاف في المسألة بثلاثة أقوال.

النكتة الثالثة: لم يرجّح تصريحاً أحد الأقوال، إلّا أنّه يبدو من كلامه قد

---

(١) المصدر نفسه، ص: ٢٦٨.

(٢) الطوسي، محمّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج٦، ص: ٢٦٧.

رجّح القول الثالث؛ لأنّه أعقبه بتعليق، ممَّا يدلل على عنايته بهذا القول، بخلاف بقية الأقوال التي ذكرها مجرد ذكر، والّذي يبدو للنظر أنّه مرجّح عنده، وعليه فإنّ من عنده علم الكتاب هم أئمة آل محمّد عليهم السلام [1].

رابعاً: ذكر وجود قراءة أُخرى للجملة بكسر الميم (وَمِن) وبناء علم الكتاب للمجهول، وهو قوله: «وعلم الكتاب على ما لم يسم فاعله»، فيصبح المعنى بناءاً على هذه القرآءة: ﴿وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتَابُ﴾ وهي جملة إخبار فقط وليس إنشاء.

خامساً: ذكر إشكال سعيد ابن جبير على من قال بأنّ مصداق من عنده علم الكتاب هو عبد الله بن سلام، ردّ على ذلك بقوله: «كيف يجوز ذلك والسورة مكية وهو أسلم بعد الهجرة بمدة».

تفسير الفخر الرازي لـ: ﴿... وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ﴾

ذكر الفخر الرازي أنّ في قوله: ﴿... وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ﴾ قراءتين:

الأُولى: القراءة المشهورة: ﴿ومَنْ عِنْدَهُ﴾، يعني والّذي عنده علم الكتاب.

والثانية: القراءة الشاذّة بقراءة **(من)** في الآية لابتداء الغاية، أي: ومِن عِندِ اللّه حَصَلَ عِلمُ الكتاب.

وتفسير الآية على القراءة الأُولى فيه أربعة أقوال هي:

١ ـ إنّ المراد شهادة أهل الكتاب من الّذين آمنوا برسول اللّه صلّى اللّه

---

(١) راجع: المصدر نفسه.

عليه وسلم، وهم: عبد اللّه بن سلام، وسلمان الفارسي، وتميم الداري؛ ويروى عن سعيد بن جبير: أنّه كان يبطل هذا الوجه ويقول: السورة مكية فلايجوز أن يراد به ابن سلام وأصحابه، لأنّهم آمنوا في المدينة بعد الهجرة، وأجيب عن هذا السؤال بأن قيل:

هذه السورة وإن كانت مكية إلّا أنّ هذه الآية مدنية، وأيضاً فإثبات النبوة بقول الواحد والإثنين مع كونهما غير معصومين عن الكذب لايجوز، وهذا السؤال واقع(١).

٢- أراد بالكتاب القرآن، أي: أنّ الكتاب الّذي جئتكم به معجز قاهر وبرهان باهر، إلّا أنّه لايحصل العلم بكونه معجزاً إلّا لمن علم ما في هذا الكتاب من الفصاحة والبلاغة، واشتماله على الغيوب وعلى العلوم الكثيرة، فمن عرف هذا الكتاب على هذا الوجه علم كونه معجزاً. فقوله: ﴿..وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ﴾، أي: وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ القرآن وهو قول الأصم.

٣- ﴿... وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ﴾ المراد به: الّذي حصل عنده علم التوراة والإنجيل، يعني: إنّ كُل من كان عالماً بهذين الكتابين علم اشتمالهما على البشارة بمقدم محمّد صلّى اللّه عليه وسلم، فإذا أنصف ذلك العالم ولم يكذب كان شاهداً على أنّ محمّداً صلّى اللّه عليه وسلم رسول حق من عند اللّه تعالى.

٤- ومن عنده علم الكتاب هو اللّه تعالى، وهوقول الحسن، وسعيد بن جبير، والزجّاج، قال الحسن: لا واللّه ما يعني إلّا اللّه، والمعنى: كفى بالّذي

---

(١) انظر: فخر الدين الرازي، محمّد بن عمر، مفاتيح الغيب، ج١٩، ص: ٥٤.

يستحق العبادة وبالّذي لايعلم علم ما في اللوح إلاهو شهيداً بيني وبينكم، وقال الزجّاج: الأشبه أنّ اللّه تعالى لايستشهد على صحة حكمه بغيره، وهذا القول مشكل، لأنّ عطف الصفة على الموصوف وإن كان جائزاً في الجملة إلّا أنّه خلاف الأصل، إذ لايقال: شهد بهذا زيد والفقيه، بل يقال: شهد به زيد الفقيه، وأمّا قوله إنّ اللّه تعالى لايستشهد بغيره على صدق حكمه فبعيد، لأنّه لما جاز أن يقسم اللّه تعالى على صدق قوله بقوله: ﴿ والتِّينِ والزَّيْتُونِ ﴾ / [سورة التين: ١]، فأي امتناع فيما ذكره الزجّاج.

وأمّا تفسيرها على القراءة الثانية: فالمعنى: ومِن لدنه علم الكتاب، لأن أحداً لايعلم الكتاب إلاّ من فضله وإحسانه وتعليمه.

وبناءاً على هذا ففي (علم الكتاب) تقديران:

الأوّل: العلم الّذي هوضد الجهل، أي: هذا العلم إنّما حصل من عند اللّه.

الثاني: إنّه تعالى لّما أمر نبيه أن يحتج عليهم بشهادة اللّه تعالى على ما ذكرناه، وكان لامعنى لشهادة اللّه تعالى على نبوته إلّا إظهار القرآن على وفق دعواه، ولايعلم كون القرآن معجزاً إلّا بعد الإحاطة بما في القرآن وأسراره، بيّن تعالى أنّ هذا العلم لايحصل إلّا من عند اللّه، والمعنى: أنّ الوقوف على كون القرآن معجزاً لايحصل إلّا إذا شرّف اللّه تعالى ذلك العبد بأن يعلّمه علم القرآن(١).

(١) انظر: المصدر السابق، ص: ٥٥.

الملاحظات:

يُلحظ في تفسير الفخر الرازي للجملة القرآنيّة: ﴿... وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ﴾ النكات التالية:

ذكر قراءتين للجملة القرآنيّة مورد البحث، إحداهما المشهورة وهي قوله: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ﴾، والأُخرى شاذّة وهي: ﴿وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتابِ﴾ و﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عُلِمَ الْكِتابُ﴾، وقد تناول التفسير بناءاً على اختلاف القراءة للجملة.

خلط بين المصاديق بناءاً على القراءة الأُولى ولم يميّز بينها، فتارة ذكر مصداق من عنده علم الكتاب: الله تعالى وأهل الكتاب وكُل من آمن بالقرآن وعلم بما فيه وكُل من علم بالتوراة والإنجيل، وأُخرى: القرآن الكريم، والتوراة، والإنجيل.

إنّ المصاديق التي ذكرها بناءاً على القراءة المشهورة لمن عنده علم الكتاب على قسمين: أحدهما مشخص ومحدد- الله تعالى، وأهل الكتاب المحددون بالروايات-، والآخر غير مشخص ومحدد، وهم كُل من عُلِّم القرآن وحصل على علم التوراة والإنجيل الّذي تشمل دائرته كُل من حصل له العلم بهما من غير اليهود والنصارى.

إنّ الفخر الرازي لم يقبل مصاديق أهل الكتاب التي ذكرتها الروايات، سواء التي أوردها في تفسيره أو في غيره، ولم تكن العلّة في ذلك رواية سعيد بن جبير، بل أعمّ منها، وهي: إنّ النبوة لايجوز أن تثبت بخبر الواحد والاثنين غير المعصومين.

إنّ مفاد العلّة التي رفض من أجلها الفخر الرازي مصاديق أهل الكتاب الواردة في الروايات هي: إنّه إذا كان الواحد والاثنان معصومين يقبل قولهما بالشهادة بالنبوة ويجوز ذلك.

لامصاديق تذكر على ضوء القراءة غير المشهورة كون الجملة فيها جملة خبرية وليست جملة إنشائية.

المقارنة بين التفسيرين

إنّ نقاط الإشتراك في التفسير بين المفسِّرين تكمن في:

١ـ إنّ مسألة مصاديق ﴿... وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ﴾ خلافية في التفسير.

٢ـ هناك قراءتان لـ: ﴿... وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ﴾، أحدهما مشهورة والأُخرى شاذة.

٣ـ اعتمدا القراءة المشهورة في بيان المصاديق وهي قراءة ﴿... وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ﴾، أمّا على القراءة الشاذة بكسر الميم (وَمِنْ) فتصبح الجملة القرآنيّة خارج نطاق البحث.

٤ـ ذكرا أنّ من مصاديق ﴿... وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ﴾: أهل الكتاب، والله تبارك وتعالى.

٥ـ لم يعتمدا مصاديق أهل الكتاب وهم: عبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، وتميم الداري.

٦ـ ذكرا في أحد المصاديق مفهوماً: إنّ المراد بالكتاب هو التوراة والإنجيل.

أمّا نقاط الافتراق فهي:

١ـ ذكر الطوسي ثلاثة أقوال في المصداق، بينما ذكر الفخر الرازي أربعة أقوال.

٢ـ لم يذكر الفخر الرازي من المصاديق آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم بخلاف الطوسي، كما أنّ الأخير لم يذكر من المصاديق القرآن الكريم، ومن حصل له علم التوراة والإنجيل.

٣ـ إنّ المصاديق التي ذكرها الطوسي كانت مشخصة ومحددة وغير متداخلة، بخلاف المصاديق التي ذكرها الفخر الرازي.

٤ـ الإثنان أخرجا عبد الله بن سلام من جملة المصاديق، وذلك لرواية سعيد بن جبير عند الطوسي، وقاعدة عدم جواز الشهادة بالنبوة للواحد والاثنين غير المعصوم عند الفخر الرازي.

٥ـ ذكر الفخر الرازي أنّ مصداق الكتاب هو من عنده علم القرآن، بخلاف الطوسي الّذي لم يذكر من المصاديق القرآن الكريم.

نتيجة المقارنة

من خلال ماتقدم تبيّن أنّ مصداق ﴿... وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ عند الطوسي هم أئمة آل محمّد عليهم السلام ؛ لأنّهم الّذين عندهم علم الكتاب بجملته لايشذ عنهم شيء من ذلك دون من ذكروه.

أمّا الفخر الرازي فالمصداق عنده هو: من علم بالقرآن الكريم؛ لأنّه كتاب معجز جاء به النّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم دليلاً على صدق نبوته، فمن عرف هذا الكتاب على هذا الوجه علم كونه معجزاً وصحة شهادته.

والمتأمل في الرأيين يجد أنّ المصداق واحد؛ لأنّ الأئمة المعصومين من آل محمّد عليهم السلام هم العالمون بالقرآن الكريم على حقيقته (كونه كتاباً معجزاً)، كيف لا وهم عِدل القرآن الكريم، حيث ورد في الحديث عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: «كنا مع النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع، فلمّا رجع إلى الجحفة نزل ثم خطب النَّاس فقال: أيّها النَّاس إنّي مسؤول وأنتم مسؤولون فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنّك بلّغت ونصحت وأديت، قال: إنّي لكم فرط وأنتم واردون علي الحوض وإنّي مخلّف فيكم الثقلين إن تمسكتم بهما لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض،...»[1]، ومن ذلك استُدلّ على توفر العصمة فيهم للإقران، والتي شرط الفخر الرازي توفرها في جواز إثبات النبوة بقول الواحد والإثنين مع كونهما معصومين عن الكذب، فأهل البيت المعصومين عليهم السلام يشملهما مصداق الفخر الرازي من الجهتين.

ومن هنا فإنّ الّذي يبدو للنظر، أنّ المصداق الّذي اختاره الفخر الرازي لـ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ ﴾ هو من قبيل بيان المفهوم وليس تحديد نوعه، بخلاف الطوسي الّذي عيّن نوعه وحدد شخصه، وعليه فإنّ ماذكره الطوسي مصداق أعلى للمفهوم الّذي ذكره الفخر الرازي.

الثاني: قصة صلب النَّبيّ عيسى عليه السلام بين الأناجيل الأربعة والقرآن الكريم

إنّ مسألة صلب النَّبيّ عيسى عليه السلام وقتله تُعدُّ إحدى أهم المسائل الأساسيّة في الديانة المسيحية، ومن القضايا المسلَّمة في الأناجيل الأربعة

(١) الأميني، عبد الحسين، الغدير في الكتاب والسُنَّة والأدب، ج١، ص: ٢١.

(إنجيل: متى؛ لوقا؛ مرقس؛ يوحنا)، حيث نُقلت في الفصول الأخيرة منها بصورة تفصيلية وبشكل متواتر، وترتكز هذه المسألة على فكرة **(الفداء)** التي يعتقد بها المسيحيون، وهي: إنّ النَّبيّ عيسى عليه السلام جاء إلى هذا العالم ليكون قرباناً يفتدي بنفسه مقابل الخطايا والآثام التي يرتكبها البشر، وقد صلب وقتل ليغسل بدمه ذنوب البشر وينقذهم من العقاب، لذلك كان اعتقادهم بأنّ طريق الخلاص والنجاة من العذاب والعقاب هو الإيمان بهذا الموضوع[1].

ومن هذا المنطلق فهم أحيانا يدعون المسيحية بدين (الإنقاذ) أو دين (الفداء)، ويسمون المسيح عليه السلام بـ(المُنقذ) أو (المُخلِّص) أو(الفَادي).

وما اعتمادهم المفرط على الصليب واتخاذه شعاراً لأنفسهم، إلّا إيمانا منهم بهذه القضية.

هدف المقارنة

تهدف هذه الدراسة المقارنة بين النص القرآني والنص الإنجيلي في موضوع صلب النَّبيّ عيسى عليه السلام وقتله، إلى إظهار رأي القرآن الكريم والأناجيل الأربعة في هذا الموضوع وبيان الفرق بينها.

المفردات: الصلب؛ يسوع

إنّ محور البحث في هذه الدراسة يرتكز على مفردتين رئيسيتين هما:

الصلب: ونعني به: «الصَّلَبُ والاصْطِلابُ: استخراج الودك من العظم، والصَّلْبُ الّذي هو تعليق الإنسان للقتل، قيل: هو شَدّ صُلْبِهِ على

(١) انظر: عبد النور، القس منيس، دائرة المعارف الكتابية، ج٦، ص: ٢٢-٢٣.

خشب، وقيل: إنَّما هو من صَلْبِ الوَدَكِ. قال تعالى: ﴿... وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ...﴾/ [سورة النساء: ١٥٧]، ﴿... ولأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ...﴾/ [سورة طه: ٧١]، والصَّلِيبُ: أصله الخشب الّذي يُصْلَبُ عليه، والصَّلِيبُ: الّذي يتقرّب به النّصارى؛ لأنّه على هيئة الخشب الّذي زعموا أنه صُلِبَ عليه عيسى عليه السلام، وثوب مُصَلَّبٌ، أي: عليه آثار الصَّلِيبِ،...»[1].

وقيل أنّه: (الشنق) أو(التعليق)، إذ كانت وسيلة الإعدام هي الشنق، وكان في بدية الأمر عبارة عن (خازوق) يُعدم عليه المجرم، أو مجرد عمود يعلّق عليه المجرم حتى يموت من الجوع والإجهاد، ثم تطور حتى أصبح في عهد الرومان عموداً تثبت في طرفه الأعلى خشبة مستعرضة أوقبل النهاية العليا بقليل فيصبح على شكل حرف تي **(T)** باللُغة الإنكليزية، وهو الشكل المألوف من الصليب ويعرف بالصليب اللاتيني.

وقد تكون الخشبتان المتقاطعتان متساويتان، وهو الصليب اليوناني، أو يكون الصليب على شكل حرف أكس **(X)** باللُغة الإنكليزية أيضاً، ويعرف بـ: (صليب القدس اندراوس)، وقد استُخدم هذا الشكل من الصليب في العصور الرومانية المتأخرة[2].

يسوع: ونعني به الصيغة العربيّة للاسم العبري (يشوع) ومعناه: الربّ يخلّص، وهو «الربّ: (يسوع المسيح). وقد ذكر الملاك ليوسف النجار: «إنّ العذراء ستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع، لأنّه يُخَلّص شعبه من خطاياهم»/ [إنجيل مت،١: ٢١].

---

(١) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمّد، المفردات في غريب القرآن، ص: ٤٨٩.

(٢) انظر: عبد النور، القس منيس، دائرة المعارف الكتابية، ج٥، ص: ٢٩-٣٠.

فيسوع إذن، الاسم الشخصي للربّ (يسوع المسيح) في الأناجيل وسفر أعمال الرسل، أمّا في الرسائل، فيظهر- بعامّة - مقرونا بكلمة (المسيح) أو(المسيح برنا) وإن كان في رسالة بولس إلى أهل روميّة يذكر باسم (يسوع) فقط[1].

قصة الصلب في الأناجيل الأربعة

إنّ قصة صلب المسيح عيسى بن مريم عليه السلام مختلف فيها في الأناجيل الأربعة، واختلافها كائن في بعض الجزئيات التي لم تضر بجوهرها أو عمودها الفقري، بل وبكثير من تفاصيلها أيضاً؛ لأنَّ ما اختُلِفَ فيه هو بعض أسماء الشخصيات، وأسماء الشراب وأمثال ذلك.

جوهر القصة في الأناجيل الأربعة:

بعد ما حُكم على النَّبيّ عيسى عليه السلام بالإعدام، أخذ الجنود يسوع وألبسوه لباساً أُرجوانياً وظفروا لَهُ طوقاً من الشوك وألبسوه إياه بعنوان تاج للملوكية، ووضعوا في يده عصا وبصقوا في وجهه وأخذوا يُعظمونه ويقولون له: (السلام يا ملك اليهود) فاعلين ذلك استهزاءً به، ثمّ أخذوا العصا من يده وضربوا بها رأسه وخرجوا به سائرين إلى مكان الصلب المُسمّى بـ: (جمجمة) أوباللُغة العبريّة (جلجة)، وحملوا الصليب على رواية على ظهر عيسى عليه السلام، وعلى رواية أُخرى على ظهر سمعان أوشمعون القيرواني، فأعطوه شراباً (خلّاً أوخمراً) ممزوجاً بمرارة ليشرب فلم يقبل، ثُمّ صُلِبَ وسط اثنين من المعاقبين بمثل عقوبته، وقد

(١) انظر: المصدر نفسه، ج٧، ص: ١٣٩.

كُتِبَ على صليبه العِلّة، أي: عِلّة صلبه: (هذا يسوع الناصري ملك اليهود)[*]، ثم أقتسم الجنود ملابسه وكانوا أربعة، واقترعوا على قميصه؛ لأنّهُ كانَ قطعة واحدة أسِفُوا على تقطيعها وتمزيقها، وفي وقت الظهر اظلمّت الدنيا وحُجبت الشمس، حينها صرخ يسوع صرخة عظيمة، وكان يشعر بالعطش فسقوه خلاّ بإسفنجه وضعوها على قصبة وأوصلوها إليه، وقال: (انتهى) ثُمَّ مات.

وعند خشبة الصلب وقفن نساؤهُ والشعب والرؤساء والكتبة وقائد المئة(الجند)، فلمّا رأى منه قائد الجند ذلك، اَمن وآمن معه كثير[1].

وفي هذا الجوهر يُلحظ التالي:

إنّ قصد القتل وأرادته متحقق من اليهود في حق النَّبيّ عيسى عليه السلام، وقد حكموا عليه بالإعدام.

إنّ اليهود ألقوا القبض على النَّبيّ عيسى عليه السلام، وفعلوا به ما فعلوا، ثم قادوه إلى مكان قتله وصلبه.

إنّ يسوع المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، هو المقتول والمصلوب.

إنّ هناك اختلافاً في تفاصيل القصة وبعض جزئياتها في الأناجيل الأربعة.

(*) هذه العبارة جامعة بين ما ذكر في الأناجيل الأربعة.

(١) انظر: جمعيّة الكراريس البريطانيّة، كتاب العهد الجديد: (إنجيل: مت، إصحاح: ٢٧، ص٢٧-٤٤؛ يوحنّا، إصحاح: ١٩، ص: ١٦-٣٠؛ لوقا، إصحاح: ٢٣، ص: ٢٦-٤٩؛ مرقس، إصحاح: ١٥، ص: ١٦-٤٢).

قصة الصلب في القرآن الكريم

يقول الله تبارك وتعالى في كتابه المجيد عن قصة صلب النَّبيّ عيسى عليه السلام: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[١]، و: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[٢].

وذكر المفسِّرون في تفسير هذه الآيات: إنّ النَّبيّ عيسى عليه السلام لم يُقتل ولم يُصلب، بل رفعه الله تبارك وتعالى إليه، وإنّ ما ادعاه اليهود في ذلك كان ولا يزال ادعاءً كاذباً لاوجه له من الصحة ولا نصيب له من الحقيقة، واستدل المفسِّرون على ذلك بصريح ظاهر القرآن الكريم في الآيات السالفة الذكر، والروايات التفسيرية التي أكدت ذلك[٣].

يقول السبزواري: إنّ «قوله تعالى: وما قَتَلُوهُ وما صَلَبُوهُ، إبطال لما زعموه من قتلهم رسول اللّه تعالى عيسى بن مريم، والجملة في موضع الحال، أي: والحال أنّهم لم يقتلوه ولم يصلبوه. وإنَّما نفى عزّ وجلّ القتل والصلب معاً عنه عليه السلام، لبيان النفي التامّ، بحيث لايشوبه شكٌّ وريب فلم تصل أيديهم إليه بأي نحومن أنحاء القتل، ودفعاً به لما قد يتوهّم من أن نفي مطلق

(١) سورة النساء: ١٥٧ـ١٥٨.

(٢) سورة آل عمران: ٥٥.

(٣) الطبرسي، الفضل بن الحسين، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٠٩ـ٢١٠.

القتل عنه عليه السلام لاينافي أن يكون قتله غير عادي، فنفى عزّ وجلّ عنه جميع أنحائه»[١].

وقال الطباطبائي في ذلك: «وقوله: ﴿... وما قَتَلُوهُ يَقِيناً﴾، أي: ما قتلوه قتل يقين، أوما قتلوه أخبرك خبر يقين، وربما قيل: إن الضمير في قوله: ﴿... وما قَتَلُوهُ...﴾ راجع إلى العلم، أي: ما قتلوا العلم يقينا.»[٢]، ثمّ ذكر قوله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وكانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ وبيّن أنّ القصّة قصّها الله سبحانه في سورة آل عمران فقال جلّ جلاله: ﴿إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ورافِعُكَ إِلَيَّ...﴾، فذكر التوفي ثم الرفع.

وقال: «وهذه الآية بحسب السياق تنفي وقوع ما ادعوه من القتل والصلب عليه،...، وظاهر الآية أيضا أنّ الّذي ادعي إصابة القتل والصلب إياه، وهو عيسى عليه السلام بشخصه البدني هو الّذي رفعه الله إليه وحفظه من كيدهم، فقد رفع عيسى بجسمه وروحه لا أنه توفي ثم رفع روحه إليه، فهذا ممّا لا يحتمله ظاهر الآية بمقتضى السياق،... فهذا الرفع نوع التخليص الّذي خلصه الله به وأنجاه من أيديهم،...»[٣].

وذكر الطباطبائي أيضاً: «وربما ذكر بعض محققي التاريخ أن القصص التاريخيّة المضبوطة فيه عليه السلام، والحوادث المربوطة بدعوته وقصص معاصريه من الحكام والدعاة، تنطبق على رجلين اثنين مسميين بالمسيح- وبينهما ما يزيد على خمسمائة سنة: المتقدم منهما محق غير مقتول، والمتأخر

---

(١) السبزواري، سيّد عبد الأعلى، مواهب الرحمان في تفسير القرآن، ج١٠، ص: ١١٧.

(٢) الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج٥، ص: ١٣٣.

(٣) المصدر نفسه.

منهما مبطل مصلوب، وعلى هذا فما يذكره القرآن من التشبيه هوتشبيه المسيح عيسى بن مريم رسول الله بالمسيح المصلوب. والله أعلم»(١).

وفي معالجة معنى: (التوفي) في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ...﴾ يقول الطبرسي: «وقيل في معناه أقوال: (أحدها) أن المراد به إني قابضك برفعك من الأرض إلى السماء من غير وفاة بموت... (وثانيها) إني متوفيك وفاة نوم ورافعك إلى في النوم... ويدل عليه قوله: ﴿وهُوالَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ﴾ أي يميتكم لأن النوم أخو الموت، وقال: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ الآية (وثالثها) إني متوفيك وفاة نوم، عن ابن عباس ووهب قالا أماته الله ثلاث ساعات..»(٢).

وقال السبزواري: «ومادة (و ف ي) تدلّ على أخذ الشيء وافياً تماماً في الجملة، وهذا المعنى شائع في الاستعمالات العرفيّة والقرآنيّة، وأما الوفاة بمعنى الموت، فهوأحد موارد استعمالاتها، وليس من المعنى الحقيقي لها. نعم، شاع استعمالها في الموت، وذلك لأنّ الإنسان يأخذ من الحياة نصيبه التام بحسب استعداده، فاللّه يميته بعد ذلك وينقله إلى عالم آخر، ومن هذه الآيات وما تقدّم من نظائرها يستفاد أن التوفّي أعمّ من الموت، بل لم يستعمل التوفّي في الموت إلا بعناية خاصة، وإلّا استعمل الموت بدله...»(٣).

وأمّا الطباطبائي فقد قال ما ملخصه: إنّه ليس من المستحيل أن يتوفى

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج٥، ص: ١٣٣.

(٢) الطبرسي، الفضل بن الحسين، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٢، ص: ٧٥٩–٧٥٨.

(٣) أنظر: السبزواري، سيّد عبد الأعلى، مواهب الرحمان في تفسير القرآن، ج٥، ص: ٣٢٣–٣٢٤.

الله المسيح ويرفعه إليه على غير العادة الجارية، والآية: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ... ﴾[١] لا تخلو من إشعار أو دلالة على حياته عليه السلام وعدم موته، فالتوفي أخذ الشيء أخذاً تاماً، ولذا يستعمل في الموت، وبالتأمّل في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى ﴾[٣] يتبيّن أنّ التوفي في القرآن الكريم لم تستعمل بمعنى الموت، بل بعناية الأخذ والحفظ[٤].

إذن فالوفاة لاتعني الموت في القرآن الكريم، بل إنّه مصداق من مصاديقها، وعليه فإنّ النَّبيّ عيسى عليه السلام لم يمت قبل رفعه إلى السماء، لذا في قوله تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾، أكد على عدم القتل وعدم الصلب في جملة: ﴿ ... وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ... ﴾.

(١) سورة آل عمران: ٥٥.

(٢) سورة السجدة: ١١.

(٣) سورة الزمر: ٤٢.

(٤) انظر: الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج٥، ص: ١٣٤؛ الطوسي، محمّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج٢، ص: ٤٧٨؛ الطبري محمّد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٠٢-٢٠٣؛ ابن كثير الدمشقي، اسماعيل بن عمرو، تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص: ٤٠٠، تحقيق: محمّد حسين شمس الدين.

والخلاصة ممَّا تقدم: إنّ آيات القرآن الكريم تثبت:

١- إنّ النَّبيّ عيسى عليه السلام لم يقتل ولم يُصلب.

٢- إنّ الّذي قُتل وصُلب هو من أُلقي عليه الشبه، أي: شبه عيسى عليه السلام، وقد اختُلف في من يكون، فبعضهم قال من سعى به، وبعضهم قال من أتى للقبض عليه، وبعضم قال أحد الحواريين.

٣- إنّ النَّاس انقسموا في ذلك إلى مكذبين وهم رؤساء اليهود، وظانّين وهم عامّة النَّاس.

٤- إنّ القرآن الكريم نقل القصة بوجه واحد ليس فيه اختلاف.

المقارنة

إذا تأمّلنا في نقل الأناجيل الأربعة لقصة قتل وصلب النَّبيّ عيسى عليه السلام، ونقل القرآن الكريم نلحظ الآتي:

أوَّلاً: إنّ النقلين يشتركان في أنّ المقصود بالقتل والصلب من قِبل اليهود هو النَّبيّ عيسى عليه السلام.

ثانياً: إنّ الأناجيل الأربعة ذكرت القصة بكامل جزئياتها وتفاصيلها، بينما في القرآن الكريم ذُكرت محاور القصة الرئيسية فقط.

ثالثاً: لم تذكر الأناجيل ضمن جزئيات القصة التي نقلتها إلى شبيه النَّبيّ عيسى عليه السلام، لعدم إيمانها به، بخلاف القرآن الكريم.

رابعاً: إنّ الأناجيل الأربعة ذكرت أنّ رفع النَّبيّ عيسى عليه السلام إلى السماء كان بعد موته ودفنه، بينما ذكرت في القرآن الكريم قبل صلب الشبيه.

خامساً: وجود الاختلاف في نقل القصة بين الأناجيل الأربعة، بخلاف القرآن الكريم.

والنتيجة:

إنّ قصة قتل وصلب النبي عيسى عليه السلام غير ثابتة في القرآن الكريم، بخلاف الأناجيل الأربعة التي أثبتت الصلب واختلفت في تفاصيله.

المبحث الرابع: جريان الشمس في قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ بين القرآن والعلم الحديث

يتناول هذا المبحث طريقة البحث الموضوعي لموضوع من مواضيع القرآن الكريم يقع موضوعاً من موضوعات علم الفلك، وهذا النوع من البحث يُعرف بطريقة البحث الموضوعي بين القرآن الكريم والعلوم الأُخرى، وهو كالآتي:

مقدمة المبحث

ازداد الاهتمام بعلم الفلك في عهد اليونان، بعد أن استطاع الصينيون والبابليون أن يتنبؤوا بالكسوف والخسوف، فقرر فيثاغورس(٥٨٠-٥٠٠ ق.م) وأرسطو(٣٨٤-٣٢٢ ق.م): أنّ الأرض ثابتة، وهي مركز الكون، والشمس وكُل الكواكب تدور حولها في كون كروي مغلق[1].

وفي بداية القرن الثالث قبل الميلاد جاء الفلكي اليوناني ارسطرخوس

(١) راجع: الخضر، أُسامة علي، القرآن والكون من الإنفجار العظيم إلى الإنسحاق العظيم، ص: ٥٥١-٥٥٥.

(٣١٠-٣٣٠ ق.م) بنظرية أُخرى قائلة: بدوران الأرض حول الشمس، ولكنّه اعتبر الشمس جرماً ثابتاً في الفضاء(*)، وكان أوّل فلكي يرفض فكرة مركزية الأرض، ورفض النَّاس هذه النظريّة وحكموا على مؤيديها بالزندقة وأنزلوا بهم أشد العقاب، وجاء بعده العالم بطليموس (١٠٠-١٧٠ب.م) ليثبت مركزية الأرض، وبقي الأمر على تلك الحال حتى انتهت العصور الوسطى.

في عام (١٥٤٣م) نشر العالم البولوني (كوبرنيكوس) كتابه عن الفلك والكواكب، وأرسى فيه نظرية دوران الأرض حول الشمس، ولكنّه اعتبر أيضاً أنّ الشمس ثابتة كسلفه (أريستاركوس).

ثم بدأت تتحوَّل هذه النظريّة إلى حقيقة بعد اختراع التلسكوب، وبدأ العلماء يميلون إلى هذه النظريّة تدريجياً، إلى أن استطاع العالم الفلكي الإيطالي (غاليليو) أن يصل إلى هذه الحقيقة عبر مشاهداته الدائمة وتعقّبه لحركة الكواكب والنجوم، وكان ذلك في القرن السابع عشر الميلادي، وفي القرن نفسه توصّل العالم الفلكي الألماني يوهانز كابلر (١٥٧١-١٦٣٠) إلى أنّ الكواكب لا تدور حول الأرض فحسب، بل تسبح في مدارات خاصة بها حول مركز هو الشمس بشكل إهليجي(**).

وبقي الأمر على ما هو عليه إلى أن اكتشف العالم الإنكليزي (ريتشارد كارينغتون) في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، أنّ الشمس تدور حول نفسها، وذلك من خلال تتبّعه للبقع السوداء التي اكتشفها في الشمس.

(*) الجُرم: هو كل ما يسبح فى الفضاء من نجوم وكواكب وأقمار وأجسام صخرية أو غازية.

(**) الحركة الإهليجية: هي الحركة المتكونة نتيجة لوجود ضغط أقوى في جهة معيّنة مُتولِّد بسبب حركة المجرات حول مركزها.

ويعتقد العلماء الآن، أنّ الشمس قد قطعت نصف مدة حياتها، وأنّها ستتحوَّل تدريجياً إلى نجم منطفيء بعد خمس مليارات سنة، بعد أن تبرد طاقتها وتتكثف الغازات فيها[1].

نظرة المفسِّرين إلى الآية

قال الفراهيدي: «جري: الخيل تجري. والرِّياح تجري، والشمس تجري جرياً إلّا الماء فإنّه يجري جرية. والجراء للخيل خاصة، والإجريا: طريقته التي يجري عليها من عادته. والإجريا: ضرب من الجري... والجري: الرسول، لأنك أجريته في حاجتك. الجَرْي: المَرُّ السريع، وأصله كمَرِّ الماء، ولِمَّا يجري بجريه. يقال: جَرَى يَجْرِي جِرْيَة وجَرَيَاناً.»[2].

وقال الراغب الأصفهاني: «الجَرْي: المَرُّ السريع، وأصله كمَرِّ الماء، ولما يجري بجريه. يقال: جَرَى يَجْرِي جِرْيَة وجَرَيَاناً... الإِجْرِيَّا: العادة التي يجري عليها الإنسان،...»[3].

وقال فخر الدين الطريحي: «... جرى الماء: سال، خلاف وقف وسكن. والمصدر الجري بفتح الجيم. وجرية الماء بالكسر: حالة الجريان. والماء الجاري هو المتدافع في انحدار واستواء...»[4].

---

(١) انظر: أحمد، يوسف الحاج، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسُنّة المطهّرة، ص٣٦٦-٣٦٧.

(٢) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج٦، ص: ١٧٤.

(٣) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمّد، المفردات في غريب القرآن، ص: ١٩٤.

(٤) الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، ج١، ص: ٨٣.

ويقول المصطفوي في المراد من هذه الكلمة القرآنيّة: «أنّ مفهوم هذه المادّة أصل واحد، وهو الحركة المنظمة الدقيقة في طول مكان، ويعبّر عنه بالانسياح.

يقال جرى الماء، جرى النجم، جرت العين- مجازا، جرت السفينة، جرت الشمس، جرت الريح.»[١].

نسبة الجري في القرآن الكريم

وقد نسب الجري في القرآن الكريم الى أمور هي:

الماء في الأنهار والعيون، كقوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[٢]؛ ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾[٣].

والسفن الجارية في البحر، وقد ذُكرت بأكثر من تعبير مثل قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاء لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾[٤]؛ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[٥]؛ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾[٦].

---

(١) المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج٢، ص: ٧٦.

(٢) سورة آل عمران: ١٣٦.

(٣) سورة الرحمن: ٥٠.

(٤) سورة القمر: ١٣-١٤.

(٥) سورة لقمان: ٣١.

(٦) سورة الشورى: ٣٢.

والرِّيح، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾ (١).

والشمس، كما في قوله تعالى: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ (٢).

والقمر، كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٣).

والمحصل:

إنّ الأصل في المادّة واحد يدل على الحركة المنظمة الدقيقة في طول مكان، ويعبّر عنه بالانسياح، يُقال جَرَى الماء، أي: سال وساح، ومصدر المادّة (الجَري) وهو مأخوذ من الفعل الثلاثي (جرى)، أمّا معنى الجري فهو: المَرُّ السريع، وأصله مَرَّ الماء، يُقال: (جَرَى يَجْرِي جِرْيَة وَجَرَيَاناً)، والجِرْيَة حالة الجريان وهي ضربين: أحدهما حركة الماء الخاصة به، حيث يجري وفق طبعه متدافعاً منحدراً في استواء، والأُخرى الطريقة التي يجري عليها من عادته وليس طبعه، كجريان الخيل مثلاً، وقد أشير في القرآن الكريم إلى هذين النوعين من الحركة في جريان الماء، وفي جريان الرِّيح والسُفُن والشمس والقمر.

(١) سورة الأنبياء: ٨١.

(٢) سورة يس: ٣٨.

(٣) سورة لقمان: ٢٩.

والجامع الّذي يمكن تصوره لها تعليلاً لاستخدام نفس الفعل فيها جميعاً، هو أنّها متغيرة الحركة بطبعها أو عادتها، ولها أكثر من شكل، والأصل فيها والمقياس حركة الماء المتدافعة، أي: المتغيرة تغيراً فورانياً في نفس الوقت الّذي يسير فيه إلى الأمام في إستواء (تسطح)، أي: السيح أو السباحة التي أشير إليها في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[1]، كذلك أنّها دائمة الحركة من دون توقف، بمعنى يشمل زمان حركتها الحال والاستقبال، وحيث أنّ الأشياء من طبيعتها أنّ لها نهاية معيّنة، لذا تكون الحركة في المستقبل إلى أمد معيّن وأجل مسمى كما عبّر القرآن الكريم في حركة الشمس والقمر في قوله تعالى: ﴿... وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى...﴾[2].

والنتيجة:

ممَّا تقدم يتبيّن أنّ المراد بالجري في الآية الشريفة: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ هو أنّ الشمس متحركة، وحركتها دقيقة ومنتظمة متدافعة ومتغيرة، بمعنى أنّ لها أكثر من حركة واحدة، ومنحدرة باستواء نحو نهاية معلومة عُبّر عنها في ذات الآية الشريفة بالمستقر، وحركتها هذه تجري وفق عادتها وليس طبعها، وتمر مراً سريعاً، إذ أنّ الجري كما سلف القول فيه: المَرُّ السريع، وبما أنّ أصله كمَرِّ الماء، ولمّا يجري بجريه. يقال: جَرَى يَجْرِي جِرْيَة وجَرَيَاناً، عبّر القرآن عن حركة الشمس بالجري.

---

(١) سورة الأنبياء: ٣٣.

(٢) سورة لقمان: ٢٩.

وفي معنى الجري فقد ذكر أكثر المفسِّرين من المتقدمين والمتأخرين، أنّ الشمس متحركة نحو مستقرها، إلّا أنّه أختلفت وجهات نظرهم في المراد من حركتها ومعنى استقرارها.

يقول الطبري في ذلك: إنّ «... قوله: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾، قال: وقت واحد لاتعدوه، وقال آخرون: معنى ذلك: تجري لمجرى لها إلى مقادير مواضعها، بمعنى: أنّها تجري إلى أبعد منازلها في الغروب، ثم ترجع ولاتجاوزه. قالوا: وذلك أنها لاتزال تتقدم كُل ليلة حتى تنتهي إلى أبعد مغاربها ثم ترجع»[1]

أمّا الطبرسي فقد ذكر: «أنّ في قوله: ﴿...لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا...﴾ أقوال، (أحدها) أنّها تجري لانتهاء أمرها عند انقضاء الدنيا، فلا تزال تجري حتى تنقضي الدنيا، قال أبو مسلم ومعنى هذا ومعنى لامستقر لها واحد، أي: لاقرار لها إلى انقضاء الدنيا، (وثانيها) أنّها تجري لوقت واحد لاتعدوه ولايختلف، وهو مروي عن قتادة، (وثالثها) أنّها تجري إلى أقصى منازلها في الشتاء والصيف لاتتجاوزها، والمعنى أنّ لها في الارتفاع غاية لاتتجاوزها ولا تنقطع دونها، ولها في الهبوط غاية لاتتجاوزها ولاتقصر عنها فهو مستقرها»[2].

وبيّن صاحب الميزان الطباطبائي: إنّ جريان الشمس حركتها، وقوله: ﴿...لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا...﴾ اللام بمعنى إلى أو للغاية، والمستقر مصدر ميمي أو اسم زمان أو مكان، والمعنى أنّها تتحرك نحو مستقرها أو حتى تنتهي إلى مستقرها،

(١) الطبري، محمّد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، ج٢٣، ص: ٥-٦.

(٢) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٨، ص: ٦٦٣، (بتصرف).

أي: استقرارها وسكونها، وذلك بانقضاء أجلها أو زمن استقرارها أو محله[١].

وقد قال مكارم الشيرازي: إنّ «هذه الآية تبيّن بوضوح حركة الشمس بشكل مستمر، أمّا ما هو المقصود من تلك الحركة؟ فللمفسِّرين أقوال متعدّدة»[٢].

أمّا الأقوال التي نقلها فتتلخص في[٣]:

أوّلاً: حركة الشمس الظاهرية حول الأرض، تلك الحركة التي ستستمر إلى آخر عمر العالم الّذي هو نهاية عمر الشمس ذاتها.

ثانياً: ميل الشمس في الصيف والشتاء نحو الشمال والجنوب على التوالي، لأنّنا نعلم بأنّ الشمس تميل عن خطّ اعتدالها في بدء الربيع بطرف الشمال، لتدخل في مدار (٢٣) درجة شمالا، وتعود مع بدء الصيف قليلاً قليلاً حتى تنتهي إلى خطّ اعتدالها عند بداية الخريف وتستمر على خطّ سيرها ذلك باتّجاه الجنوب حتى بدء الشتاء، ومن بدء الشتاء تتحرّك باتّجاه خطّ اعتدالها حتى تبلغ ذلك عند بدء الربيع.

ثالثاً: حركة الشمس الموضعية بالدوران حول نفسها، حيث أثبتت دراسات العلماء بشكل قطعي أنّ الشمس تدور حول نفسها.

رابعاً: حركة الشمس مع منظومتها باتّجاه معيّن ضمن المجرة التي تكون المجموعة الشمسية جزءا منها، وقيل أنّ حركتها باتّجاه نجم بعيد جدّا أطلقوا

---

(١) انظر: الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١٧، ص: ٨٩.

(٢) مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٤، ص: ١٨٤.

(٣) راجع: المصدر نفسه، ص: ١٨٤-١٨٥.

عليه اسم: (فيگا).

خامساً: وهو آخر ما قيل في تفسير هذه الآية: إنّ تعبير الآية يشير إلى نظام السنة الشمسية الناشئ عن حركة الشمس عبر الأبراج المختلفة.

وقال مكارم في نهاية عرضه للأقوال في المسألة: «كُل هذه المعاني المشار إليها لا تتضارب فيما بينها، ويمكن أن تكون جملة (تجري) إشارة إلى جميع تلك المعاني ومعاني أُخرى لم يصل العلم إلى كشفها، وسوف يتمّ كشفها في المستقبل»[1].

نظرة العلم الحديث إلى جري الشمس

كان الاعتقاد السائد لقرون طويلة، أنّ الأرض ثابتة، وأنّ الشمس تدور حولها، ثمّ تغيّر هذا الاعتقاد مع النهضة العلميّة الحديثة منذ القرن السابع عشر، لينظر العلماء وقتها إلى الشمس على أنها ثابتة وأن الكواكب تدور حولها[2].

ولكن وبعد اكتشاف المجرات وبعد الدراسات الدقيقة التي أجريت على الشمس تبيّن أنّ الأمر ليس بهذه البساطة. فالشمس تسير وتتحرك وليست ثابتة. وقد كان يظن في البداية أن للشمس حركة واحدة هي حركة دورانية حول مركز المجرة[*]، ولكن تبيّن فيما بعد أن الشمس تتحرك باتجاه مركز

---

(١) مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٤، ص: ٨٥.

(٢) راجع: إدريس، أكرم أحمد، الفلك والطب أمام عظمة القرآن، ص: ١٠٠-١٠٢.

(*) إنّ دوران الشمس حول مركزها دورة واحدة يستغرق ٢٥٠ مليون سنة، أي ما يُعادل دوران الأرض حول الشمس ٢٥٠ مليون دورة، وتسمى هذه المدة بـ «السَنَة الكونيّة».

المجرة أيضاً[١].

وتبيّن أيضاً أن الشمس تتحرك حركة دورانية وتتذبذب يميناً وشمالاً[٢]، مثل إنسان يجري فتجده يميل يميناً ويساراً، ولذلك فهي ترسم مساراً متعرجاً في الفضاء، كالمسار الّذي ترسمه الخيل في جريانها كما في الشكل الأوّل، أو الّذي ترسمه السفينة في البحر كما في الشكل الثاني، وأنّ حركتها إهليجية كما في الشكل الثالث.

وإنّ الشمس تسبح حول فلك محدد في المجرة كما في الشكل الرابع، وتستغرق دورها حول المجرة (٢٤٠ مليون سنة)، وتسمى هذه المدة بالسَنة المجرّية (galacticyear)، وهي تجري بسرعة (٢٢٠ كيلو متر في الثانية)، كما أنّها تندفع مع النجوم المجاورة لها بنفس السرعة تقريباً، مع اختلاف نسبي بحدود (٢٠ كيلو متر في الثانية)[٣].

كذلك وجد الفلكيون إنّ الشمس تدور حول محورها مرَّة كُل (٢٥ يوم أرضي)، وتسير بسرعة (٢٥٠ كيلومتر في الثانية)[٤].

وقد لاحظ العلماء حديثاً حركة للشمس مع المجرة التي تتوضع فيها، فهم يعتقدون أنّ مجرة (درب التبانة) أو (مجرتنا)، تسير بسرعة (٦٠٠ كيلو متر

---

(١) انظر: إدريس، أكرم أحمد، الفلك والطب أمام عظمة القرآن، ص: ١٠٤.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) راجع: الخضر، أُسامة علي، القرآن والكون من الإنفجار العظيم إلى الإنسحاق العظيم، ص٧٢٤.

(٤) طيّاره، نادية، موسوعة الإعجاز القرآني في العلوم والطب والفلك، ج٢، ق٢، ب٢، ص٩٩.

في الثانية)، وتجرف معها جميع النجوم ومنها شمسنا كسيلان الماء في النهر كما في الشكل الخامس.

لقد بدأ اهتمام علماء الفضاء بدراسة حركة الشمس بهدف إطلاق مركبات فضائية خارج المجموعة الشمسية لاستكشاف الفضاء ما بعد المجموعة الشمسية، وقد أطلقوا لهذا الهدف مركبتي فضاء (فوياجر١، وفوياجر٢)، وعند دراستهم للمسار الّذي يجب أن تسلكه المركبات الفضائية للخروج خارج النظام الشمسي، تبيّن أنّ الأمر ليس بالسهولة التي كانت تُظَنُ من قبل، فالشمس تجري بحركة شديدة التعقيد لا تزال مجهولة التفاصيل حتى الآن، ولكن هناك حركات أساسية للشمس محصلها: إنّ الشمس تسير باتجاه محدد لتستقر فيه، ثم تكرر دورتها من جديد.

وقد وجد العلماء أن أفضل تسمية لاتجاه الشمس في حركتها هو (مستقر الشمس).

والمحصل:

إنّ الشمس من وجهة نظر العلم الحديث تسير وتتحرك حركة دائمة لايعتريها الثبات حتى المستقر، وإنّ حركتها مختلفة ومتغيّرة، حيث رصد لها الفلكيون من ضرب من الحركات، وهي:

حركتها الدورانية حول مركز المجرة(درب التبّانة)؛ حركتها بإتجاه مركز المجرة؛ حركتها صعوداً ونزولاً، أو حركتها الذبذبية؛ حركتها حول نفسها؛ وقيل حركتها بالنسبة لمواقع النجوم أو ما يعرف بالمنزل، وهو معنى التنقل.

نتيجة المبحث

وتجري الشمس بحركة شديدة التعقيد لا تزال أكثر تفاصيلها مجهولة إلى الآن، لكن هناك حركات أساسية للشمس، وهي التي رصدها الفلكيون وأُشير إليها أعلاه، محصّلها أنّ الشمس تسير باتجاه محدد وبحركات متعددة لتستقر فيه، ثمّ تُعيد دورها من جديد، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة علمية قبل قرابة الـ: (١٢٠٠–١٤٠٠ عام) لم تكن معروفة في زمان نزوله في قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾، وهي أنّ الشمس لها حركات مختلفة عبّر عنها بلفظة ﴿...تجري...﴾، وجريانها أعمّ من حركة الشروق والغروب اليومية وغيرها[1]، وأنّ لابُدّ لهذا الجريان من نهاية تسمى بالـ: (مستقر)، وقد اكتشف العلم الحديث هذه الحقيقة بعد هذه المدة الزمنية، ومنه يتبيّن أنّ القرآن الكريم أو الدين بشكل عام لايتعارض مع العلم، وقِدم ذكر هذه الأُمور يُعدُّ إعجازاً علمياً فيه.

الملحقات

الشكل الأوَّل

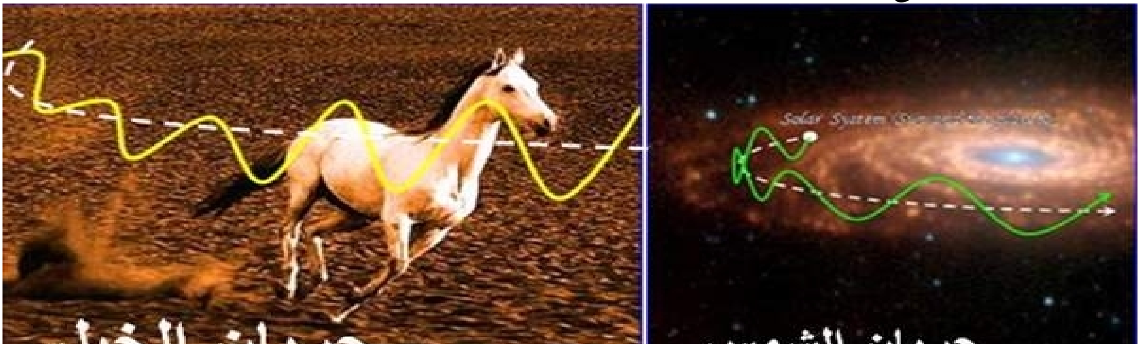

---

(١) راجع: رضائي أصفهاني، محمّد علي، درآمدي بر تفسير علمي قرآن، ص: ٤٢٥.

الشكل الثاني

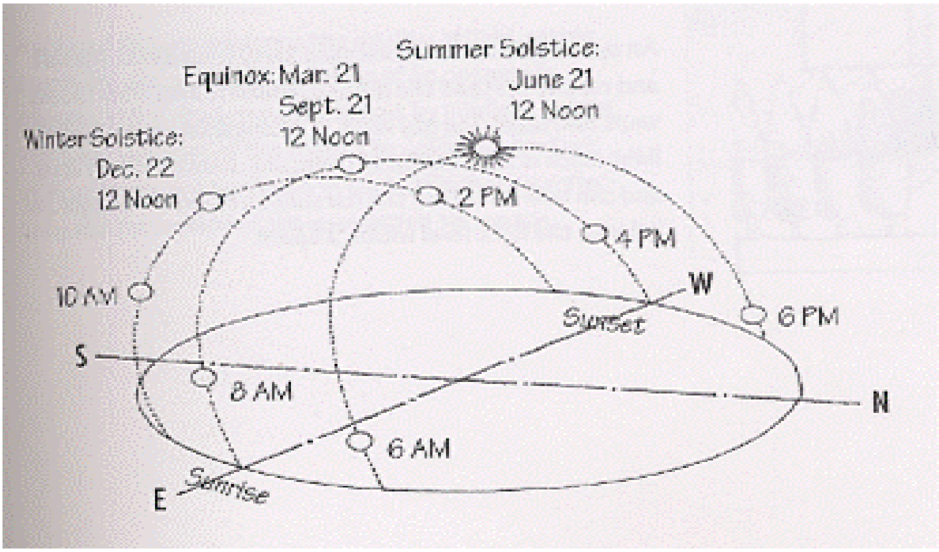

الشكل الثالث

الشكل الرابع

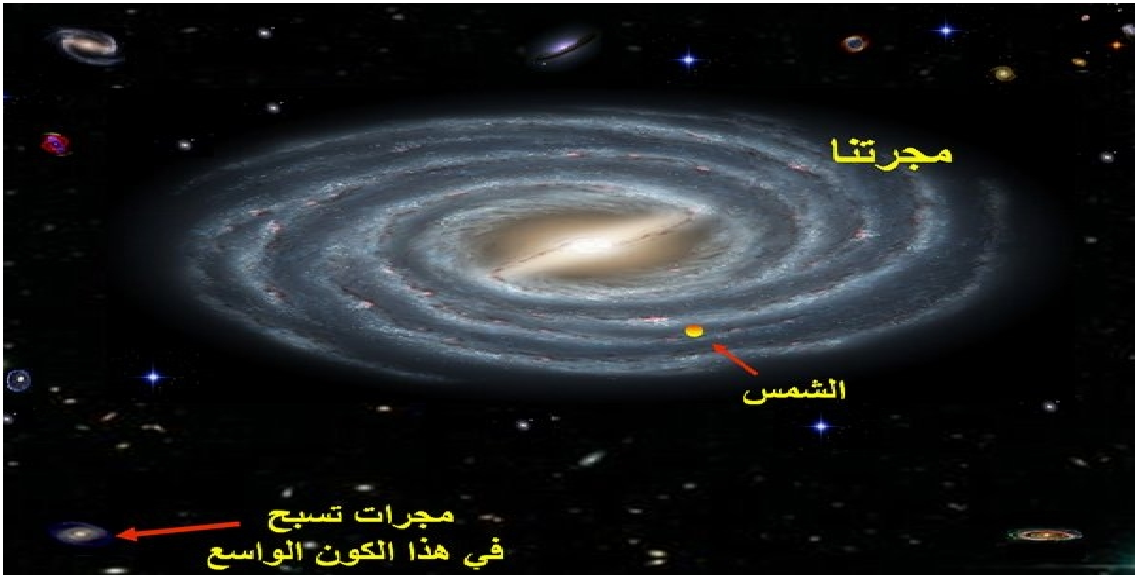

الشكل الخامس

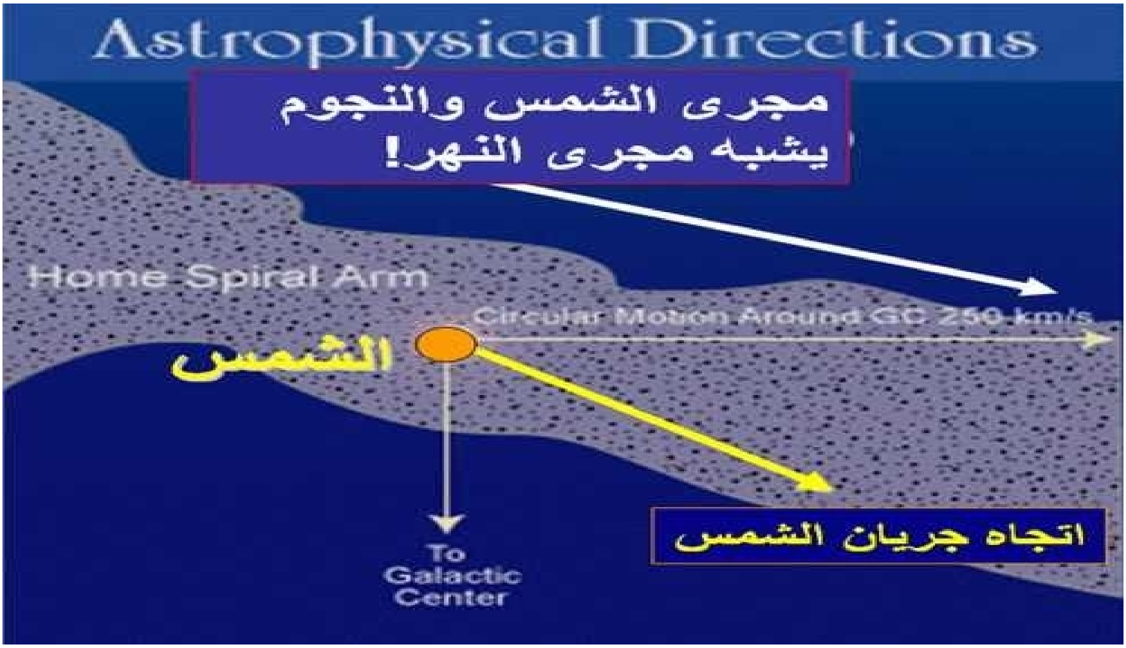

الخاتمة

تعرّض المؤلّف في هذا الكتاب إلى التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، وعالج فيه مشكلة اعتباره ومشروعيّته، وقد تمت المعالجة وفق خطوات منهجيّة (تحديد المبادئ النظريّة، بيان طرق العمل، بيان الأُصول، بيان القواعد، بيان الشرائط، ذكر النماذج) نتج عنها إثبات شقي فرضيّة البحث فيه، وهو: أنّ للتفسير الموضوعي أُصولاً يستند إليها في ضبط عمليّة التفسيروله قواعداً يستند إليها في استكشاف المقاصد القرآنيّة.

كما أنه توصل إلى مجموعة من النتائج، هي:

أوّلاً: إنّ للتفسير الموضوعي أُصولاً يستند إليها في ضبط عمليّة التفسير.

ثانياً: إنّ للتفسير الموضوعي قواعداً يستند إليها في استكشاف المقاصد القرآنيّة.

ثالثاً: إنّ امتلاك التفسير الموضوعي للأُصول والقواعد جعله يمتاز عن أنواع التفسير المُحرّم، كالتفسير بالرأي والهرمونيطيقيا المُحرّمة.

رابعاً: إنّ التفسير الموضوعي لا يستغني عن التفسير التجزيئي في مرحلة عمله الأُولى وخطواتها.

خامساً: إنّ للتفسير الموضوعي طُرقاً مختلفة تُجرى وفق منهجيّة ذات خطوات مشتركة في بعضها ومفترقة في بعضها الآخر، والنسبة بينها العموم والخصوص من وجه.

وقد دلّت هذه النتائج بمجموعها على اعتبار التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ومشروعيته التي يترتب عليها حجية نتائجه وضرورة العمل بها؛ لأنّها كشف عن المراد الإلهي في صورة النتيجة الكُلِّية (النظريّة القرآنيّة).

المقترحات

بعد إنجاز البحث في أُصول وقواعد التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، يمكن أن نقترح على الباحثين والمختصين في التفسير وعلوم القرآن لا سيّما المهتمين بالتفسير الموضوعي للقرآن مايلي:

أوّلاً: تعميق الدراسات النظريّة الحاليّة في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم وتوسيعها لتستوعب جميع جوانبه.

ثانياً: كتابة دراسات نظريّة جديدة في جوانب لم تتناولها الدراسات السابقة.

ثالثاً: جعل التفسير الموضوعي محوراً للدراسات والبحوث العلميّة التفسيريّة المستقبليّة.

رابعاً: عقد المؤتمرات العلميّة لإبراز وإلفات نظر الباحثين إلى أهميته.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

نهج البلاغة.

الكتب

١ ـ الآمدي، علي بن أبي علي بن محمّد، الإحكام في أُصول الأحكام، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، الناشر: المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ. ق.

٢ ـ ابن فارس، أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللُغة، تحقيق: محمّد عوض مرعب وفاطمة محمّد أصلان، الناشر: دار إحياء التُراث العربي، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٢٢هـ. ق.

٣ ـ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، التفسير الكبير، تحقيق وتعليق: عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار الكتب العلميّة، بيروت، (د.ط)، ١٤٠٨هـ. ق.

٤ ـ ابن منظور، جمال الدين محمّد بن مكرم، لسان العرب، دار الصادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ. ق.

٥ ـ ابن هائم، أحمد بن محمّد، التبيان في تفسير غريب القرآن، الناشر: دار

الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٢٣هـ. ق.

٦ـ ابن كثير الدمشقي، اسماعيل بن عمرو، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمّد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١٩هـ. ق.

٧ـ ابن حنبل، أحمد، مسند الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل، تحقيق: محمّد صدقي محمّد جميل العطار، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٢٩هـ. ق.

٨ـ ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر بن محمّد، سعد السعود، الناشر: المطبعة الحيدريّة، النجف، الطبعة الأُولى، ١٣٦٩هـ. ق.

٩ـ ابن عاشور، محمّد بن طاهر، التحرير والتنوير، الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ. ق.

١٠ـ أبو طبرة، هدى جاسم، المنهج الأثري في تفسير القرآن الكريم، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، قم، الطبعة الأُولى، ١٤١٤هـ. ق.

١١ـ أبو حيان الأندلسي، محمّد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمّد جميل، الناشر: دار الفكر، بيروت، (د.ط)، ١٤٢٠هـ.ق.

١٢ـ أبو زيد، نصر حامد، مفهوم النص، (دراسة في علوم القرآن)، الناشر: المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٦٩م.

١٣ـ أبو زيد، نصر حامد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٩٩م.

١٤ـ أبو زيد، نصر حامد، نقد الخطاب الديني، الناشر: سينا للنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م.

١٥ـ أحمد، يوسف الحاج، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسُنّة المطهّرة، الناشر: دار ابن حجر، دمشق، الطبعة الجديدة، ١٤٢٨هـ.ق.

١٦- إدريس، أكرم أحمد، الفلك والطب أمام عظمة القرآن، الناشر: مؤسسة عز الدين، بيروت، (د.ط)، ١٤١٥هـ. ق.

١٧- الأزرقي، أحمد، منهج السيّد محمّد باقر الصدر في فهم القرآن، الناشر: مركز الشهيدين الصدرين للدراسات والبحوث، قم، الطبعة الأُولى، ١٤٢٩هـ. ق.

١٨- الأصفهاني، محمّد حسين، حاشية كتاب المكاسب، تحقيق: عباس محمّد آل سباع، الناشر: المُحقق، قم، الطبعة الأُولى، ١٤١٨هـ. ق.

١٩- الألمعي، زاهر بن عواض، دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، الناشر: المؤلِّف، الرياض، الطبعة الأُولى، ١٤٠٥هـ. ق.

٢٠- الآلوسي، سيّد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، تحقيق: علي عبد الباري عطيّة، الناشر: دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١٥هـ. ق.

٢١- الأميني، عبد الحسين، الغدير في الكتاب والسُنَّة والأدب، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ط)، ١٣٧٩هـ. ق.

٢٢- أنيس، إبراهيم وآخرين، المعجم الوسيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

٢٣- أيازي، محمّد علي، المفسِّرون حياتهم ومنهجهم، الناشر: مؤسسة الطباعة والنشر/ وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، الطبعة الأُولى، ١٤١٤هـ. ق.

٢٤- الأبياري، إبراهيم، الموسوعة القرآنيّة، إشراف: إبراهيم عبده، الناشر: مؤسسة سجل العرب، القاهرة، (د.ط)، ١٤٠٥هـ. ق.

٢٥- البحراني، سيّد هاشم، البرهان في تفسير القرآن، تحقيق: مؤسسة البعثة- قسم الدراسات الإسلاميّة- قم، الناشر: بُنياد بعثت، طهران، الطبعة الأُولى، ١٤١٦هـ. ق.

٢٦- البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمّد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأُولى، ١٤١٨هـ. ق.

٢٧- الترمذي، محمّد بن عيسى، سُنن الترمذي، ضبط: صدقي جميل العطار، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٢٢هـ. ق.

٢٨- التفتازاني، سعد الدين، مختصر المعاني، الناشر: دار الفكر، قم، الطبعة الأُولى، ١٤١١هـ. ق.

٢٩- تقي الدين الحصيني، أبو بكر بن محمّد بن المؤمن، كتاب القواعد، تحقيق: جبريل بن محمّد بن حسن البُصيلي وعبد الرحمن بن عبد الله الشعلان، الناشر: مكتبة الرشيد، الرياض، الطبعة الأُولى، ١٤١٨هـ. ق.

٣٠- التهاوني، محمّد علي، كشّاف اصطلاحات الفُنون والعُلوم، الناشر: دار الصادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

٣١- الثعالبي، عبد الرحمن بن محمّد، جواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: محمّد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١٨هـ. ق.

٣٢- الثعلبي، أحمد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٢٢هـ. ق.

٣٣- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز، الناشر: مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ. ق.

٣٤- الجصّاص، أحمد بن علي، أحكام القرآن، تحقيق: محمّد صادق قمحاوي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)، ١٤٠٥هـ. ق.

٣٥- جمعيّة الكراريس البريطانيّة، كتاب العهد الجديد، الناشر: جمعيّة

الكراريس، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.

٣٦- الجوهري، اسماعيل بن حمّاد، الصحاح تاج اللُغة وصحاح العربيّة، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ. ق.

٣٧- الحائري الطهراني، مير سيّد علي، مقتنيات الدرر وملتقطات الثمر، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، (د.ط)، ١٣٧٧ش.

٣٨- الحجازي، محمّد محمود، الوحدة الموضوعيّة في القرآن الكريم، الناشر: مكتبة دار التفسير، الزقازيق، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ. ق.

٣٩- الحر العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التُراث، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التُراث، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ. ق.

٤٠- الحربي، حسين بن علي بن الحسين، قواعد الترجيح عند المفسِّرين، الناشر: دار القاسم، الرياض، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ. ق.

٤١- الحسيني الشيرازي، سيّد محمّد، الفقه، (كتاب حول القرآن)، الناشر: دار العلوم، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ. ق.

٤٢- الحسيني الشيرازي، سيّد محمّد، تقريب القرآن إلى الأذهان، الناشر: دار العلوم، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٢٤هـ. ق.

٤٣- الحسيني الشيرازي، محمّد رضا، التدبّر في القرآن، الناشر: دار العلوم، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ. ق.

٤٤- الحسيني الحلّي، مسلم حمود، القرآن والعقيدة أو آيات العقائد، تحقيق: فارس الحسون، الناشر: مؤسسة مديَن، طهران، الطبعة الأُولى، ١٤٢٣هـ. ق.

٤٥ـ الحسين، عبد القادر محمّد، معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني، الناشر: دار الغوثاني، دمشق، الطبعة الأُولى، ١٤٢٨هـ. ق.

٤٦ـ الحسيني الكفوي، أيوب بن موسى، الكُلِّيات معجم المصطلحات والفروق اللُغويّة، تحقيق: عدنان درويش ومحمّد المصري،الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ط)، ١٤١٩هـ. ق.

٤٧ـ الحكيم، سيّد رياض، علوم القرآن دروس منهجيّة، الناشر: دار الهلال، النجف، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ. ق.

٤٨ـ الحكيم، سيّد مُنذر، مجتمعنا في فكر وتُراث السيّد محمّد باقر الصدر، الناشر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، طهران، الطبعة الأُولى، ١٤٣٠هـ. ق.

٤٩ـ الحكيم، محمّد باقر، علوم القرآن، الناشر: المجمع العلمي الإسلامي، طهران، (د.ط)، ١٤٠٣هـ. ق.

٥٠ـ الحكيم، محمّد باقر، تفسير سورة الحمد، الناشر: مجمع الفكر الإسلامي، قم، الطبعة الأُولى، ١٤٢٠هـ. ق.

٥١ـ الحكيم، محمّد باقر، المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، الناشر: المركز الإسلامي المعاصر، بيروت، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٣م.

٥٢ـ الحيري النيسابوري، اسماعيل بن أحمد، وجوه القرآن، تحقيق: نجف عرشي، الناشر: مؤسسة الطبع التابعة للآستانة الرضويّة المقدّسة، مشهد، الطبعة الأُولى، ١٤٢٢هـ. ق.

٥٣ـ الخالدي، صلاح عبد الفتاح، تعريف الدارسين بمناهج المفسِّرين، الناشر: دار القلم، دمشق، الطبعة الأُولى، ١٤٢٣هـ. ق.

٥٤ـ الخالدي، صلاح عبد الفتاح، التفسير الموضوعي بين النظريّة والتطبيق، الناشر: دار النفائس، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١٨هـ. ق.

٥٥ـ الخالدي، صلاح عبد الفتاح، التفسير الموضوعي لمصطلحات القرآن، (التفسير والتأويل في القرآن)، الناشر: دار النفائس، الأُردن، الطبعة الأُولى، ١٤١٦هـ. ق.

٥٦ـ الخراساني، محمّد كاظم، كفاية الأُصول، تحقيق، مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ. ق.

٥٧ـ الخضر، أُسامة علي، القرآن والكون من الإنفجار العظيم إلى الإنسحاق العظيم، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٣٠هـ. ق.

٥٨ـ الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، الناشر: دار التوحيد، الكويت، الطبعة الرابعة، ١٣٩٩هـ. ق.

٥٩ـ درويش، محي الدين، إعراب القرآن وبيانه، الناشر: دار الإرشاد، سوريّة، الطبعة الرابعة، ١٤١٥هـ. ق.

٦٠ـ الدامغاني، الحسين بن محمّد، الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، تحقيق: محمّد حسن أبو العزم الزّفيتي، الناشر: جمهورية مصر العربيّة ـ وزارة الأوقاف ـ المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة ـ لجنة إحياء التُراث، القاهرة، (د.ط)، ١٤١٦هـ. ق.

٦١ـ الذهبي، محمّد حسين، التفسير والمفسِّرون، الناشر: المُؤلِّف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٦هـ. ق.

٦٢ـ الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمّد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار العلم، دمشق/ الدار الشامية، بيروت، الطبعة

الأُولى، ١٤١٢هـ. ق.

٦٣ـ الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمّد، مقدمة تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمّد عبدالعزيز بسيوني، الناشر: كُلِّية الآداب ـ جامعة طنطا، مصر، الطبعة الأُولى، ١٤٢٠هـ.ق.

٦٤ـ الرباني الگلبايگاني، علي، ما هو علم الكلام، الناشر: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، قم، الطبعة الأُولى، ١٤١٨هـ. ق.

٦٥ـ رجبي، محمود، بحوث في منهج تفسير القرآن الكريم، ترجمة: حسين صافي فرجي، الناشر: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٧م.

٦٦ـ الراوندي، قطب الدين، فقه القرآن في شرح آيات الأحكام، الناشر: مكتبة المرعشي النجفي، قم، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ. ق.

٦٧ـ الرحماني، أحمد، مصادر التفسير الموضوعي، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأُولى، ١٤١٩هـ. ق.

٦٨ـ الرومي، فهد بن عبد الرحمن، بحوث في أُصول التفسير ومناهجه، الناشر: مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الأُولى، ١٤١٣هـ. ق.

٦٩ـ الرومي، فهد بن عبد الرحمن، خصائص القرآن، الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة العاشرة، ١٤٢٠هـ. ق.

٧٠ـ الرازي، محمّد عبد القادر، مختار الصحاح، تحقيق: أحمد شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤١٥هـ. ق.

٧١ـ رضائي الأصفهاني، محمّد علي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيريّة للقرآن، تعريب: قاسم البيضاني، الناشر: مركز المصطف صلى الله عليه وآله وسلم

العالمي للترجمة والنشر، قم، الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ. ق.

٧٢- الزبيدي، محمّد مرتضى، تاج العروس، الناشر: مكتبة الحياة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

٧٣- الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي وجمال حمدي الذهبي وإبراهيم عبد الله الكُردي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ. ق.

٧٤- الزرقاني، محمّد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: محمّد علي قطب ويوسف الشيخ محمّد، الناشر: المكتبة العصريّة، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ. ق.

٧٥- الزمخشري، محمود، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ. ق.

٧٦- السُباعي، كاظم، القرآن كتاب حياة، الناشر: مؤسسة الوفاء، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٠٤هـ. ق.

٧٧- السبت، خالد بن عثمان، قواعد التفسير جمعاً ودراسة، الناشر: دار ابن عفان، الخُبَر، الطبعة الأُولى، ١٤٢١هـ. ق.

٧٨- السبحاني، جعفر، المناهج التفسيريّة في علوم القرآن، الناشر: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ. ق.

٧٩- السبحاني، جعفر، مفاهيم القرآن، الناشر: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم، الطبعة الرابعة، ١٤١٣هـ. ق.

٨٠- السبحاني، جعفر، كُلِّيات في علم الرجال، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ. ق.

٨١- السبزواري، سيّد عبد الأعلى، مواهب الرحمان في تفسير القرآن، الناشر: مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.ق.

٨٢- السبزواري النجفي، محمّد بن حبيب الله، إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، الناشر: دار التعارف للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١٩هـ. ق.

٨٣- سرور، عبد الحكيم محمّد، السفير في أُصول التفسير، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الرحمن شميلة، الناشر: مكتبة دار حراء، مكة، (د.ط)، (د.ت).

٨٤- سعيد، عبد الستار فتح الله، المدخل إلى التفسير الموضوعي، دار التوزيع والنشر الإسلاميّة، بور سعيد- مصر، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ. ق.

٨٥- السمرقندي، نصر بن محمّد بن أحمد، بحر العلوم، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١٦هـ. ق.

٨٦- السمعاني، أبو مظفر، قواطع الأدلّة في الأُصول، الناشر: دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٩٩٧م.

٨٧- السيفي المازندراني، علي أكبر، دروس تمهيديّة في القواعد التفسيريّة، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم، الطبعة الأُولى، ١٤٢٨هـ/ ١٤٣٠هـ. ق.

٨٨- السيوطي، جلال الدين، الأشباه والنظائر في النحو، الناشر: المكتبة العصريّة، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٢٠هـ. ق.

٨٩- السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: سعيد المندوب، الناشر: دار الفكر، لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤١٦هـ. ق.

٩٠- السيوطي، جلال الدين، التحبير في علم التفسير، تحقيق: زهير عثمان علي نور، الناشر: إدارة الشؤون الإسلاميّة- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة- دولة قطر، قطر، الطبعة الأُولى، ١٤١٦هـ. ق.

٩١ـ السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور في تفسير المأثور، الناشر: مكتبة المرعشي النجفي، قم، (د.ط)، ١٤٠٤هـ. ق.

٩٢ـ شُبّر، عبد الله، الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين، الناشر: مكتبة الألفَين، الكويت، الطبعة الأُولى، ١٤٠٧هـ. ق.

٩٣ـ الشرباصي، أحمد، قصة التفسير، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م.

٩٤ـ الشريف الجرجاني، علي بن محمد بن علي، كتاب التعريفات، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٢٦هـ. ق.

٩٥ـ الشريف الرضي، محمّد بن الحسين بن موسى، نهج البلاغة، شرح: محمّد عبده، الناشر: دار البلاغة، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٢١هـ.ق.

٩٦ـ الشنتاوي، أحمد، خورشيد، إبراهيم زكي، يونس، عبد الحميد، دائرة المعارف الإسلاميّة، الناشر: دار المعرفة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

٩٧ـ الصادقي، محمّد، الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، الناشر: انتشارات فرهنگ إسلامي، قم، الطبعة الثانية، ١٣٦٥ش.

٩٨ـ الصباغ، محمّد بن لطفي، بحوث في أُصول التفسير، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٠٨هـ. ق.

٩٩ـ الصدر، محمّد باقر، المدرسة القرآنيّة، الناشر: دار التعارف للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ. ق.

١٠٠ـ الصدر، محمّد باقر، اقتصادنا، الناشر: دار التعارف للمطبوعات، بيروت، الطبعة السادسة عشر، ١٤٠٢هـ. ق.

١٠١ـ الصدر، محمّد باقر، الإسلام يقود الحياة، تحقيق: لجنة التحقيق التابعة

للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر، الناشر: مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، (د.م)، الطبعة الأُولى، ١٤٢١هـ. ق.

١٠٢ـ الصدر، محمّد باقر، دروس في علم الأُصول، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم، رقم: ٥٠٤، (د.ت).

١٠٣ـ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، من لا يحضره الفقيه، تحقيق: علي أكبر غفّاري، الناشر: جامعة المدرسين، قم، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ. ق.

١٠٤ـ الصدوق، محمّد بن علي بن الحسين، الخصال، الناشر: دار المُرتضى، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٢٩هـ. ق.

١٠٥ـ الصغير، محمّد حسين علي، تاريخ القرآن، الناشر: دار المؤرخ العربي، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٢٠هـ. ق.

١٠٦ـ الصغير، محمّد حسين علي، المبادئ العامّة لتفسير القرآن الكريم بين النظريّة والتطبيق، الناشر: دار المؤرخ العربي، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٢٠هـ. ق.

١٠٧ـ الصفّار، محمّد بن الحسن، بصائر الدرجات، تحقيق: الميرزا محسن كوچه باغي، الناشر: مؤسسة الأعلمي، طهران، (د.ط)، ١٤٠٤هـ.ق.

١٠٨ـ الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، الناشر: دفتر انتشارات اسلامى جامعهى مدرسين حوزه علميه، قم، الطبعة الخامسة، ١٤١٧هـ. ق.

١٠٩ـ الطباطبائي، محمّد حسين، نهاية الحكمة، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم، الطبعة الثانية عشر، ١٤١٦هـ. ق.

١١٠ـ الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: محمّد جواد البلاغي، الناشر: انتشارات ناصر خسرو، طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٧٢ش.

١١١ـ الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير جوامع الجامع، الناشر: انتشارات

دانشگاه طهران ومديريت حوزه علميه قم، طهران، الطبعة الأُولى، ١٣٧٧ش.

١١٢ـ الطبري، محمّد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، الناشر: دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١٢هـ. ق.

١١٣ـ الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، تحقيق: سيّد أحمد الحسيني، الناشر: كتاب فروشي مرتضوي، طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٧٥ش.

١١٤ـ الطبراني، سُليمان بن أحمد، المُعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ. ق.

١١٥ـ الطوسي، محمّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، قم، الطبعة الأُولى، ١٤٠٩هـ. ق.

١١٦ـ الطيّار، مساعد بن سليمان، فصول في أُصول التفسير، الناشر: دار ابن الجوزي، الدمّام، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ. ق.

١١٧ـ طيّاره، نادية، موسوعة الإعجاز القرآني في العلوم والطب والفلك، الناشر: مكتبة الصفاء/ اليمامة، الإمارات/ دمشق-بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٢٨هـ. ق.

١١٨ـ عبد الغفار، أحمد، النص القرآني بين التفسير والتأويل، الناشر: دار المعرفة الجامعيّة، القاهرة، (د.ت)، ١٩٩٦م.

١١٩ـ عبد اللّاوي، محمد، فلسفة الصدر، الناشر: مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ. ق.

١٢٠ـ عبد النور، القس منيس، دائرة المعارف الكتابية، الناشر: دار الثقافة، القاهرة، الطبعة الثانية، (د.ت).

١٢١ـ العبسي الكوفي، عبد الله بن محمّد بن أبي شيبة، مُصنَّف بن أبي شيبة في

الأحاديث والآثار، تحقيق: سعيد محمّد اللّحام، الناشر: دار الفكر، بيروت، (د.ط)،١٤٢٨هـ. ق.

١٢٢ـ العبيد، علي بن مساعد بن سليمان، تفسير القرآن الكريم أُصوله وضوابطه، الناشر: مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الأُولى، ١٤١٨هـ. ق.

١٢٣ـ العروسي الحويزي، عبد علي بن جمعة، تفسير نور الثقلين، تحقيق: سيّد هاشم الرسولي المحلّاتي، الناشر: مؤسسة اسماعيليان للمطبوعات، قم، الطبعة الرابعة، ١٤١٥هـ. ق.

١٢٤ـ العسكري، أبو هلال، معجم الفروق اللُغوية، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: جامعة المدرسين، قم، الطبعة الأُولى، ١٤١٢هـ.ق.

١٢٥ـ العك، خالد عبد الرحمن، أُصول التفسير وقواعده، الناشر: دار النفائس، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ. ق.

١٢٦ـ علي، محمّد صنقور، المعجم الأصولي، الناشر: (د.ن)، إيران، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ. ق.

١٢٧ـ العمري، أحمد جمال، دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأُولى، ١٤٠٦هـ. ق.

١٢٨ـ العيّاشي، محمّد بن مسعود، تفسير العيّاشي، تحقيق: سيّد هاشم الرسولي المحلّاتي، الناشر: المكتبة العلميّة الإسلاميّة، طهران، (د.ط)، ١٣٨٠هـ. ق.

١٢٩ـ فاكر الميبدي، محمّد، قواعد التفسير لدى الشيعة والسُنّة، الناشر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة/ المعاونيّة الثقافيّة/ مركز التحقيقات والدراسات العلميّة، قم، الطبعة الأُولى، ١٤٢٨هـ. ق.

١٣٠ـ فخر الدين الرازي، محمّد بن عمر، المحصول في علم أُصول الفقه،

تحقيق: طه جابر فياض العلواني، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ. ق.

١٣١ ـ فخر الدين الرازي، محمّد بن عمر، مفاتيح الغيب، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ. ق.

١٣٢ ـ الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، الناشر: انتشارات هجرت، قم، الطبعة الرابعة، ١٤١٠هـ. ق.

١٣٣ ـ الفيروز آبادي، مجد الدين محمّد بن يعقوب، القاموس المحيط، الناشر: دار العلم للجميع، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

١٣٤ ـ الفيروز آبادي، مرتضى الحسيني، فضائل الخمسة من الصحاح الستة، الناشر: مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٢هـ. ق.

١٣٥ ـ الفيض الكاشاني، ملّا محسن، الأصفى في تفسير القرآن، تحقيق: محمّد حسين درايتي ومحمّد رضا نعمتي، الناشر: مركز انتشارات دفتر تبليغات إسلامي، قم، الطبعة الأُولى، ١٤١٨هـ. ق.

١٣٦ ـ الفيض الكاشاني، ملّا محسن، تفسير الصافي، الناشر: انتشارات الصدر، طهران، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ. ق.

١٣٧ ـ الفيومي، أحمد بن محمّد بن علي، المصباح المنير، الناشر: منشورات دار الهجرة، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ. ق.

١٣٨ ـ القاضي، محمّد، العصمة، (تقرير بحث السيّد كمال الحيدري)، الناشر: دار فراقد، قم، الطبعة الثامنة، ١٤٢٣هـ. ق.

١٣٩ ـ القرطبي، محمّد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، الناشر: انتشارات ناصر خسرو، طهران، الطبعة الأُولى، ١٣٦٤ش.

١٤٠ـ القطيفي، منير عدنان، الرافد في علم الأُصول، (تقريرات بحث السيّد علي السيستاني)، الناشر: مكتب آيةالله العُظمى السيّد علي السيستاني، قم، الطبعة الأُولى،١٤١٤هـ. ق.

١٤١ـ قسم القرآن لمجمع البحوث الإسلاميّة، المعجم في فقه لغة القرآن وسر البلاغة، الناشر: الآستانة الرضوية المقدّسة، مشهد، الطبعة الأُولى، ١٤٢٠هـ. ق.

١٤٢ـ القمي، عباس، الدر النظيم في لغات القرآن العظيم، تحقيق: رضا أُستادي، الناشر: مجمع البحوث الإسلاميّة، مشهد، الطبعة الأُولى، ١٤٢٨هـ. ق.

١٤٣ـ الكاظمي، محمّد علي، فوائد الأُصول، (تقريرات بحث الميرزا النائيني)، تحقيق: رحمة الله رحمتي الأراكي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم، الطبعة الأُولى، ١٤٠٩هـ. ق.

١٤٤ـ الكُبيسي، خليل، علم التفسير أصوله وقواعده، الناشر: مكتبة الصحابة، الإمارات، الطبعة الأُولى، ١٤٢٧هـ. ق.

١٤٥ـ الكَرَكي، علي بن الحسين، رسائل المُحقق الكَرَكي-المجموعة الأولى، تحقيق: محمّد الحسون، الناشر: مكتبة المرعشي النجفي، قم، الطبعة الأُولى، ١٤٠٩هـ. ق.

١٤٦ـ الكُليني، محمّد بن يعقوب، الكافي(الأُصول والفروع)، تحقيق: علي أكبر غفّاري، الناشر: دار الكتب الإسلاميّة، طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨-١٣٦٧هـ. ق.

١٤٧ـ اللّاري، عبد الحسين، مجموع الرسائل(المحكم والمتشابه)، الناشر: بُنياد معارف إسلامي، قم، الطبعة الأُولى، ١٤١٨هـ. ق.

١٤٨ـ المحلي، جلال الدين، السيوطي، جلال الدين، تفسير الجلالين، الناشر: مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١٦هـ. ق.

١٤٩ـ محمّد، عبد السلام محمّد، دراسات في القرآن الكريم من التفسير الموضوعي، الناشر: مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ. ق.

١٥٠ـ المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، الناشر: مؤسسة الوفاء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ. ق.

١٥١ـ مركز الثقافة والمعارف الإسلاميّة، علوم القرآن عند المفسِّرين، الناشر: مؤسسة بوستان كتاب، مشهد، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ. ق.

١٥٢ـ مسلم، مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي، الناشر: دار القلم، دمشق، الطبعة الأُولى، ١٤١٠هـ.

١٥٣ـ مصباح اليزدي، محمّد تقي، دروس في العقيدة الإسلاميّة، الناشر: معاونيّة العلاقات الدوليّة في منظمة الإعلام الإسلامي-الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران، قم، الطبعة الأُولى، ١٤٠٨هـ. ق.

١٥٤ـ مصباح اليزدي، محمّد تقي، المنهج الجديد في تعليم الفلسفة، ترجمة: محمّد عبد المنعم الخاقاني، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم، (د.ط)، رقم: ٤١٥ـ ٤١٦، ١٤٠٧هـ. ق.

١٥٥ـ المصطفوي، السيّد محمّد كاظم، مئة قاعدة فقهيّة، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ. ق.

١٥٦ـ المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، الناشر: بُنگاه ترجمة ونشر كتاب، طهران، (د.ط)، ١٣٦٠هـ. ق.

١٥٧ـ المظفر، محمّد رضا، المنطق، الناشر: مؤسسة اسماعيليان للمطبوعات، قم، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨هـ. ق.

١٥٨ـ المظفر، محمّد رضا، أُصول الفقه، الناشر: مركز النشر- مكتب الإعلام

الإسلامي، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ. ق.

١٥٩ـ معرفة، محمّد هادي، التفسير والمفسِّرون في ثوبه القشيب، الناشر: الجامعة الرضويّة للعلوم الإسلاميّة، مشهد، الطبعة الثالثة، ١٤٢٨هـ.ق.

١٦٠ـ معرفة، محمّد هادي، التمهيد في علوم القرآن، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ. ق.

١٦١ـ معرفة، محمّد هادي، شبهات وردود حول القرآن الكريم، تحقيق: مؤسسة التمهيد–قم المقدّسة، الناشر: مؤسسة التمهيد، قم، الطبعة الأُولى، ١٤٢٣هـ. ق.

١٦٢ـ مُغنية، محمّد جواد، تفسير الكاشف، الناشر: دار الكتب الإسلاميّة، طهران، الطبعة الأُولى، ١٤٢٤هـ. ق.

١٦٣ـ مكارم الشيرازي، ناصر، القواعد الفقهيّة، الناشر: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قم، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ. ق.

١٦٤ـ مكارم الشيرازي، ناصر، نفحات القرآن، الناشر: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قم، الطبعة الأُولى، ١٤٢٦هـ. ق.

١٦٥ـ مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الناشر: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قم، الطبعة الأُولى، ١٤٢١هـ. ق.

١٦٦ـ مير محمّدي الزرندي، السيّد أبو الفضل، بحوث في تاريخ القرآن وعلومه، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم، الطبعة الأُولى، ١٤٢٠هـ.ق.

١٦٧ـ النوري، الميرزا حسن، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التُراث، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٠٨هـ. ق.

١٦٨ـ الهاشمي، سيّد محمود، بحوث في علم الأُصول، (تقريرات بحث السيّد

محمد باقر الصدر)، الناشر: مركز الغدير للدراسات الإسلاميّة، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ. ق.

١٦٩ـ الواحدي، علي بن أحمد، أسباب نزول القرآن، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١١هـ. ق.

١٧٠ـ اليزدي، محمّد كاظم، حاشية المكاسب، الناشر: مؤسسة اسماعيليان للمطبوعات، قم، (د.ط)، ١٣٧٨هـ. ق.

١٧١ـ يعقوب، اميل بديع، موسوعة النحو والصرف والإعراب، الناشر: انتشارات استقلال، طهران، الطبعة الخامسة، ١٤٢٨هـ. ق.

١٧٢ـ يونس، محمّد كبير، دراسات في أُصول التفسير، الناشر: دار الأُمّة، مدينة كانو، الطبعة الأُولى، ١٤٢٥هـ. ق.

١٧٣ـ آيان، باربور، علم ودين: (فارسي)، وترجمته: (العلم والدين)، ترجمة: بهاء الدين خرّم شاهي، الناشر: مركز نشر دانشگاهي، طهران، الطبعة الثانية، ١٣٧٤ش.

١٧٤ـ إيزدي مباركة، كامران، شروط وآداب تفسير ومفسِّر: (فارسي)، وترجمته: (شروط وآداب التفسير والمفسِّر)، الناشر: مؤسسة انتشارات أمير كبير، طهران، الطبعة الأُولى، ١٣٧٦ش.

١٧٥ـ بابائي، علي أكبر، عزيزي كيا، غلام علي، روحاني راد، مجتبى، روش شناسي تفسير قرآن: (فارسي)، وترجمته: (منهج تفسير القرآن)، الناشر: بژوهشگاه حوزه ودانشگاه، قم، الطبعة الثالثة، ١٣٨٧ش.

١٧٦ـ جوادي آمُلي، عبد الله، تسنيم تفسير قرآن كريم: (فارسي)، وترجمته: (التسنيم في تفسير القرآن الكريم)، الناشر: مركز نشر إسراء، قم، الطبعة الأُولى،

١٣٧٨ش.

١٧٧ـ الحسيني السيستاني، سيّد أبو القاسم، تفسير موضوعي آيات قرآن: (فارسي)، وترجمته: (التفسير الموضوعي لآيات القرآن)، الناشر: گنج معرفت، قم، الطبعة الأُولى، ١٣٨٦ش.

١٧٨ـ رضائي أصفهاني، محمّد علي، درآمدي بر تفسير علمي قرآن: (فارسي)، وترجمته: (مقدمة في التفسير العلمي للقرآن)، الناشر: انتشارات اُسوة، قم، الطبعة الأُولى، ١٣٧٥ش.

١٧٩ـ رضائي أصفهاني، محمّد علي، منطق تفسير قرآن: (فارسي)، وترجمته: (منطق تفسير القرآن)، الناشر: جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم العالميّة، الطبعة بحسب ترتيب الأجزاء من ١ـ٢/ ٣: (الأُولى والثالثة/ الأُولى)، (١٣٨٧/ ١٣٨٩)ش.

١٨٠ـ السبحاني، جعفر، منشور جاويد: (فارسي)، وترجمته: (الميثاق الخالد)، الناشر: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم، الطبعة الأُولى، (د.ت).

١٨١ـ علوي مهر، حسين، روش ها وگرايش هاى تفسيري: (فارسي)، وترجمته: (مناهج واتجاهات التفسير)، الناشر: انتشارات أُسوة، قم، الطبعة الأُولى، ١٣٨١ش.

١٨٢ـ فرامرز قراملكي، أحد، روش شناسي مطالعات ديني: (فارسي)، وترجمته: (منهج الدراسات الدينية)، الناشر: دانشگاه علوم إسلامي رضوي، مشهد، الطبعة الأُولى، ١٣٨٠ش.

١٨٣ـ فاكر الميبُدي، محمّد، فقه القرآن، (آيات الأحكام تطبيقي): (فارسي)، وترجمته: (فقه القرآن المقارن، آيات الأحكام)، الناشر: انتشارات مركز جهاني علوم

إسلامي، قم، الطبعة الأُولى، ١٣٨٣ش.

١٨٤ـ مرادي زنجاني، حسين، فشاركي لساني، محمّد علي، روش تحقيق موضوعي در قرآن كريم: (فارسي)، وترجمته: (منهج التحقيق الموضوعي في القرآن الكريم)، الناشر: انتشارات قلم مهر، زنجان، الطبعة الأُولى، ١٣٨٥ش.

١٨٥ـ مكارم الشيرازي، ناصر، پيام قرآن: (فارسي)، وترجمته: (وحي القرآن)، الناشر: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قم، الطبعة الخامسة، ١٣٧٤ش.

١٨٦ـ مؤدب، سيّد رضا، مباني تفسير قرآن: (فارسي)، وترجمته: (مباني تفسير القرآن)، الناشر: انتشارات دانشگاه قم، قم، الطبعة الأُولى، ١٣٨٦ش.

١٨٧ـ نجارزادگان، فتح الله، تفسير تطبيقي: (فارسي)، وترجمته: (التفسير المقارن)، الناشر: انتشارات مركز جهاني علوم إسلامي، قم، الطبعة الأُولى، ١٣٨٣ش.

١٨٨ـ واعظي، أحمد، درآمدي بر هرمونتيك: (فارسي)، وترجمته: (مقدمة في الهرمونيطيقيا)، الناشر: مؤسسة فرهنگ دانش وأنديشه معاصر، (د.م)، (د.ط)، ١٣٨٠ش.

المجلات

١٨٩ـ بهشتي، أحمد، «هرمونيوتيك لوازم وآثار»: (فارسي)، وترجمته: (الهرمونيطيقيا لوازم وآثار)، مجلّة: كتاب نقد(وترجمتها: كتاب النقد)، ع٦، طهران، (١٣٧٦/ ١٣٧٧) ش.

١٩٠ـ بهشتي، أحمد، «هرمونيوتيك لوازم وآثار»: (فارسي)، وترجمته:

(الهرمونيطيقيا لـوازم وآثـار)، مجلّـة: نامـه فرهنـگ(وترجمتـها: رسـالة الثقافـة)، ع١٤، طهران، (١٣٨٦-١٣٨٧) ش.

١٩١- الحكيم، سيّد منذر، «التفسير الموضوعي للعلّا مة الشهيد الصدر»، مجلـة: رايحة، ع٧٦(خاص بمناسبة ذكرى استشهاد الشهيد الصدر)، طهران، ١٣٨٨ش.

١٩٢- رجبي، محمود، «تفسير موضوعي قرآن از ديگاه اُستاد محمد تقي مـصباح يزدي»: (فارسي)، وترجمته: (التفسير الموضوعي مـن وجهـة نظـر الأُسـتاذ محمّـد تقـي مـصباح اليـزدي)، مجلـة: قـرآن شـناخت (وترجمتـها: المعـارف القرآنيّـة)، ع٤، قـم، ١٣٨٩ش.

١٩٣- العراقي، محسن، «ماهية العمل التفسيري»، (القسم الأوَّل: تحديد العمل التفسيري)، مجلّة: التقريب نت(مجلّة شهريّة ألكترونيّة)، ع٣، إيران، ١٤٢٤هـ. ق.

المحتويات

الإهداء ٥

مقدمة اللجنة العلمية.. ٦

مُقَدِمَةُ البَحْثِ.. ٨

١ - بيان موضوع البحث.. ٨

٢ - سبب اختيار البحث ٩

٣ - أهمية البحث ٩

٤ - بيان أهداف البحث.. ١٠

٥ - فرضيّة البحث ١٠

٦ - الدراسات السابقة في البحث ١١

٧ - حدود البحث ١٢

٨ - الجديد في هذا البحث.. ١٢

٩ - منهجية البحث ١٣

الفَصْلُ الأَوَّلِ
كُلِّيَاتُ البَحْثِ

مدخل الفصل ١٧

المبحث الأوّل: تعريف مفردات البحث ١٨

أوّلاً: التفسير ١٨

ثانياً: التأويل ٢١

ثالثاً: الأصل ٢٧

رابعاً: القاعدة ٣٠

خامساً: مناهج التفسير وأسباب تعددها ٣٤

سادساً: الأُسلوب ٣٩

سابعاً: الموضوع ٤٥

ثامناً: التفسير الموضوعي ٥٠

المبحث الثاني: تاريخ التفسير الموضوعي ٥٥

أقسام التفسير الموضوعي ٦٤

أشكال التفسير الموضوعي ٦٥

المبحث الثالث: أهمية التفسير الموضوعي ٦٧

المبحث الرابع: فوارق التفسير الموضوعي والتفسير الترتيبي ٧٠

وجوه الاختلاف التفسير الموضوعي والتفسير الترتيبي ٧٠

تقدّم التفسير الترتيبي على التفسير الموضوعي ٧٧

الفَصْلُ الثَّانِي
طُرُقُ البَحْثِ في القُرآنِ الكَرِيمِ

مدخل الفصل ٨١

المبحث الأوَّل: أَساليب البحث القرآني ٨٥

طريقة البحث والتفسير في كُل آية قرآنيّة.................. ٨٦

منهجيّة البحث في القرآن الكريم.................. ٩١

المبحث الثاني: طُرق البحث في التفسير الموضوعي ٩٧

أولاً: طريقة التفسير الموضوعي داخل القرآن ٩٧

ثانياً: طريقة التفسير الموضوعي خارج القرآن ١١٠

ثالثاً: طريقة التفسير الموضوعي المقارن ١١٦

رابعاً: التفسير المقارن بين القرآن الكريم والعلوم الأُخرى ١٢٢

المبحث الثالث: خطوات البحث في التفسير الموضوعي ١٣١

صور جمع الآيات القرآنيّة ١٤١

حيّز الموضوع في التفسير الموضوعي ١٥٤

المبحث الرابع: مشكلات الأُسلوب الموضوعي في التفسير.............. ١٥٩

الفَصْلُ الثَالِث
أُصُولُ التَفْسِيرِ المَوْضُوعي

مدخل الفصل ١٦٥

تمهيد ١٦٩

أولاً: ماهية العمل في التفسير الموضوعي.................. ١٦٩

ثانياً: ارتباط التفسير الموضوعي بالهرمونيطيقيا ١٧٧

المبحث الأوّل: مفهوم أُصول التفسير الموضوعي ١٨٧

مكانة المفهوم في عملية التفسير ١٩١

المبحث الثاني: أقسام أُصول التفسير الموضوعي ١٩٤

أوّلاً: أقسام أُصول التفسير العام ١٩٤

ثانياً: أقسام أُصول التفسير الموضوعي ١٩٨

المبحث الثالث: أُصول التفسير الموضوعي العامّة ٢٠٠

١- القرآن كتاب موحى من الله تبارك وتعالى ٢٠٠

٢- القرآن كتاب سالم من التحريف ٢٠٣

٣- القرآن كتاب ظواهر آياته حُجّة ٢٠٦

٤- شموليّة القرآن وعالميّته وخلوده ٢٠٨

٥- القرآن الكريم كتاب حكيم ٢٠٩

٦- إمكان فهم وتفسير القرآن ٢١٢

٧- عدم قابلية افتراق القرآن عن السُنّة المُطهرة ٢١٣

٨- الواقعية وحُجيّة التفسير ٢١٤

المبحث الرابع: أُصول التفسير الموضوعي المختصة ٢١٧

أوّلاً: وجود الحاجة للتفسير الموضوعي ٢١٧

ثانياً: إمكانيّة استخراج النظريّة القرآنيّة ٢٢١

ثالثاً: وجود الوحدة الموضوعيّة في القرآن الكريم ٢٢٤

رابعاً: اتخاذ التفسير الترتيبي قاعدةً للانطلاق في التفسير الموضوعي ٢٢٨

خامساً: مواكبة القرآن لحاجات البشر في جميع الأزمنة والمواقع ٢٣٦

سادساً: ثبوت نظام القرآن وبناؤه ٢٣٨

سابعاً: إمكانيّة التوحيد بين التجربة البشريّة والقرآن ٢٤٤
ثامناً: تعيين المنهج الصحيح في الكشف الموضوعي ٢٤٧

الفَصْلُ الرَابِع
قَوَاعِدُ التَفْسِيرِ المَوْضُوعي

مدخل الفصل ٢٥١
المبحث الأوَّل: بحوث تمهيديّة في قواعد التفسير الموضوعي ٢٥٢
المطلب الأوَّل: تعريف قواعد التفسير الموضوعي ٢٥٣
المطلب الثاني: الفرق بين القاعدة والضابطة ٢٥٩
المطلب الثالث: الفرق بين قواعد التفسير الموضوعي والتفسير الموضوعي ٢٦٢
المطلب الرابع: أهمية البحث في قواعد التفسير الموضوعي ٢٦٤
المبحث الثاني: أقسام قواعد التفسير الموضوعي ٢٦٧
المبحث الثالث: القواعد العامّة للتفسير الموضوعي ٢٧٢
١- قاعدة تفسير الآيات القرآنيّة على أساس الأُسلوب التفسيري الصحيح، ولزوم رعاية أُصول المحاورات العرفيّة والعقلائيّة في تفسيرها ٢٧٢
٢- قاعدة الجري والتطبيق ٢٧٧
٣- قاعدة حرمة التفسير بالرأي ٢٨٤
المبحث الرابع: القواعد المختصة بالتفسير الموضوعي ٢٩٠
١- الالتزام التامّ بعناصر القرآن في مرحلة تحديد الموضوع ٢٩١
٢- مراعاة خصائص القرآن الكريم ٢٩٦
٣- وجوب عدم الاكتفاء بجمع الآيات المشتملة على ألفاظ الموضوع فقط ٣٠٢

٤- ضرورت الفهم التحليلي للآيات ٣٠٦

٥- رعاية ما يلزم في تفسير القرآن بالقرآن ٣١٠

٦- لزوم العناية بالتفسير التجزيئي ٣١٥

٧- لزوم رعاية الأُسلوب الصحيح في التفسير الموضوعي ٣٢٠

٨- التدقيق التامّ قبل التعقيد والتأصيل ٣٣١

الفَصْلُ الخَامِسِ
نَمَاذجُ مِنَ التَفْسِيرِ المَوْضُوعِي

مدخل الفصل ٣٣٧

المبحث الأوّل: أهداف إرسال الرسل في القرآن الكريم ٣٣٨

تمهيد ٣٣٨

الآيات المُتعلّقة بالموضوع ٣٤٠

طوائف الآيات ٣٤٢

أهداف بعثة الرسل ٣٤٣

المبحث الثاني: عناصر المجتمع في القرآن الكريم ٣٦٧

تمهيد ٣٦٧

عناصر المجتمع ٣٦٨

دور العلاقة الاجتماعيّة في حركة التاريخ ٣٨٢

نتيجة المبحث ٣٨٨

المبحث الثالث: مصداق من عنده علم الكتاب في تفسيري الطوسي والفخر الرازي، وقصة صلب النبيّ عيسى عليه السلام بين الأناجيل الأربعة والقرآن

الكريم...٣٨٩
الأوَّل: مصداق من عنده علم الكتاب في تفسيري الطوسي والفخر الرازي ٣٨٩
نتيجة المقارنة ٣٩٩
الثاني: قصة صلب النَّبيّ عيسى عليه السلام بين الأناجيل الأربعة والقرآن الكريم ٤٠٠
المبحث الرابع: جريان الشمس في قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ بين القرآن والعلم الحديث ٤١١
مقدمة المبحث...٤١١
نظرة المفسِّرين إلى الآية...٤١٣
نظرة العلم الحديث إلى جري الشمس ٤١٩
نتيجة المبحث..٤٢٢
الملحقات ٤٢٢
الخاتمة..٤٢٥
المقترحات...٤٢٧
المصادر والمراجع ٤٢٨
الكتب..٤٢٨
المجلات ٤٤٨
المحتويات..٤٥١

إصدارات قسم الشؤون الفكرية والثقافية

في العتبة الحسينية المقدسة

ت	اسم الكتاب	تأليف
١	السجود على التربة الحسينية	السيد محمد مهدي الخرسان
٢	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الانكليزية	
٣	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الأردو	
٤	النوران ـ الزهراء والحوراء عليهما السلام ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٥	هذه عقيدتي ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٦	الإمام الحسين عليه السلام في وجدان الفرد العراقي	الشيخ علي الفتلاوي
٧	منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان	الشيخ وسام البلداوي
٨	الجمال في عاشوراء	السيد نبيل الحسني
٩	ابكِ فإنك على حق	الشيخ وسام البلداوي
١٠	المجاب بردّ السلام	الشيخ وسام البلداوي
١١	ثقافة العيدية	السيد نبيل الحسني
١٢	الأخلاق (تحقيق: شعبة التحقيق) جزآن	السيد عبد الله شبر
١٣	الزيارة تعهد والتزام ودعاء في مشاهد المطهرين	الشيخ جميل الربيعي
١٤	من هو؟	لبيب السعدي
١٥	اليحموم، أهو من خيل رسول الله أم خيل جبرائيل؟	السيد نبيل الحسني
١٦	المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
١٧	أبو طالب عليه السلام ثالث من أسلم	السيد نبيل الحسني
١٨	حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق)	السيد محمدحسين الطباطبائي
١٩	الحيرة في عصر الغيبة الصغرى	السيد ياسين الموسوي

٢٠	الحيرة في عصر الغيبة الكبرى	السيد ياسين الموسوي
٢١ - ٢٣	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) - ثلاثة أجزاء	الشيخ باقر شريف القرشي
٢٤	القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام	الشيخ وسام البلداوي
٢٥	الولايتان التكوينية والتشريعية عند الشيعة وأهل السنة	السيد محمد علي الحلو
٢٦	قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ حسن الشمري
٢٧	حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية	السيد نبيل الحسني
٢٨	موجز علم السيرة النبوية	السيد نبيل الحسني
٢٩	رسالة في فن الإلقاء والحوار والمناظرة	الشيخ علي الفتلاوي
٣٠	التعريف بمهنة الفهرسة والتصنيف وفق النظام العالمي (LC)	علاء محمد جواد الأعسم
٣١	الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام	السيد نبيل الحسني
٣٢	الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٣	الخطاب الحسيني في معركة الطف - دراسة لغوية وتحليل	الدكتور عبدالكاظم الياسري
٣٤	رسالتان في الإمام المهدي	الشيخ وسام البلداوي
٣٥	السفارة في الغيبة الكبرى	الشيخ وسام البلداوي
٣٦	حركة التاريخ وسننه عند علي وفاطمة عليهما السلام (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٧	دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء - بين النظرية العلمية والأثر الغيبي (دراسة) من جزءين	السيد نبيل الحسني
٣٨	النوران الزهراء والحوراء عليهما السلام - الطبعة الثانية	الشيخ علي الفتلاوي
٣٩	زهير بن القين	شعبة التحقيق
٤٠	تفسير الإمام الحسين عليه السلام	السيد محمد علي الحلو
٤١	منهل الظمآن في أحكام تلاوة القرآن	الأستاذ عباس الشيباني
٤٢	السجود على التربة الحسينية	السيد عبد الرضا الشهرستاني
٤٣	حياة حبيب بن مظاهر الأسدي	السيد علي القصير
٤٤	الإمام الكاظم سيد بغداد وحاميها وشفيعها	الشيخ علي الكوراني العاملي
٤٥	السقيفة وفدك، تصنيف: أبي بكر الجوهري	جمع وتحقيق: باسم الساعدي
٤٦	موسوعة الألوف في نظم تاريخ الطفوف - ثلاثة أجزاء	نظم وشرح: حسين النصار
٤٧	الظاهرة الحسينية	السيد محمد علي الحلو
٤٨	الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام	السيد عبد الكريم القزويني
٤٩	الأصول التمهيدية في المعارف المهدوية	السيد محمد علي الحلو
٥٠	نساء الطفوف	الباحثة الاجتماعية كفاح الحداد
٥١	الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد	الشيخ محمد السند

٥٢	خديجة بنت خويلد أُمّة جُمعت في امرأة – ٤ مجلد	السيد نبيل الحسني
٥٣	السبط الشهيد – البُعد العقائدي والأخلاقي في خطب الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
٥٤	تاريخ الشيعة السياسي	السيد عبد الستار الجابري
٥٥	إذا شئت النجاة فزر حسيناً	السيد مصطفى الخاتمي
٥٦	مقالات في الإمام الحسين عليه السلام	عبد السادة محمد حداد
٥٧	الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني	الدكتور عدي علي الحجّار
٥٨	فضائل أهل البيت عليهم السلام بين تحريف المدونين وتناقض مناهج المحدثين	الشيخ وسام البلداوي
٥٩	نصرة المظلوم	حسن المظفر
٦٠	موجز السيرة النبوية – طبعة ثانية، مزيدة ومنقحة	السيد نبيل الحسني
٦١	ابكِ فانك على حق – طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٦٢	أبو طالب ثالث من أسلم – طبعة ثانية، منقحة	السيد نبيل الحسني
٦٣	ثقافة العيد والعيدية – طبعة ثالثة	السيد نبيل الحسني
٦٤	نفحات الهداية - مستبصرون ببركة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ ياسر الصالحي
٦٥	تكسير الأصنام - بين تصريح النبي صلى الله عليه وآله وتعتيم البخاري	السيد نبيل الحسني
٦٦	رسالة في فن الإلقاء - طبعة ثانية	الشيخ علي الفتلاوي
٦٧	شيعة العراق وبناء الوطن	محمد جواد مالك
٦٨	الملائكة في التراث الإسلامي	حسين النصراوي
٦٩	شرح الفصول النصيرية - تحقيق: شعبة التحقيق	السيد عبد الوهاب الأسترآبادي
٧٠	صلاة الجمعة– تحقيق: الشيخ محمد الباقري	الشيخ محمد التنكابني
٧١	الطفيات - المقولة والإجراء النقدي	د. علي كاظم المصلاوي
٧٢	أسرار فضائل فاطمة الزهراء عليها السلام	الشيخ محمد حسين اليوسفي
٧٣	الجمال في عاشوراء - طبعة ثانية	السيد نبيل الحسني
٧٤	سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم	السيد نبيل الحسني
٧٥	اليحموم، - طبعة ثانية، منقحة	السيد نبيل الحسني
٧٦	المولود في بيت الله الحرام: علي بن أبي طالب عليه السلام أم حكيم بن حزام؟	السيد نبيل الحسني
٧٧	حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية - طبعة ثانية	السيد نبيل الحسني
٧٨	ما أخفاه الرواة من ليلة المبيت على فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم	السيد نبيل الحسني

٧٩	علم الإمام بين الإطلاقية والإشائية على ضوء الكتاب والسنة	صباح عباس حسن الساعدي
٨٠	الإمام الحسين بن علي عليهما السلام أنموذج الصبر وشارة الفداء	الدكتور مهدي حسين التميمي
٨١	شهيد باخمرى	ظافر عبيس الجياشي
٨٢	العباس بن علي عليهما السلام	الشيخ محمد البغدادي
٨٣	خادم الإمام الحسين عليه السلام شريك الملائكة	الشيخ علي الفتلاوي
٨٤	مسلم بن عقيل عليه السلام	الشيخ محمد البغدادي
٨٥	حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق) – الطبعة الثانية	السيد محمدحسين الطباطبائي
٨٦	منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان – طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٨٧	المجاب برد السلام – طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٨٨	كامل الزيارات باللغة الانكليزية (Kamiluz Ziyaraat)	ابن قولويه
٨٩	Inquiries About Shi‘a Islam	السيد مصطفى القزويني
٩٠	When Power and Piety Collide	السيد مصطفى القزويني
٩١	Discovering Islam	السيد مصطفى القزويني
٩٢	دلالة الصورة الحسية في الشعر الحسيني	د. صباح عباس عنوز
٩٣	القيم التربوية في فكر الإمام الحسين عليه السلام	حاتم جاسم عزيز السعدي
٩٤	قبس من نور الإمام الحسن عليه السلام	الشيخ حسن الشمري الحائري
٩٥	تيجان الولاء في شرح بعض فقرات زيارة عاشوراء	الشيخ وسام البلداوي
٩٦	الشهاب الثاقب في مناقب علي بن أبي طالب عليهما السلام	الشيخ محمد شريف الشيرواني
٩٧	سيد العبيد جون بن حوي	الشيخ ماجد احمد العطية
٩٨	حديث سد الأبواب إلا باب علي عليه السلام	الشيخ ماجد احمد العطية
٩٩	المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام ـ الطبعة الثانية ـ	الشيخ علي الفتلاوي
١٠٠	هذه فاطمة عليها السلام – ثمانية أجزاء	السيد نبيل الحسني
١٠١	وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وموضع قبره وروضته	السيد نبيل الحسني
١٠٢	الأربعون حديثا في الفضائل والمناقب- اسعد بن إبراهيم الحلي	تحقيق: مشتاق المظفر
١٠٣	الجعفريات – جزآن	تحقيق: مشتاق المظفر
١٠٤	نوادر الأخبار – جزآن	تحقيق: حامد رحمان الطائي
١٠٥	تنبيه الخواطر ونزهة النواظر – ثلاثة أجزاء	تحقيق: محمد باسم مال الله
١٠٦	الإمام الحسين عليه السلام في الشعر العراقي الحديث	د. علي حسين يوسف
١٠٧	This Is My Faith	الشيخ علي الفتلاوي
١٠٨	الشفاء في نظم حديث الكساء	حسين عبدالسيد النصار

١٠٩	قصائد الاستنهاض بالإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه	حسن هادي مجيد العوادي
١١٠	آية الوضوء وإشكالية الدلالة	السيد علي الشهرستاني
١١١	عارفاً بحقكم	السيد علي الشهرستاني
١١٢	شمس الإمامة وراء سحب الغيب	السيد هادي الموسوي
١١٣	Ziyarat Imam Hussain	إعداد: صفوان جمال الدين
١١٤	البشارة لطالب الاستخارة للشيخ احمد بن صالح الدرازي	تحقيق: مشتاق المظفر
١١٥	النكت البديعة في تحقيق الشيعة للشيخ سليمان البحراني	تحقيق: مشتاق المظفر
١١٦	شرح حديث حبنا أهل البيت يكفر الذنوب للشيخ علي بن عبد الله الستري البحراني	تحقيق: مشتاق صالح المظفر
١١٧	منهاج الحق واليقين في تفضيل علي أمير المؤمنين للسيد ولي بن نعمة الله الحسيني الرضوي	تحقيق: مشتاق صالح المظفر
١١٨	قواعد المرام في علم الكلام، تصنيف كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني	تحقيق: أنمار معاد المظفر
١١٩	حياة الأرواح ومشكاة المصباح للشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي الكفعمي	تحقيق: باسم محمد مال الله الأسدي
١٢٠	باب فاطمة عليها السلام بين سلطة الشريعة وشريعة السلطة	السيد نبيل الحسني
١٢١	تربة الحسين عليه السلام وتحولها إلى دم عبيط في كربلاء	السيد علي الشهرستاني
١٢٢	يتيم عاشوراء من أنصار كربلاء	ميثاق عباس الحلي
١٢٣	The Aesthetics of ‘Ashura	السيد نبيل الحسني
١٢٤	نثر الإمام الحسين عليه السلام	د. حيدر محمود الجديع
١٢٥	قرة العين في صلاة الليل	الشيخ ميثاق عباس الخفاجي
١٢٦	من المسيح العائد إلى الحسين الثائر	أنطوان بارا
١٢٧	ظاهرة الاستقلاب في عرض النص النبوي والتاريخ	السيد نبيل الحسني
١٢٨	الإستراتيجية الحربية في معركة عاشوراء: بين تفكير الجند وتجنيد الفكر	السيد نبيل الحسني
١٢٩	النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومستقبل الدعوة	مروان خليفات
١٣٠	البكاء على الحسين عليه السلام في مصادر الفريقين	الشيخ حسن المطوري
١٣١	تفضيل السيدة زهراء على الملائكة والرسل والأنبياء	الشيخ وسام البلداوي
١٣٢	The Prophetic Life A Concise Knowledge Of History	السيد نبيل الحسني

١٣٣	معاني الأخبار للشيخ الصدوق	تحقيق: السيد محمدكاظم
١٣٤	ضياء الشهاب وضوء الشهاب في شرح ضياء الأخبار	تحقيق: عقيل عبدالحسن
١٣٥	المنهج السياسي لاهل البيت عليهم السلام	السيد عبدالستار الجابري
١٣٦	هوامش على رسالة القول الفصل في الآل والأهل	عبدالله حسين الفهد
١٣٧	فلان وفلانة	عبدالرحمن العقيلي
١٣٨	معجم نواصب المحدثين	عبدالرحمن العقيلي
١٣٩	استنطاق آية الغار	السيد نبيل الحسني
١٤٠	دور الخطاب الديني في تغيير البنية الفكرية	السيد نبيل الحسني
١٤١	أنصار الحسين عليه السلام.. الثورة والثوار	السيد محمد علي الحلو
١٤٢	السنة المحمدية	عبدالرحمن العقيلي
١٤٣	قواعد حياتية على ضوء روايات أهل البيت عليهم السلام	الشيخ علي الفتلاوي
١٤٤	المـُثل العليا في تراث اهل البيت عليهم السلام	د. محمدحسين الصغير
١٤٥	خاصف النعل	الشيخ ماجد العطية
١٤٦	الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام ورواياته الفقهية	عبد السادة الحداد
١٤٧	الإمام حسن العسكري عليه السلام ورواياته الفقهية	عبد السادة الحداد